

ديوان

احمد عبد المعطي حجازي

دار العودة - بيروت

الطبعة الثالثة
١٩٨٢

دار العودة - بيروت
كورنيش المزرعة
بناية الريفيرا سنتر

هاتف : ٣١٨١٦٥ - ٣١٠٨٤٠
تلكس : LE AWDA ٢٣٦٨٢

مدينة بلا قلب

هـذا الديـوان

بقلم: رجاء النقاش

القصيدة الاولى التي تطالع القارىء في هذا الديوان هي قصيدة «العام السادس عشر» ... ولست أدري هل هي مصادفة او انه شيء مقصود ان تكون هذه القصيدة بالذات هي اولى قصائد الديوان... فالقصيدة تقول لك بوضوح : ان صاحب هذا الديوان شاعر ثائر ... وهي لا تكتفي بهذا القول بل انها تزيد على ذلك شيئا هاما : اذ تدلك على نوع من الثورة يعيش في وجدان هذا الشاعر ، ويعبر عنه ديوان «مدينة بلا قلب ».

فمنذ القراءة الأولى لقصيدة «العام السادس عشر » نعرف ان الشاعر يصور مرحلة نفسية في تاريخه الذاتي ، تلك هي مرحلة «المراهقة» ... ثم يدعو الى الحذر منها وتجاوزها ، لان في العمر مراحل اخرى

تتبع هذه المرحلة وتختلف عما فيها من سلطان للوهم والخيال وعشق للصمت والموت والتحرر المطلق، وفي اللحظة التي تحس فيها ان الشاعر يدعو الى تجاوز مرحلة «المراهقة» او المرحلة التي اختار لها اسم «العام السادس عشر» .. تحس ايضا ان هناك دلالة عامة لهذا التجاوز ... لهذا الانطلاق الى عالم « ما بعد العام السادس عشر» ... بل «ما بعد العام التاسع عشر» .. وهذه الدلالة العامة هي التي تعطينا نقطة انطلاق الشاعر ، وتحدد لنا الدنيا التي ثار عليها ، والدنيا الجديدة التي يتطلع الى الاستقرار بين جناحيها .

ان مرحلة «العام السادس عشر» لم تكن مرحلة في عمر الشاعر وحسب .. بل كانت ايضا مرحلة في حياتنا العربية ... عندما أراد الشاعر ان يتجاوز مرحلته الذاتية ، كان في نفس الوقت يريد ان يتجاوز نفس المرحلة في حياة المجتمع الذي يعيش فيه ... ربما لم يكن يهدف الى ذلك او يعيه وعيا اراديا

مقصودا ... ولكنه كان يحس به ، ويعبر عنه في تلقائية واضحة . فأحمد حجازي ليس من هؤلاء الشعراء الذين «يقصدون» اولا ثم يكتبون الشعر بعد ذلك تحقيقا لمقصد محدود ... بل هو شاعر يصدق في احساسه صدقا عميقا لا سذاجة فيه ... صدقا

خاليا من التقليد في الشعر او في تجربة الحياة على السواء ... ولنذكر في هذا الميدان ما قاله نبي الفكر اليوناني القديم سقراط عندما اجتمع بالشعراء ، ثم ... « لقد سألت كلا منهم عما عناه بشعره ، فلم يكن فيهم من استطاع الاجابة على سؤالي هذا ، ولقد جمعني واياهم مجلس ضم كثيرا من المعجبين بهم وبأشعارهم ، فلم يكن بين الحضور رجل الا وهو اقدر على التحدث عن تلك الاشعار من الشعراء انفسهم » ... ان معنى كلام سقراط ؛ ان اهم اجابة يقدمها الشاعر الموهوب عن « مقصده » من كتابة الشعر هي الشعر نفسه ... والحق ما قاله سقراط .

ربما لم يقصد الشاعر ان يعبر عن ثورته على مرحلة « العام السادس عشر » في حياة مجتمعه ، كما ثار عليها في حياته الذاتية .. ولكن هذا هو الذي حدث تماما ... لقد كانت نقطة انطلاق احمد حجازي في فنه وحياته هي الثورة على مرحلة « العام السادس عشر » في حياة مجتمعه ... ولنسارع الى القول بأن ثورة حجازي ليست ثورة ازدراء وانكار ، انما هي ثورة الرغبة الحادة في النمو والتطور ... هي ثورة تتجاوز وتمتد دون ان تقتلع الجذور والاصول ... انها ثورة البذور التي تريد ان تشق التراب لتلتقي في

رحابة الفضاء بنور الشمس وحنان النهار .

فما هي مرحلة « العام السادس عشر » ... تلك التي نتحدث عنها ؟

في استطاعتنا ان نتذكر فترة في حياتنا العربية كان شاعرها الاكبر ونموذجها المثالي هو احمد شوقي ... وكان شوقي اميرا في الشعر وشبه أمير في الحياة ... ولقد كان هذا الامير شاعرا عظيما بحق ... ولكن من الناحية الموضوعية ماذا كان ؟... انه كان يعبر عن الحياة العامة ، ولم يكن يعبر عن الحياة الخاصة ... كان يرى الحياة الرسمية الظاهرة ، ولم يكن يعبر عن الحياة الخاصة ... كان يرى الحياة الرسمية الظاهرة ، ولم يكن يرى الحياة الداخلية المختفية في نفوس الافراد ... ولذلك فقد كان شعره تسجيلا وتعبيرا عن الاحداث الكبرى في حياة المجتمع ... اذا وقع حادث سياسي مثل مأساة دنشواي ، او حادث اجتماعي مثل خروج المراة الى الحياة العامة لاول مرة ، او حادث اقتصادي مثل انشاء بنك مصر .. اذا وقع حادث من هذه الاحداث ، فشعره يسجله ويعبر عنه ويجعل منه نغما رصينا باقيا .. ولكن لم يكن هذا هو كل شيء في حياة الناس ، وعلى الاخص في حياة الجيل الجديد الذي ظهر على مسرح الحياة

في مصر بعد الحرب العالمية الاولى .. فهذا الجيل يعاني اشياء لا يعانيها شوقي ، ويعيش حياة مختلفة عنه تمام الاختلاف .. انه يشارك مثل شوقي في الحياة العامة ، ولكنه لا يستطيع ان يكتفي بهذه المشاركة او يقتصر عليها .. ذلك لان هذا الجيل الجديد لم يولد وفي فمه ملعقة من اي معدن .. بل كان عليه ان يبحث عن ملعقته بنفسه ، ويكد ، ويكافح ويعاني الارهاق والتعب في سبيل الحصول على احتياجات حياته المادية والمعنوية على السواء ... لم يكن يعيش في قصر كما كان يعيش شوقي ، ولم يكن يتصل بمجتمع مفتوح محلول المشاكل مثل مجتمع شوقي ، وفي مثل هذا المجتمع المفتوح تكون مشكلة المراة على سبيل المثال-مشكلة غير موجودة، فشوقي يتصل بفتيات مثقفات متحررات من بنات طبقته ، وهي الطبقة العليا في المجتمع آنذاك ، وهنا لا شعور بالحرمان الذي كان يشعر به الجيل الجديد الوافد الى القاهرة من المدن الصغرى ، او الذي كان يعيش في البيئات الشعبية في العاصمة ... فالمراة ، بالنسبة لهذا الجيل مشكلة ، والعمل مشكلة ، والحياة اجمالا مجموعة من الاشكالات « الخاصة » التي تحتاج الى حل .. وقد تكون هذه الاشكالات « الخاصة » هي في حقيقتها اشكالات مشتركة بين عدد كبير هم

ابناء الجيل المولود على فراش السلام الجريح بعد الحرب العالمية الاولى .. ولكن « الاشتراك » في هذه المشكلات لا ينفي انها تعتري كل فرد على حدة ، وتدعوه الى معركة معها ... معركة لا يفنيه اشتراك الاخرين فيها عن احساسه بالوحدة والانفراد .

وشوقي لم يكن يعبر عن شيء من هذا .. لم يكن شوقي يعرف المشكلة الخاصة التي تجعل منه وحيدا منفردا ، بل كانت حياته الخاصة دائما منسجمة متناسقة ، لا تعترضها مشاكل ولا احتياجات ناقصة .. اما الذي كان يشغل ذهنه فهو المشكلات العامة ، شأن « علية القوم » آنذاك من الوزراء والحاكمين .. وان اختلفت طريقته في التعبير عن تلك المشكلات فاختار الشعر وسيلة له وطريقة .

وعندما وجد الجيل الجديد طريقه الى التعبير عن نفسه وقع على الفور في معركة مع شوقي ومدرسته وتحدد مطلب الجيل الجديد في الشعر بالتعبير عن « الذات » ، وتخليص الشعر من تلك الحالة التي تذوب فيها « شخصية » الشاعر الى عمل فني يبرز هذه « الشخصية » ويعبر عن مشاعرها وما يدور في وجدانها من خطرات واحاسيس ، وفي سبيل ذلك لا بد من التخلي عن جعل الشعر اداة للتعبير عن

المشكلات العامة ، ما لم تدخل هذه المشكلة في صميم التجربة الذاتية للشاعر .

وارتفعت اعلام تشير الى ميلاد جديد ،وانبعثت الفرحة بهذا الميلاد ، واخذ موكب شوقي يتوارى بعيدا عن الافق ، وعلى مسرح الحياة اخذت الجماعة الجديدة تحتل مكان الفاربين عن سمائنا في نهاية الربع الاول من القرن العشرين على التقريب . وكان اعلام المدرسة الجديدة هم عبد الرحمن شكري والعقاد والمازني ، وتلقف الدعوة جناح آخر مثله الفنان العربي اللبناني ميخائيل نعيمه احد رواد الشعر المهجري ، وقد لخص احد ابناء الجماعة الجديدة وجهة نظر الجماعة في الفن عندما قال :

الا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

وصاحب هذا البيت هو عبد الرحمن شكري ، وقد جعل منه شعارا لاجزء الاول من ديوانه ، الذي اسماه « ضوء الفجر » .

منذ هذه اللحظة بدات في حياتنا مرحلة « العام السادس عشر » ... واذا استخدمنا الاصطلاح النقدي فاننا نستطيع ان نسميها بالمرحلة «الرومانسية» وقد استمرت هذه المرحلة في حياتنا الى ما بعد الحرب العالمية الثانية بفترة غير قصيرة ، وقد كان الجيل الاول من اجيال هذه المدرسة هو الذي دعم

الاسس النظرية لمرحلة « العام السادس عشر » وجاء بعد ذلك جيل ثان هو الذي استطاع ان يخلق الفن الذي يمثل هذه المرحلة خير تمثيل فعلي محمود طه والياس ابو شبكة وابراهيم ناجي وابو القاسم الشابي ومدرسة المهجر ... كل هؤلاء هم الشعراء الذين مثاوا مرحلة « العام السادس عشر » في أحسن صورها الفنية ... ولنحاول انستخلص شخصية هذه المرحلة من واقع قصيدة احمد حجازي نفسها :

عامي السادس عشر

يوم فتحت على المرأة عيني

يومها .. واصفر لوني

يومها .. درت بدوامة سحر

كان حبي شرفة دكناء أمشي تحتها

لأراها

لم أكن اسمع منها صوتها

إنما كانت تحييني يداها

كان حسبي أن تحييني يداها

ثم امضي اسهر الليل إلى ديوان شعر :

« يا فؤادي رحم الله الهوى

كان صرحاً من خيال فهوى

أسقني واشرب على أطلاله

وارو عني طالما الدمع روى »

فالعلامة الظاهرة الواضحة في الجيل الرومانسي هي اكتشافهم لشخصية المراة وجعلها موضوعا من موضوعاتهم الشعرية ، على ان المرأة كانت دائما موضوعا من موضوعات الادب عامة والشعر على وجه الخصوص . ولكن المرأة في الادب الرومانسي هي محور رئيسي جوهري فيه ، فالمراة في الالوان الاخرى من الادب موضوع الى جانب الموضوعات الاخرى ، وليست اهم الموضوعات ولا اقربها الى الاهمية ، كما ان المراة يمكن ان تصبح في الوان الادب الاخرى غير الادب الرومانسي وسيلة الى شيء آخر ، قد تكون وسيلة لشرح فكرة الفضيلة والدعوة اليها ، وقد تكون وسيلة للبحث عن اللذة الحسية ، ولكن في الادب الرومانسي تكون المراة لذاتها هي الهدف الاسمى ، بل ان النظر الى الحياة انما يكون من خلال افراح

الفنان واحزانه في تجربة المراة ، فروح الجمال تشيع في الدنيا وفي الطبيعة اذا ما كان هناك امل في نجاح لتجربة مع المراة ، او مجرد وهم في هذا الامل . وتحل محل هذه الروح الفرحة روح اخرى مشبعة بالحزن اذا ما تعرضت تجربة الحب لعائق من العوائق وفي ميدان التجربة الرومانسية عموما تتعرض التجربة دائما لعقبة من العقبات ، بل ان الرومانسية لا تظهر الا اذا كانت هناك عقبات كبيرة في داخل المجتمع فقد ظهرت الرومانسية في القرن التاسع عشر في اوروبا ، وبالتحديد منذ اواخر القرن الثامن عشر . وكان ظهورها تعبيرا عن مقاومة الضغط الذي يلقاه الفرد في تجاربه النفسية وعلى رأسها تجربة الحب . ومن امثال هذه العقبات عقبة الاختلاف الطبقي . فقد يحب انسان من الطبقة الفقيرة فتاة غنية ، فيفشل هذا الحب بالطبع . وهناك عقبة التقاليد الاجتماعية فقد يحب انسان له اسرته ومكانته في المجتمع بغيا يرى فيها المجتمع انسانة غير شريفة ، انسانة خارجة عليه لا يجوز لصاحب الوضع المستقر ان يرتبط بها اي ارتباط ، وعقبة اخرى مثل نظرة المجتمع القديم الى الحب باعتباره « عيبا » او امرا مشينا .. كل هذه العقبات كانت تفرض القيود الرهيبة العنيفة على الفرد ومن هنا ظهرت النزعة الرومانسية لتحطيم هذه

السود وتجاوزها ، وظهرت هذه النزعة في الادب ، وان الجو العام الذي تصوره هذه النزعة هو الحب الفاشل ـ والحب العاجز الذي لا يستطيع تحقيق امانيه في ميدان الواقع ، وما يرتبط بهذا كله من احزان والوان قاتمة ، وما يدعو اليه من وحدة وانفراد والتماس للعزاء في الطبيعة او في الظلام او في مزيد من التخيل والوهم ، وفي المقطع الذي ذكرناه من قصيدة « العام السادس عشر » يصور احمد حجازي نوع الحب الذي يعيشه ابن العام السادس عشر ، وهو نفسه نوع الحب الذي يعيشه الرومانسيون عموما . فهو يحب فتاة ... « لا يراها » ، « لم يكن يسمع منها صوتها » .. وفي ذلك دلالة على نفسية « ابن العام السادس عشر» ودلالة على «النزعة الرومانسية» التي تعني ان ظروف الحياة تحمل من العقبات ما يحول بين الانسان وبين تحويل حبه الى حقيقة عملية وقد كان العصر الرومانسي عندنا هو هذا العصر بالضبط ، هو العصر الذي يضع العقبات والعوائق في طريق العاطفة ، فالمراة لم تكن تخرج الى الحياة العامة ، واذا خرجت فهو الخروج المتردد الخائف ، اما الحب فهو شيء تنكره تقاليد المجتمع وتأباه ، وقد اتضحت هذه التقاليد واستقرت سطوتها في نفسية الفتاة، فهي لا تجرؤ على الاستجابة لنداء ذاتهاالمحتاجة

الى الحب ، او الاستجابة لنداء الذي يدعوها للمشاركة في التجربة العاطفية . لذلك فقد اصبح للرومانسية تقاليد هي الاخرى ... فالحب هو « الحب المحروم » .. الحب الذي يعتمد على الخيال والوهم ، لا على الواقع والتجربة .. الحب الذي يتغذى من السهر والقلق والخروج بالشعور والفكر عن منطقة الواقع الحي ... ويصور احمد حجازي هذه التقاليد تصويرا دقيقا عميقا عندما يقول :

وأرى الحب ... شروداً وتهاويم ، وحزنا

والحب الحق ... من يهوى ويفنى

وعميق الحب ... حب لم يتم

ليقولوا ... يا للحن لم يتم !

ونفس هذه الصورة الرائعة لتجربة « العام السادس عشر » في عمر الافراد وعمر المجتمعات ، هي التي يعبر عنها فكتور هو جو احد اعلام النزعة الرومانسية واساتذتها على لسان احد ابطال رواياته عندما يقول هذا البطل مخاطبا حبيبته :

« احبك حبا صادقا ، واأسفا ! اني احلم بك حلم الاعمى بالضوء . سيدتي ! عندي احلام لا عداد

لها . احبك من قريب ومن بعيد وفي جو من الظلام، ولا اجرؤ على لمس طرف اصبعك » .

او كما يقول شاعر رومانسي من شعراء فرنسا في القرن التاسع عشر :

« احب ، واستطيع ان اصرح دون مبالاة ، احب وانا وحدي الذي ادري ، وحبيب الي سري ، وحبيب الي عذابي ، وقد عقدت العزم ان احب حبا خاليا من الامــل ، ولكنــه ليس خاليــا من الســعــادة . اراك وهذا حسبي » .

مثل هذه المشاعر هي التي تعيش في وجـدان العصر الرومانسي تماما .. انها على التحديد هي : الحب الخيالي المحروم ، والعزلة والانفراد ثـم حب الطبيعة واتخاذها ملجأ آمنا تستقر فيه المشاعــر والاحاسيس .. تلك هي العناصر الاساسية في تجربة « العام السادس عشر » وقد رصد احمد حجـازي هذه المشاعر رصداً فنيا اصيلا . ذلك لانه عاشها في التي بدأ فيها العصر الرومانسي يعطي وهجه الاخير فترة من حياته ، وكانت هذه الفترة هي بالمصادفـة حيث يتوارى بعده ليفسح المكان لتجارب جديدة في الحياة وفي الفن .

فبعد الحرب العالمية الثانية على التقريب كانت

المدرسة الرومانسية تجمع كل طاقاتها وامكانياتها محاولة ان تستمر في البقاء . لانها بدات تشعر بتغير حاسم في الحياة ، وبدات بذور هذا التغير تعكس نفسها في الادب ، اي بدات تعمل على خلق شخصيات ادبية جديدة ذات رسالة من نوع جديد ، وقد كانت المرحلة الادبية التي امتدت منذ ايام الحرب العالمية الاولى ، منذ ان قال عبد الرحمن شكري « يا طائر الفردوس ، ان الشعر وجدان » الى ما بعد الحرب العالمية الثانية .. كانت هذه المرحلة هي مرحلة « العام السادس عشر » ... كانت تحمل في تعبيرها الادبي ، والشعري على وجه الخصوص . كل خصائص هذه المرحلة ... كانت منابعها الرئيسية هي الحب المحروم ، ووحدة الفرد وعزلته عن المجتمع ، والارتماء في احضان الطبيعة بحثا عن الامان وتهدئة القلق ..
وكانت هذه النزعة واضحة تماما في شعر « علي محمود طه وابراهيم ناجي والياس ابو شبكة وابو القاسم الشابي » ، وقد ظلت هذه النزعة مسيطرة عليهم حتى اخر لحظة في حياتهم وفيهم من مات فوق الاربعين مثل علي محمود طه ، ومن مات فوق الخمسين مثل ابراهيم ناجي ... ومع تقدم هؤلاء الشعراء في السن لم تتغير هذه النزعة على الاطلاق ... ذلك لانها كما قلنا كانت مرحلة في حياة اجتماعية كاملة . لا

مرحلة في حياة الافراد وحسب

وقد صور احمد حجازي هذه المرحلة . لانــــه عاشها في تجاربه الاولى ، بينما كانت المرحلة نفسـهــا في تجاربها الاخيرة ، وبعد ان صور هذه المرحلة فــي حياته تصويرا رائعا صادقا . ينتهي من ذلك وفــي نفس القصيدة الى ان هذه المرحلةلا بد ان تذبل وتتغير وتسلم الانسان الى مرحلة اخرى هي « العام التاسع عشر » ... وهو العام الذي يتحول فيه الشاعر تحوله الذاتي الخاص ، وهو ايضا رمز لبداية هذا الشاعر في طريق الحياة . فقد بلغت الحياة نفسها « عــامها التاسع عشر » ، وانتهت المرحلة الرومانسية وبدات مرحلة جديدة .

يقول احمد حجازي في ختام قصيدته الرائعة :

اصدقائي

نحن قد نغفو قليلا

بينما الساعة في الميدان تمضي

ثم نصحو ، فاذا الركب يمر

وإذا نحن تغيرنا كثيراً

وتركنا الأقبيه

وخرجنا نقطع الميدان في كل اتجاه

. . . .

أصدقائي

ماهي الساعة تمضي

فاذا كنتم صغاراً فاحلفوا ألا تموتوا

واحذروا عامكم السادس عشر !

... والرموز في القصيدة واضحة حتى لتكاد هذه الرموز ان تكون تعبيرا مباشرا لا رمزية فيه ... فـ « الساعة » هنا هي الزمن ، هي ايام الحياة ... و « الركب » هو المجتمع الانساني الذي يعيش فيه الفرد ... و « الاقبية » هي المنعطفات والزوايا التي كان الفرد ينعزل فيها عن مجتمعه ودنياه ، ليلتمس لنفسه مجتمعا ذاتيا خاصا عناصره هي الوهم والخيال والصمت والظلام ... واحيانا تكون الطبيعة هي عنصره الرئيسي ، يغني بها الانسان الرومانسي نفسه عن الناس ... وهكذا تعلن هذه القصيدة في رموزها البسيطة ، وبنائها الفني الذي لا يخدشه نقص على

الاطلاق ان شاعرنا قد تجاوز مرحلة العام السادس عشر . فترك دنيا « دون كيشوت » وما فيها من احلام واوهام ، الى ارض الواقع بما فيها من صراع ومشكلات مع الحياة والاشياء ... لقد « حلف الا يموت » وقرر « ان يحذر عامه السادس عشر » ... بل انه ليدعو الذين يعيشون معه ، ويمارسون تجربة الحياة في جيله ان يدخلوا ايضا معركة الوجود الاجتماعي ... وان يدركوا الحقيقة ... لقد مضت مرحلة العام السادس عشر ... ولن تعود من جديد

وهكذا يصل الفنان الى نقطة البداية ، او نقطة الانطلاق .

وهكذا تبدا قصة الانسان الذي يعبر عنه هذا الديوان .

انها تبدا كما قلنا بالثورة على مرحلة في حياة الشاعر الذاتية ، تقابلها ثورة مشابهة على مرحلة في حياتنا الاجتماعية ... وتصل « مراسيم » هذهالثورة الى تمامها عندما يأخذ شاعرنا اهبته لمغادرة بلدته « تلا » الى مدينة « القاهرة » ... و « تلا » هذه ليست مدينة بالمعنى الصحيح ، فهي مدينة صغيرة ، وقرية كبيرة في نفس الوقت ... ولكنها على الاجمال تتميز بكل ما يتميز به الريف في مصر من ميزاته

وخصائص ، وهي تزيد على ذلك انها قريبة الى عدد من المدن وعلى راسها مدينة القاهرة ، ولذلك فان اضواء المدينة وضوضاءها تصل الى حدودها . ثم تخترق هذه الحدود في هدوء وبلا عنف . فان هذه الحدود هي اخر مدى يمكنها ان تصل اليه ... على ان العين البصيرة الدقيقة ، كانت تتعلق بخيوط النور من المدينة الكبيرة ، لانها تعرف ان وراء هذه الخيوط عالما جديدا اخر ، يجذب اليه النفس الممتلئة بالامكانيات الفنية بالوان الطموح ، الراغبة في مزيد من تذوق الحياة ، ومعرفة اعماق تجربتها الحقيقية البعيدة ... وقد تعلق شاعرنا فعلا بهذه الخيوط ، وارتبط مصيره بها ، وصمم على ان يركب مركبه الصغير الى محيط المدينة العنيف ... ذلك المحيط الذي تصل اليه اصداء امواجه العاتية وهو قابع في مأمنه في « تلا » .

وتستطيع ان تتصور شاعرنا وهو يستعد للرحيل الى المدينة الكبيرة ، الى اكبر مدينة في الوطن العربي بل اكبر مدينة في الشرق الاوسط كله والاتبخل عليه بكل عواطف المحبة والاشفاق وانت تتصور آنذاك .. انه ينطلق بجناحه البسيط الذي لم يعرف مرارة التحليق في الافاق الواسعة حيث العواصف تلو

العواصف لا ترحم العصافير ولا النسور ... وهو ينطلق بزاد من المشاعر الفطرية الخالصة التي لم تتعقد على الاطلاق ، وهو ينطلق من المسافات الضيقة والشوارع المحدودة ، والمجتمع الصغير الذي يعرف فيه الناس بعضهم بعضا الى مسافات واسعة وشوارع لا حدود لها ، وناس كثيرين جدا قلما تستطيع ان تكتشف فيما بينهم اي نوع من العلاقة ... فالمدينة الكبيرة هي بحق كما يصورها اليوت « وحش ضرير او هوة للموت تبتلع من فيها وتحيل الفرد الى قزم » ... لقد جاء احمد حجازي الى « القاهرة » وحيدا لا يملك الا موهبته .. لم يكن يملك عملا بعد ان رفض عمله المحدود الضيق كمدرس في قريته ، ولم يكن يملك مسكنا مستقرا يأوي اليه عندما يأوي الناس الى عوالمهم الخاصة ، ولم يكن له في المدينة الكبيرة اصدقاء يعرفهم ويعرفونه ... كل شيء تركه في قريته الصغيرة وراءه ... وجاء الى المدينة متصورا ان موهبته سوف تكفل له ما ينقصه من عناصر الحياة وهو تصور فطري طبيعي ... ولكن كم كان امام هذا التصور من عقبات واقعية تحول بينه وبين التحقيق ! وقد لمس شاعرنا هذه الحقيقة الصلبة منذ اللحظة الاولى ، وكانت صدمة لوجدانه ومشاعره ظلت تعكس آثارها على شعره ، حتى اليوم ..والواقع

ان هذه التجربة العنيفة المريرة ليست تجربة احمد حجازي وحده ، ولكنها تجربة الكثيرين جدا من ابناء جيله ، وهذه التجربة نفسها هي الامتحان القاسي الذي يخرج الناس منه الى فئات وانماط مختلفة ، فلا بد له من حل هذا الاشكال والوصول الى طريقة للخلاص ، فالهدف البعيد الدائم للحياة الانسانية هو « التكامل » . التكامل الداخلي الذي يصنعه انسجام الذات مع نفسها ، وتسوية القلق والانقسام النفسي بطريقة ما . . والتكامل الاجتماعي، بأن يتم انسجام الفرد مع المجموع الذي يعيش معه ، طالما انه لايستطيع الاستغناء عن الحياة المشتركة مع الجماعة ... ولقد عرضت هذه المشكلة لكل ابناء الجيل الذي ينتسب اليه احمد حجازي .. واذا كانت المشكلة واحدة امام ابناء هذا الجيل ، فطريقة الحل مختلفة تماما ... هناك الذي اراد ان يتغلب على المشكلة عن طريق « العقيدة السياسية » التي يؤمن بها تمام الايمان ، ويجد فيها مأواه ومأمنه ، كما كان الانسان في العصور السابقة يجد مأمنه الكامل في الاساطير مثلا ، او كما يشعر الانسان المتدين نحو دينه ... ان دينه ليس « واجبا » وحسب ، بل انه بالدرجة الاولى طريقة الخلاص ، طريقة لتطهير النفس من ازماتها ، وتدريبها على التخلص مما يعرض للحياة من عناصر الشقاء ،

وما يعرض للنفس من تجارب فاشلة واسئلة لا تجد الاجابة الكاملة ... هناك من لجأ الى العقيدة السياسية كحل للمشكلة الكبرى التي تعرض له وما يتفرع عنها من تفاصيل وجزئيات .. وليس معنى هذا ان كل صاحب عقيدة سياسية انما يرتبط بعقيدته فقط لانها حل ذاتي لما يعتريه من قلق وانقسام نفسي وحنين الى التكامل الداخلي والتكامل الاجتماعي على السواء ... بل معناه على التحديد ان العقيدة السياسية الى جانب وظيفتها العامة انما تقوم بوظيفة ذاتية ، ولا يمكن تجاهل هذا العنصر على الاطلاق اذا ما اردنا ان نعرف حقيقة النماذج النفسية الموجودة في عصرنا ...

الى جانب العقيدة ، التي يلجأ اليها نمط من الجيل الذي يمثله وينتسب اليه احمد حجازي ، فاننا نجد طرائق اخرى للخلاص من مشكلة هذا الجيل .. هناك نمط « المنحل » الذي يجد في اللذة الحسية عقيدة تكفيه ، وتحقق له الانسجام النفسي الكامل ... ويجد « المنحل » اكتفاءه وخلاصه في الجسد الانثوي ، وفي الشراب وفي الطعام ، وفي اكتساب كل المظاهر الاجتماعية الشكلية من العناية البالغة بالملبس وطريقة الحديث وغير ذلك ... وهناك نمط ثالث يلجأ الى حل المشكلة عن طريق لا مفر لنا من

نسميته بـ « الانتهازية » .. انه مجامل منافق لا يقيم وزنا للقيمة الانسانية في سبيل الوصول الى مكان اجتماعي ، او سلطة مادية تمكنه من تحقيق مطالب حياته ، والوصول الى الاكتفاء النفسي ، واحاطة مشاعره بسياج يحميها من تسلل ذرات القلق والتمزق ... وهناك نمط آخر هو « المغامر » ... ذلك الذي يملأ فراغ حياته بخلق الاشكالات المنيفة المفتعلة ، والتماس التجارب الحادة التي تثير الحماس وتستنفد الطاقة الانسانية ، وتبدو طريقا للخلاص .. وهناك في آخر الامر ذلك الذي يختار الانطواء والعزلة ، يقتات في « منفاه » بأي شيء ... ربما بالقراءة ، ربما بالوهم والتخيل ، وربما بالاكتفاء بموقف المتفرج السلبي الذي قرر ان يقول امام كل اشكال يعترضه كما كان يقول احد ابطال سارتر .. « وما الفائدة ؟ »

هذه هي الانماط الرئيسية في الجيل الذي ينتسب اليه احمد حجازي ، وهذه هي طرائق الخلاص الكبرى بالقياس الى هذا الجيل ، فأي طريق اختارها شاعرنا واي حل ارتآه ؟.... اننا نود ان نقف لحظة لنرى كيف صور المشكلة ، وكيف عبر عنها .. وذلك قبل ان نبحث عن الطريق التي اختارها كحل اخير .. وفي هذا الديوان نجد اربع صور

للمشكلة التي يعانيها الشاعر ، والتي تلفح وجدانه . وتهز مكامن الابداع فيه ... والصورة الاولى لهذه المشكلة ، الصورة الباهرة الكبرى ، هي قسوة المدينة وتعقدها ... وتكاد هذه الصورة تلقاك في معظم قصائد الديوان ، وعلى الاخص قصائده التي يرتفع فيها الشاعر الى التعبير عن اعظم ما لديه من مشاعر وانفعالات ، فهذه القصائد تضرب دائما على وتر « الاحساس بالغربة » ... ففي قصيدته الرائعة العملاقة « كان لي قلب » يقول الشاعر :

وذات مساء

وعمر وداعنا عامان

طرقت نوادي الاصحاب لم اعثر على صاحب

وعدت تدعني الابواب والبواب والحاجب

يدحرجني امتداد طريق

طريق مقفر شاحب ،

لاخر مقفر شاحب

تقوم على يديه قصور

وكان الحائط العملاق يسحقني

ويخنقني

وفي عيني ... سؤال طاف يستجدي

خيال صديق

تراب صديق

ويصرخ أنني وحدي

ويا مصباح مثلك ساهر وحدي

ويتحدث عن « البشر في المدينة » في قصيدته « الطريق الى السيدة » . فيقول في تصوير صادق باهر وان كان اقل لوعة واخف صوتا من ذلك الصراخ الداخلي المتمزق العالي في « كان لي قلب » :

والناس يمضون سراعا

لا يحفلون

اشباحهم تمضي تباعا

لا ينظرون

حتى إذا مر الترام

بين الزحام

لا يفزعون

لكنني اخشى الترام

كل غريب ها هنا يخشى الترام

... ولنلاحظ « خوفه الريفي » من «الترام» تلك الالة التي هي علامة ظاهرة من علامات المدينة بالنسبة للريفي الغريب الذي لم يعرفها من قبل ، ولم يألفها ... فهي شيء جديد على حياته ..

وفي قصيدة « مقتل صبي » نقف امام صورة تدلنا دلالة واضحة على مدى ما يعانيه الشاعر في المدينة .. فالقصيدة تتحدث عن طفل صغير داسته عربة في الطريق ... ولكن الناس هنا بلا اسماء . لانهم كثيرون متزاحمون ، وكل مشغول بنفسه عن الاخرين ... من هو الطفل الذي داسته العربة ؟ من صاحب ذلك الدم الوردي الصغير الذي داسته اقدام قاسية ممزقة ومزجته بالتراب والغبار والزحام ؟. ابن من هذا الذي مات ذات صباح ... ذات مصادفة ؟... من امه ومن ابوه ومن شقيقته

وشقيقه ؟.. لااحد يعرف ، لان الناس هنـــا لا يعرفون الاطفال ، ولا يعرفون آباء الاطفال وامهاتهم لقد مات الولد الصغير وحمل معه « سره » :

الموت في الميدان طن

العجلات صفرت ، توقفت

قالوا : ابن من

ولم يجب أحد

فليس يعرف اسمه هنا سواه

ولم يجب أحد

فالناس في المدائن الكبرى عدد

جاء ولد

مات ولد

وفي قصيدته « انا ومدينتي » لا يجد نفسه الا « وريقة في الريح دارت ، ثم حطت ، ثم ضاعت في الدروب » ... ثم

لقد طردت اليوم

من غرفتي
وصرت ضائعاً بدون اسم
هذا أنا !
وهذه مدينتي !

و « الغرفة » هنا قد تكون غرفة حقيقية ، وقد تكون غرفة رمزية ، تدل على الأمن المفقود . او تدل على الريف الذي كان يعيش فيه من قبل ، ثم فقده او رحل عنه .. او « طرد » منه كما يتراءى لشعوره في لحظ الضيق والضياع ... فما يستطيع ضائع ان يقول انني اخترت الضياع .. ولكنه دائما مرغم عليه .. لقد صار « ضائعا بلا اسم » .

وفي قصيدة « الى اللقاء » تطل التجربة .. تجربة الشعور بقسوة المدينة ... على ان تفاصيلها قد ازدادت وتعمقت عناصرها ، ان القصيدة لا تعبر عن « الصدمة الاولى » للتجربة ، ولكنها تعبر عن التجربة بعدالممارسة،ومحاولة تكشف الوسائل المختلفة التي تيسر على الشعور المرهف ، امكانية تحمل التجربة القاسية ، ما دام لم يعد هناك مفر من تحمل هذه القصيدة يصور احمد حجازي نهار المدينة ، ولياها

... انه في المرحلة الاولى من تجربته لم يكن يعرف التفاصيل ، بل كان يعتمد على الانطباع الاولي العام اما الان فقد عرف ان :

شوارع المدينة الكبيرة
قيعان نار
تجتر في الظهيرة
ما شربته في الضحى من اللهب
يا ويله من لم يصادف غير شمسها
غير البناء والسياج ، والبناء والسياج
غير المربعات ، والمثلثات ، والزجاج

ثم يتحدث عن ليل المدينة بعد أن تحدث عن نهارها :

الليل في المدينة الكبيره
عيد قصير
النور والأنغام والنساء والشباب
والسرعة الحمقاء والشراب

عيد قصير
شيئاً ... فشيئاً ، يسكت النغم
ويهدأ الرقص وتتعب القدم
وتكنس الرياح كل مائده
فتسقط الزهور
وترفع الأحزان في أعماقنا رؤوسها الصغيره

... ولكن هذه الرؤوس الصغيرة تظـل تنمو وتنمو حتى تصبح كائنات تسيطر على النفس، وتشيع فيها الكآبة والاسى .

وفي قصيدة «حب في الظلام» يعبر عن التجربة بطريقة اخرى، فهو وحيد طريد يريد ان يقول لحبيبته انه يحبها فلا يستطيع ، وعندما ينفرد بنفسه ينسى احزانه ، ويلتمس في ضوء المدينة وحيويتها انيسا له، فيتصور مدينة جميلة، الناس فيها يعرفونه ويعرفهم، ويتحدثون اليه ، ويسألونه عن حبه ، عن اشيائه الخاصة . انه في هذه المرة لا يحكي عن قسوة المدينة بطريقة مباشرة ، بل يتحدث عن هذه القسوة بطريقة نفسية خاصة ، فهو يتصور المدينة كما يتمناها لا كما

هي موجودة في الواقع ، ويمنح هذه الصورة الوهمية حبه ... وهمسه . وانت لا تستطيع ان تهمس الا لحبيب ... وهو في هذه القصيدة يتحدث عن حب لم يستطع ان يبوح به لصاحبته ... ثم

ولكنني في المساء أبوح
أسير على ردهات السكينه .
وافتح ابواب صدري
واطلق طيري
أناجي ضياء المدينه
أذا ما تراقص تحت الجسور
اقول له يا ضياء ارو قلبي فاني أحب
اقول له يا أنيس المراكب والراحلين أجب
لماذا يسير الحب وحيدا
لماذا تظل ذراعي تضرب في الشجرات
بغير ذراع
ويبهرني الضوء والظل حتى ،

احس كاني بعض ظلال ، وبعض ضياء
احس كان المدينة تدخل قلبي
كان كلاما يقال وناسا يسيرون جنبي
فاحكي لهم عن حبيبي

تلك هي المدينة التي يحلم بها ... ان يكون هناك «كلاما يقال وناسا يسيرون جنبي» ... وهو يتخيلها ويتصورها طالما انها صعبة التحقيق في الواقع الملموس

وفي قصيدة اخرى تطل المشكلة بعنف ومرارة، من جديد ، تلك هي قصيدة «رسالة الى مدينة مجهولة» ... وهو يبعث فيها برسالة الى والده الذي مات، يحكي له فيها حكايته هو ... وفي هذه القصيدة يقول :

أبي
وكان أن عبرت في الصبا البحور
رسوت في مدينة من الزجاج والحجر
الصيف فيها خالد ، ما بعده فصول
بحثت فيها عن حديقة ، فلم أجد لها اثر

وأهلها تحت اللهيب والغبار صامتون
ودئماً على سفر
لو كلموك يسألون كم تكون ساعتك ؟

.. هذه مرحلة اخرى من مراجل الصورة الاليمة المريرة التي يلحظها في الناس داخل المدينة ، فالشيء الذي يحكم علاقاتهم هو السرعة ، والعجز عن

الارتباط الانساني المتأني الأنيس .. حتى اذا سألوك عن شيء فعن «الساعة»، وهي نفسها رمز من رموز «السرعة» ... انها رمز للطرف الثاني من اطراف الصراع داخل هذه المدينة المليئة بالأحزان .. هذا الطرف هو «الوقت» فما اكثر ما يتحمله انسان المدينة من اعباء صغيرة لا تنتهي ، ومن خلال هذه الاعباء المتراكمة تذوب مطالبه الانسانية الحقة .

هذه اول صورة للمشكلة التي يعانيها شاعرنا كانسان ، والتي يعبر عنها في شعره ، تعبيرا صادقا نابضا مليئا بعمق الرؤية وعمق الاحساس حتى انك تستطيع ان ترى في هذا التعبير جيلا بأكمله ، او ترى بتعبير آخر « قاق جيل » يسلك عديدا من الطرق ويستخدم اكثر من وسيلة كي يصل في نهاية الامر

الى التكامل الذاتي ، والتكامل الاجتماعي ... كي يتغلب على انقسام نفسه وتمزقها في مشكلات متلاطمة بلا حل ، وكي يتغلب على الانقسام بينه وبين المجتمع الذي يعيش فيه اما بتغيير هذا المجتمع او بتغيير ذاته ... هذا كله يصوره شاعرنا في ثلاث صور أخرى غير الصورة السابقة وهي قسوة المدينة .

فهناك من ناحية : «الشعور بالمأساة» ... ذلك الشعور الذي يشيع في قصائد الديوان ، وفي اختيار التجارب التي يعبر عنها .. والديوان في مجمله هو «تراجيديا» عنيفة ... هو شعور غامر بمأساة ، وتعبير متعدد الجوانب عن هذه المأساة، فمعظم القصائد التي يمكن ان نسميها قصائد ذاتية انما تنبعث من هذا الشعور ، ولكن القصائد «الذاتية» لا تدل وحدها على عمق المأساة الغائرة في نفس الشاعر بل تدل على ذلك ،القصائد ذات الموضوعات الخارجية ..القصائد التي تكون خامة التجربة فيها من موضوع خارج ذات الشاعر ... ان هذه القصائد كلها تعبر عن مأساة وتنبع منها ، واذا كان الشاعر يجد في تجاربه الذاتية عناصر المأساة تتسرب الى حياته ، ثم تظهر في شعره، فان شيئا آخر يواجهنا في هذا الديوان هو ان يلجأ الشاعر بمحض اختياره الى الموضوعات الخارجية التي يكون جانب المأساة فيها واضحا بارزا قويا ...

هناك غير التجارب الذاتية المباشرة في الديوان قصائد تستمد تجاربها من موضوعات عامة ، وهذه القصائد هي : مذبحة القلعة ، بغداد والموت ، سوريا والرياح، صبي من بيروت ، قديسة . وفي هذه القصائد كلها يطل علينا «الشعور بالمأساة» بارزا واضحا ... فمن الواضح ان الذي اغرى شاعرنا بصياغة القصيدة التاريخية المعروفة عن مذبحة القلعة هو ما في هذه القصة من جانب تراجيدي وما فيها من تشابه الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر والرؤى التي تملأ دنياه ... فالمعنى المباشر الذي يسود هذه القصيدة هو ان المماليك كانوا متأهبين للفرح بالحياة، فاستعدوا لأفراحهم ، ولبسوا اجمل الثياب ، وركبوا خيولهم القوية التي تبعث في النفس مزيجا من الاحساسات ، ثم سار هؤلاء المماليك في «الموكب» تدق امامهم موسيقى وتستثير خيالاتهم احلام حلوة ، واماني جميلة ... وبينما هذا الموكب السائر الفرحان بالحياة ، الراغب في مزيد منها والمتطاع الى مختلف جوانبها ... بينما هذا الموكب يمضي في طريقه اذا بالكارثة تقع :

دخلوا القلعة ثم التفتوا في بعض ريبه

فاذا بالباب يرتد هناك

وإذا صوت الجموع
صادر من خلف باب .. من هناك
« اطلقوا » !
قالها قائد جند الأرناءوط
« اطلقوا » !
فالنار تهوي كالخيوط
كالمطر
زغردات مستريبه
تتردى بين أسوار وابراج رهيبه

وهكذا يقع الاعتراض علــى «الرغبة في الحياة» على « الرغبة في الفرح » ، وتتلوث كل الثيــاب التي استعد بها المماليك لخلق دنيا مــن السرور المجنــح

والسير في موكب النشوة بلا مخاوف او احزان.. هذا هو ما حدث للمماليك ، وهذا ما يحدث لشاعرنا الانسان كل يوم : رغبة عارمة في الفرح .. رغبة عارمة في الحياة .. ارادة تريد ان تنطلق في عالم السرور والتجربة ... جناحان فيهما حنين لاختراق ثلوج

الحزن واذابتها فاذا هي امواه غدير ، وطيور حلوة تحسو القطرات العذبة ، وربيع اخضر يتثنى هنا وهناك ... ولكن هذه الرغبة العارمة ما تكاد تولد حتى تعترضها العقبات تلو العقبات ، ومن هنا ترتد هذه الرغبة النابعة من مكامن الفرح في الذات الانسانية لتصبح جزءا من احزان تلك الذات وآلامها ... وهذا هو الخيط الذي امسك به شاعرنا في مأساة مذبحة القلعة ، لقد استعاد التفاصيل الانسانية،لاالسياسية، في هذه المأساة التاريخية ، واعاد بناء هذه التفاصيل، واستجابت له ملكاته الشعرية استجابة فذة لانه وهو يعيد بناء هذه المأساة ، كان في الواقع يلمح التطابق بينها وبينه . فكل رغباته في الحياة تذبح امام العقبات فيما يشبه المؤامرة او التدبير، وثياب افراحه المزركشة لا يكاد يأتي الليل الا وقد تناثرت فوقها بقع حمراء من الدم ، بعد ان كسرت الاحداث والعقبات رقبة كل عصفور حلو من عصافير افراحه وامانيه .

نفس المطابقة بين الذات والموضوع في القصائد الاخرى ذات الموضوعات العامة .

في «بغداد والموت» تطل صورة الشهيد صلاح الدين الصباغ لتحكي حكاية انسان يريد الحياة ويدافع عنها .. حكاية «حيران بالحلم النبيل» ... ويبلغ الشاعر قمة روعته وهو يعبر عن احزان بغداد،ويرسم

في صورة باهرة ما كانت تعانيه من الآلام في ذلك العهد الكئيب من عهود تاريخها ...

بغداد درب صامت ، وقبة على ضريح
ذبابة في الصيف لا يهزها تيار ريح
نهر مضت عليه أعوام طوال لم يفض
واغنيات بحزنه
الحزن فيها راكد لا ينتفض
وميت ، هيكل انسان قديم
سيف على صدر الجدار ، خنجر من النضار
اردية ملونه
غطت ضلوعاً من هشيم
وامرأة تغلق في وجه المساء بابها
تبكي على اخشابه احبابها
واوجه منقبات لا تبوح

وهذا الحزن الغامر ، ليس صورة من احزان بغداد في فترة من فترات تاريخها وحسب ، بل ان

هذه الصورة تتطابق مع احزان الشاعر نفسه ... انها في نفس الوقت صورة من عالمه الداخلي ، على انها صورة خاصة من ذلك الحزن الكئيب الذي اجهده طول الكفاح فالتمس العزاء في نوع من الغفوة والسكون .. وهي حالة اخرى غير حالات التمرد والصراخ والعنف، وان كانت تحتوي في داخلها على استعداد لمعاودة الصراع ... انها تلك اللحظة التي تنساب فيها دموع العين بيسر وهوادة وغزارة . فاذا ما وصلت الى الفم بلغ الاستسلام المتحفز الصابر بالانسان ذلك الحد الذي يشرب فيه دموعه دون مقاومة ، ودون تغيير لمجرى تلك الدموع ... هذا هو نوع الحزن الذي يصوره شاعرنا في ذلك المقطع الكئيب، انك تكاد تحس ان كل شيء قد اصابه الركود والتوقف عن الجريان . اما النغم المختار لتصوير التجربة فهو «الرجز» ... ذلك النغم الشعري الهادىء المنساب ، المتماثل مع طبيعة تلك الحالة تماما

وفي قصيدة «قديسة» يلقي الشاعر بنظراته الى الجانب الذاتي الحزين في مأساة البطلة جميلة ابو حريد، ذلك الجانب الذي تتطابق فيه «أحزان جميلة» مع احزانه هو ، واحزان ابناء جيله ، هؤلاء الراغبين اشد الرغبة في الحياة ، والعاجزين في ذات الوقت عن تحقيق تلك الحياة ... هؤلاء الذين يمثلون في

جانب من جوانب حياتهم اسطورة «سيزيف» اليونانية القديمة . . فـ «سيزيف» يريد ان يرفع صخرة الى قمة الجبل ، ويظل يسعى ويناضل حتى يصل الى بداية القمة وقد ركب الاهوال من السفح حتى تلك الغاية ... واذا بـ «الصخرة» تتدحرج لتعود الى السفح ، ويعود معها «سيزيف» ليبدأ الكفاح من جديد ثم تتكرر القصة باستمرار .. واسارع فأقول ان قصة «سيزيف» هذه لا تنطبق على جيلنا من جانب : انها تصور العجز عن البلوغ الى غاية معينة ، وعدم جدوى الكفاح في تحقيق تلك الغاية ... كلا، فالجيل الذي يعبر عنه أحمد حجازي يعرف لنفسه غاية، بل وغايات كثيرة .. ولكن ما هو السبيل لتحقيق تلك الغايات ؟ ... ان الاضطراب والقلق والحزن تنبع كلها من التفكير في الوسائل ... واحيانا كثيرة يصبح الانسان البصير بغايته الذي يعرف نهاية المطاف في مأزق نفسي مرير ... ان قلقه ليس في البحث عن «غاية» و «هدف» ... بل القلق ، فيما يحول بين تلك الغايات والاهداف من عقبات ... ان «سيزيف» عصرنا يعرف انه يريد ان يضع الحجر على قمة الجبل ، ويعرف قيمة هذا الامر تماما ... ولكن الغاية السليمة ... ينبغي ان تتوفر لها الوسيلة السليمة ايضا ، حتى لا يتدحرج الحجر كلما شارف

البلوغ الى القمة ... هذه هي المحنة ، هذا هو مصدر القلق .

وقد اختارت «جميلة» وهي من ابناء جيل احمد حجازي ... اختارت لنفسها طريق التضحية لتصل الى قمة الجبل ... ولكن كم كان في هذا الطريق من متاعب ... يصورها لنا الشاعر خير تصوير ، ويعبر بها عما يحسه في نفسه هو ، ولكنه لا يقول لنا ابدا : توقفوا عن التضحية لانها طريقة شاقة متعبة محزنة ... كلا بل يقول شيئا آخر ... انه يقول : اعرفوا قيمة التضحية لان ثمنها غال ... فلترد من اعجابنا بتضحية «جميلة» ولنعرف لها عظمتها الباهرة ... انها انسانة عظيمة .. قديسة :

لم تبتسم جميله

لم تفترش عشباً بجنب عاشق تحت القمر

لم تعرف اللثما

لم تعرف الغرام إلا خاطراً ، حلما

فقد مضى كل فتى في سنها إلى الجبال

. . . . . .

وكلما تذكرت يا سيف
كادت تطير
يا سيف تحت الارض يمسك المدينه
يا سيف من خمس سنين لم ينم
يا سيف عندما يراها يبتسم
يحب ترديد اسمها
يسألها عن امه عن امها

وهذا هو الذي يضنيه ضنى المتمردين لا ضنى المستسلمين العاجزين .. ان امام الرغبة في الحياة عقبات تخلق الحزن ، واحد انا جميلة كأحزانه ، كأحزان ابناء عمره وعصره . فمأساة جميلة في معناها الانساني تتطابق مع احزانه تماما ... ما وجه الشبه كما يقولون ؟ ... ان وجه الشبه هو : رغبة فطرية حارة في الحياة تحول بينها وبين التحقيق عقبات وعقبات ... على ان هذه العقبات لا تؤدي الى السلبية والسكون ... ولكنها تؤدي الى نوع عنيف من الايجابية يشوبه الحزن ، ويقطر منه أسى لا يغفله الشاعر وانما يتبناه ... وكل صاحب قضية كبيرة مثل جميلة انما يدافع في الاساس عن قضايا فطرية

طبيعية كالحب والامن وطمانينة النفس ... وصاحب هذه القضية عندما يدخل ميدان المعركة فانه يدخلها بنفس قوية ولكن هـذه النفس مع ذلـك تستشعر الحزن الذي يمتزج بقوتها فيزيدها رصانة .

وفي «صبي من بيروت» و «سوريا والرياح» تتطابق الاحزان في الموضوعات التي يعبر عنها شاعرنا مع احزانه هو .

ذلك هو «الشعور بالماساة» الذي يشيع في التجارب الذاتية لاحمد حجازي ، ويشيع في الموضوعات العامة التي يعالجها بمحض اختياره ، او التي يعالجها عن طريق الاختيار ايضا ولكن بدافع من الضمير الانساني والوطني الذي يستجيب له قلبه الموهوب .

وصورة اخرى من صور المشكلة التي يعانيها شاعرنا ويعبر عنها ... تلك الصورة هـي «الفراغ النفسي» ... «الوحدة الروحية» .. وتتمثل هذه الصورة على التحديد في تجربة «المراة» في حياته ، او تجربة الحب ... فابن العام السادس عشر ، عندما انتقل الى دنيا كفاحه في عامه التاسع عشر كان لا بد لقلبه ان يرتوي وهـو ظمآن ... انه لـم يعد ظمآن بالطريقة الرومانسية التي تعتمدعلى الوهم والخيال .

ولكنه اليوم يشعر بذلك الظمأ الفنى الواضح الذي هو احتياج حيوي اصيل يحس به الشاعر الانسان.. ولكن ما افرغ الجراب من حصاد النهار ، وحصاد المساء ! ... ان شاعرنا محروم من واحدته ، فارغ الوجدان ، بينما دنيا هذا الوجدان الموهوب مفتوحة النوافذ والابواب . وما من طارق يحن ، وما من طائر يريد ان يستقر هنا ويغني على هواه ... ربما كان سبب هذا الحرمان هو الضائقة المادية التي فرضت على الشاعر وعلى ابناء جيله مزيدا من العمل والكفاح ، والانطلاق بلا أعتماد على شيء في ميدان الحياة ... الانطلاق من نقطة الصفر ... وربما كان السبب هو ضيق الافق الذي يسيطر على المجتمع فيختنق فيه كل التجارب المفتوحة ... والذي اوشك ان يدفع بهذا الشاعر ، لولا قوته وصلابته واصالة منبته في دنيا المواهب ، الى ان يكون نديما يغني للناس .. وهم يشربون ويطربون .. ثم يتفرق السامرون الى اعشاشهم .. ولا عش يؤويه ، ولا طائر يضم جناحيه حول روحه الوحيدة المنفردة الاسيانه ليدفيء عظامه ، ويشعل عناصر الحياة فيه ... ولكن الشاعر الموهوب وقف امام المشكلة يعرضها ويغنيها ويصرخ صرخات الذي يعرف انه مسلوب الحقوق .. في هذا الديوان تعبير صارخ

رائع عن تجربة الحب ... وهو دائما حب واضح .. ولكنه حب ناقص او حب فاشل ... وقد تعود الى الذهن هنا ذكريات عن الرومانسيين وطريقتهم في الحب ، فهم ايضا كانوا يضربون على وتر الحب الناقص او الحب الفاشل ... ولكن الفرق جوهري رئيسي .. فالحب المأزوم هنا حب مفهوم لا غموض فيه .... العقبات التي تعترضه واضحة ، ويمكن ادراكها ... ليس مثل ذلك الحب الرومانسي الذي ينشأ في غموض ، ثم يفشل او ينهار ايضا — في ميدان التعبير الفني — بطريقة غامضة ... على ان هناك فرقا آخر بين الحب هنا، والحب الرومانسي.. ذلك هو الفرق في طريقة الاداء الفني ... وهو فرق جوهري سنعرض له بعد قليل .

في قصيدته العملاقة « كان لي قلب » يفشل حبه ، لان هذا الحب كان يتناقض مع الفكرة المثالية التي رسمها الشاعر لنفسه عند ميلاد هذا الحب ... لقد كان الشاعر في البدء «خامة» فيها امكانيات التشكل في قالب ما ، ولكنها لم تكن قد تشكلت بعد ... لا بد ان تتحول «الهيولي» — كما يعبر ارسطو — الى صورة ... ولم يكن امام الشاعر طريق غير الفن ... ان الصورة التي يريد ان يصبح عليها هي صورة «الشاعر» ... يريد ان يكون شاعرا! في

سلوكه كما كان شاعرا بموهبته ... ولكن أي شاعر ... لقد اختار اول صورة وقعت عليها عيناه ، واراد ان يحققها ويطبقها في مجال الحياة ... ان الشعر في هذه المرحلة من حياته كان هو الحياة ، لم يكن قد شعر باحتياجات اكبر من احتياجه للتعبير الفني ... كان ما زال في بدء الحياة ... وكانت نظرته الى الامور تتشكل حسب علاقتها بشعره ، اذا كان الانسان او الموقف يؤكد ايمانه بشعره فهذا هو الشيء المرغوب فيه تماما .. وكان هذا هو السبب الذي ادى الى فشل حبه :

. . . . . .

وكان وداع
جمعت الليل في صمتي
ولفقت الوجوم الرحب في صمتي
وفي صوتي
وقلت ... وداع !
واقسم لم اكن صادق
وكان خداع
ولكني قرأت رواية عن شاعر عاشق
اذلته عشيقته ... فقال وداع

ولكن انت صدقت !

• وهكذا فشل حبه ، لانه كان يقيس هذا الحب بمقياس «الشعر» .. كان يريد لهذا الحب ان يفشل، طالما ان الشاعر الذي يتمنى ان يكونه قد فشل في الحب ... وفي هذه الصورة الرائعة تعبير عن نمط من المشاعر المعروفة ، ونمط من الناس يقضي حياته على هذه الطريقة . فيتصرفون تقليدا لنموذج يضعونه امامهم ، فلا يصدر سلوكهم عن مصدر ذاتي ، وضرورة خاصة بهم هم ... على أننا نحسب الامر يبدو بسيطا محدود الجوانب اذا ما كان هذا هو السبب الوحيد لفشل الحب الاول لهذا الشاعر ... اما السبب البعيد ، فهو ان طاقة الطموح التي تفجرت فيه آنذاك كانت تريد ان تتجاوز كل ما يوحي اليه بالاستقرار ويجذبه الى الدعة والهدوء ... ما من نفس انسانية يشغلها هذا النوع من الطموح الى تحقيق امكانياتها يمكن ان تجعل الحب في الدرجة الاولى من اهتمامها ... ان النفس في هذه المرحلة تكون مثل المياه المخزونة على مر الايام امام سد من السدود ... وفجأة ينفتح السد فتندفع هذه الامواه بعنف يكتسح التفاصيل والجزئيات ... وبعد فترة يتخلص مجرى النهر من اندفاعه ويعود الى هدوئه وانسيابه الطبيعي .. وهذا ما حدث بالنسبة لشاعرنا ، لقد كان كل شيء يجره الى المدينة ، وكان يدعوه الى ان يترك قريته الوادعة الساكنة احيانا الى حد الجمود

ليخرج الى مجال فيه صراع اوسع واعمق ليبحث لنفسه في هذا المجال عن مكان ... وبعد ان دخل هذا الصراع وعرف اطرافه واصبح الشعر وسيلة للتعبير ولم يعد غاية بدأ يفكر في تجاربه.. وبدا يشعر انه وحيد ... وان صداقة الفن لا تكفي قلق الروح وما فيها من ظمأ عنيف الى الحياة ، عندما يلفحه الواقع بنيران الوحدة القاسية المريرة .

انه يقول في نوع من الاستسلام الذي يعني انه اصبح يعرف ، بعد طول صراع ، معنى أن يكون له في دنيا الآخرين حبه وهواه :

ملاكي ! طيري الغائب

تعالي ... قد نجوع هنا

ولكنا هنا اثنان

ونعرى في الشتاء هنا

ولكنا هنا اثنان

تعالي يا طعام العمر

ودفء العمر

تعالي لي

وتفشل تجربة الحب مرة اخرى في «قصة الاميرة والفتى الذي يكلم المساء» ... والجانب الموضوعي في هذا الفشل هو مصدر آخر من مصادر القلق

المرير في حياة الشاعر ... ذلك الجانب هو ضعف الانسجام بين العقيدة والسلوك في حياة الشاعر ... ذلك الجانب هو ضعف الانسجام بين العقيدة والسلوك في حياة النماذج التي يلتقي بها ... اما هو فيريد ان ياخذ العقيدة والسلوك ماخذا جديا فيوحد بينهما . ويتصرف مع الاشياء والناس حسب ما تمليه تلك الوحدة الكاملة بين العقيدة والسلوك.. وها هو بطل قصيدته الباهرة يلتقي بفتاة ، وهو وهي يشتركان في عقيدة واحدة ، ومن خلال العقيدة ينطلق شعور بالحب في قلب «الفتى» . وبسبب العقيدة يتصور «الفتى» انه حب طبيعي وسوف ينجح .. اما «الاميرة» فكانت تتكلم عن العقيدة . وتعلن ايمانها بها ، فتزداد شعلة الاعجاب في نفس الفتى تالقا . ويظن ان الفارق الاقتصادي والاجتماعي بين مستواه المتواضع ومستواها المرتفع لا قيمة له امام امرين . الاول هو كفاحه وارتفاع مستواه العقلي والعقائدي. والثاني هو ان الفتاة نفسها مثقفة وعقائدية ، وما كان يخطر على بال الفتى ان هناك شيئا اقوى من الثقافة والعقيدة في ازالة الفوارق المصطنعة الشكلية ... ولذلك اندفع الفتى في حبه حسب القاعدة البسيطة التي تقول : ان السلوك والعقيدة وحدة كاملة ... فالفتاة تظهر ايمانها بالاشتراكية عندما تقول :

قلبي على طفل بجانب الجدار

لا يملك الرغيف

ويقول لهذا الفتى آناك

سيدتي انا فتى فقير
لا املك الماس ولا الحرير
وانت في غنى عما تضم اشهر البحار من لآل
فقلبك الكبير جوهره
جوهرة نادرة في تاج عصرنا
ولو قضيت عمري الطويل اقطع البحار
وانشر القلاع
وابسط الشباك ، اقبض الشباك
لما وجدت مثلها
لكنني وجدتها هنا
وجدتها لما سمعت لحنك المنساب كالحرير
يبكي لطفل نام جائعاً

لكنها قالت له بعد ان خدعته عن حقيقتها طويلا :

... لا ، انت شاعر كبير
يا سيدي انا بحاجة إلى امير

وهذا التناقض بين السلوك والعقيدة ، او بين

السلوك الواقي والرأي النظري .. هو واحد من اكبر الاشكالات التي تؤدي بشاعرنا الى قلقه وتمزقه ... ذلك لان ارتباطه بافكار الاخرين واشتراكه معهم في النظرة الواحدة الى الاشياء ... هذا الارتباط يخلق له مجتمعا معينا ، ولكنه آخر الامر لا يجد نفسه في هذا المجتمع على حقيقتها ... ان المجتمع المكون من شباب وفتيات يقدمون الاعجاب بفنه ، او يلتقون معه على هذه الآراء او تلك يشبهون في جانب من جوانب علاقتهم به سوقا كبيرة ... تجتمع هذه السوق وتأتلف في وقت معين ... ثم تنفض السوق ، ويبحث شاعرنا عن الزاد الذي كسبه من اندماجه العنيف في تلك السوق فلا يجد الا اشياء عائمة غير ملموسة ... اين الصديق الذي يملأ فراغ النفس عند الوحدة والانفراد ؟ اين الفتاة التي تملأ القلب عندما تنصرف الجموع ، ويعود هو الى عزلته ومأواه ؟ ... اليس في هؤلاء جميعا الا كلمات اعجاب ومودة ومواثيق لفظية حول الاتفاق في الافكار والآراء ؟... ان الخلاف القديم قائم لا يزال ... انه واحد من ابناء الطبقة الوسطى الصغيرة تقدم بوعيه وفنه الى ان وجد نفسه في وسط من الوعي هو وسط الطبقة الوسطى الكبرى في المجتمع العربي كله ... ولا يمكن ايجاد العلاقة الحيوية الحاسمة بين هذين المستويين عن طريق الفن او عن طريق الالتقاء العقائدي ... ستظل هناك درجة من الاختلاف والانفصال ... تظهر هذه الدرجة عندما يعود كل انسان من هذه الجماعة الى عالمه الخاص ،

فعالمه الخاص قاق، والآخرون ذوو عوالم خاصة اكثر استقرارا وراحة .

والحب الفاشل او الناقص يظهر في عدد آخر من القصائد لأسباب اخرى متعددة ، انه يتوهم حبا ولقاء في «حلم ليلة فارغة»، ويحب ولا يستطيع ان يكشف عن حبه في قصيدة «حب في الظلام» ... وهكذا في قصائد متعددة اخرى .

على ان الفراغ النفسي ليس مظهره الوحيد هو « فراغ العاطفة » وان كان هذا الحرمان العاطفي هو العنصر الرئيسي في الفراغ النفسي ... ولكن المشكلة تنعكس في صورة احتياجات وجدانية اخرى يعبر عنها في موقفه من الآخرين ... وفي عدد من قصائد الديوان تنطلق صرخات نفسية حادة يشكو فيها الشاعر من ان العلاقة بينه وبين «الآخرين» علاقة ممزقة ... ومن هم الآخرون على وجه التحديد ؟.. ان الحب ألفاشل او الحب الناقص قد احوجا ذاته بعنف مرير الى الصديق ، ولكن ماذا يفعل الصديق ، وأين يلقاه ... ان الصداقة في عالم المدينة عمرها قصير ... انها لقاء ثم تطويه المسافات الواسعة ، والزمن المشحون بالاشياء الصغيرة ... فمهما كانت الصداقة فانها في نهاية الامر تتركه وحيدا ، تحيط بوجدانه الاعاصير والانواء .. ففي نهاية رحلة الصداقة هناك كلمة هي «الى اللقاء» ... وكلمة اخرى هي «الوداع» :

يا اصدقاء
لشد ما اخشى نهاية الطريق
وشد ما اخشى تحية المساء
إلى اللقاء
أليمة إلى اللقاء و « اصبحوا بخير »
وكل الفاظ الوداع مرة ،
والموت مر
وكل شيء يمزق الانسان من إنسان

وفي قصيدة اخرى هي «كان لي قلب» تنطلق هذه الصرخة الباقية :

. . . . .

وفي عيني سؤال طاف يستجدي
خيال صديق
تراب صديق
ويصرخ .. انني وحدي

وهكذا فقد مزقت المدينة بقسوتها ومسؤولياتها حبه ، ومزقت صداقته ، وبالاحرى جعلتها علاقة انسانية لا تشغل ذلك الفراغ المرير الذي يواجهه كل

لحظة ، لان الاصدقاء في نهاية الامر يتركونه وحيدا فريدا يقتات احزانه الفائرة ، ويلعق جراحه الكبيرة .. فماذا بقي من علاقته بالاخرين ؟.. هل تكفي تلك العلاقات اليومية ، القائمة على اساس المنفعة ، او الضرورة ؟.. هل . تكفي تلك العلاقات القائمة بين ناس يلهثون ولا يسألون الا عن الساعة .. هؤلاء الذين تزدحم بهم مدينته ؟. في احدى قصائده ، يستعير فكرة من « سارتر » ليعبر بها عن المشكلة ... هذه الفكرة ، هي ، ما تجسده العيون من حقائق نفسية داخلية في اعماق الانسان وما تكشف من خبايا الوجدان والمشاعر . يأخذ شاعرنا الفكرة ويلتقطها ليعبر عن موقف الاخرين ، او عن موقفه مع الاخرين ... انهم ليسوا من هذا النمط الذي ينفجر معه جرح الحب الفاشل او الحب الناقص ، وهم ليسوا من ذلك النمط الذي يقوم بدور الاصدقاء بما في المدينة الكبيرة من احتجاجات واعتراضات على الصداقة ... ولكنهم نمط ثالث ، نمط عام : قد يلقاه في العمل او في الشارع او في الترام او في معاملاته المادية الاخرى داخل نطاق المجتمع .... وهؤلاء تكشف العيون عن خباياهم ، وليس في هذه الخبايا الا كل شيء يخيف ... هم هنا مثل بائع الفحم في قصة « فرانز كافكا » التي اسماها «حامل الوعاء » ... ان حامل الوعاء تتقاص ضلوعه من برد الشتاء ، وهو يريد ان يشتري بعض الفحم ، ولكنه

لا يملك ثمنه ، وقد ذهب الى بائع الفحم ليطلب منه بعض فحمه لعله يتغلب على ذلك البرد القاتل بما في الوقود من دفء . . وظل حامل الوعاء يصرخ وينادي على بائع الفحم ، وبائع الفحم يؤكد لزوجته ان احدا لا ينادي عليه ، وانما هي اصداء العاصفة . انت من هنا او هناك .. وهو في الحقيقة يسمع جيدا ،ولكنه لا يريد ان يستجيب الى محتاج لن يعطيه ثمن الفحم الان . . . هكذا عيون الاخرين :

لو انني افصحت عما في العيون

عريت قوماً من ثيابهم

لو انني جسدتها قولا سحابات الظنون

لأغلق الناس العيون

لهول ما يشاهدون

هذه هي عيون الاخرين ، وهي الاخرى تدعم احساسه بالوحدة ، واحساسه بالفراغ النفسي بكل ما فيه من مرارة وعنف .

بقيت صورة من صور المشكلة التي يعبر عنها احمد حجازي ، فالى جانب « قسوة المدينة » و « الشعور بالمأساة » و « الفراغ النفسي » نجد ان « الحنين الى الريف » يتردد في عدد غير قليل من قصائده ، و « الحنين الى الريف » ليس الا مظهرا من مظاهر القلق والضيق بالمدينة ، وليس الا تعبيرا

عما يلقاه في هذه المدينة من عقبات تقف في وجه رغبته العارمة في الحياة ، ففي المدينة حيث التشتت والقلق والوحدة والانفراد وتمزق العلاقات الانسانية وقسوتها في الحب والصداقة وعلاقة العمل ... في المدينة حيث هذا كله يحن « ابن الريف » الى الحياة الوداعة الطيبة الضيقة المنسجمة مع بعضها البعض في معظم القضايا والعلاقات .. ولقد يكون هذا الاسم الموجود في حياة الريف انسجاما سلبيا معتمدا على عناصر من الوهم والخرافة وبطء الحياة ، ولكنه على اي حال يمثل شيئا بالنسبة لشاعرنا ... شيئا يفتقده فلا يجده ... شيئا يحن اليه فلا يعثر عليه ... والحنين الى الريف هو شعور شائع لدى الفنانين الذين يعبرون عن القلق والضيق بالحضارة العصرية فالشاعر الانجليزي الامريكي العالمي « ت.س.اليوت» يعبر في شعره كثيرا عن الحنين الى العالم الزراعي بل والحنين الى عالم العصور الوسطى حيث لا صناعة ولا ضجيج ولا « رجال جوف » ... بل انسجام وهدوء وطبيعة انسانية متصلة بالمظاهر الكونية المختلفة ... وليست العلاقة بين شاعرنا وبين اليوت هي علاقة تشابه كامل في هذا الميدان ، ولكنه تشابه له حدوده ... فالحنين الى الريف عند اليوت ناتج من الضيق بالمدينة ، وحضارة المدينة الصناعة الالية، وهذه الفكرة هي جزء من فكرة شاملة تكاد تشبه النظرية . تلك هي : الدعوة الى حضارة الزراعة ..

حضارة القرون الوسطى . والدعوة الى التخلي عن الحضارة الصناعية المقلقة ... ولكن شاعرنا احمد حجازي لا يتبنى وجهة النظر تلك ، وانما يعبر فقط عن تجربته في المدينة ... انه قلق في هذه المدينة الواسعة الممزقة ... وهو بدافع من هذا القلق يحن الى الهدوء والدعة والاستقرار في رحاب الريف كما يفعل اليوت . على انه لم يتبين ابدا وجهة نظر اليوت في الدعوة الى نبذ الحضارة الصناعية . وما يتصل بهذه الدعوة من ايمان ديني ، ودعوة الى سيادة هذا الايمان على العقل والروح والحياة المادية كما يفعل اليوت ... فشاعرنا يذكر الريف لانه منبعه . ولانه مأمنه ، ولانه الدنيا الخالية من اكثر ما لقيه بعد ذلك من هموم واحزان ، ففي الوقت الذي يتعذر عليه ايجاد علاقة بينه وبين المدينة ، فانه يجد هذه العلاقة قوية بينه وبين الريف ابتداء من قبر ابيه حتى داره الصغيرة التي يملكها هناك :

وانا ابن ريف

ودعت اهلي وانتجعت هنا

لكن قبر ابي بقريتنا هناك يحفه الصبار

وهناك ما زالت لنا في الافق دار

ويشيع هذا الحنين في عدد من قصائده .. مثل «لمن تغني» «حب في الظلام» « رسالة الى ابي »

«سالة ليمون» .. ان هذا «الحنين الى الريف» هو نتيجة القلق الذي يشعر به، وتعبير عن حلمه بالاستقرار والحياة الوادعة، والريف رمز لهذا الحلم وتعبير عنه.

هذه هي المشكلة التي يعانيها حجازي وسائر ابناء جيله كما عبر عنها في الصور الاربع، التي عرضنا لها وهي: قسوة المدينة، والشعور العام بالمأساة، والفراغ النفسي، والحنين الى الريف.

وامام هذه المشكلة انقسم ابناء الجيل الذي ينتسب اليه شاعرنا الى انماط ... هناك – كما سبقت الاشارة – من لجأ الى «العقيدة السياسية» التماس الحل ... وهناك من لجأ الى السلوك الانتهازي وهناك من لجأ الى الانحلال والبحث عن المتعة الحسية وهناك من لجأ الى العزلة والانفصال والسلبية والتامل.

فاي موقف اختار شاعرنا، واي موقف يرسمه من خلال فنه؟

ان القراءة المتأنية لهذا الديوان تضع ايدينا على مبدأ اساسي يقدسه الشاعر ويندفع اليه ويملأ الايمان به عروقه وخلاياه ... هذا المبدا هو «حب الحياة» او «الرغبة في الحياة» ... فهو ليس شاعرا عدميا وليست احزانه من ذلك النوع القاتم القاتل ... وراء احزانه والوان حرمانه تشتعل الرغبة في الحياة والحب لها والضيق بالعقبات التي تقف في طريقها والواقع ان الشاعر لم يصل الى حل نهائي واحد

للمشكلة ، ولم يجد طريق الخلاص الاخير فيها . على انـا نستطيع ان نجد في هذا الديوان بعض الملامـح المعينة التي تصور طريق الخلاص التي اختارها الشاعر ... في الحدود الضيقة التي وصل فيها الى اليقين .

فشاعرنا يرفض منذ البدء ذلك « الانسان الرومانسي » الذي يعيش في عالم غامض خيالي ؛ انه يختار الحياة في دنيا الصراع الواقعي الواضح . وفي محيط هذا الصراع توجد بعض الموانىء التي يستريح اليها حينا بعد حين ، وفي هذا المحيط تظل مبررات القلق واسبابه قائمة بعيدا عن تلك اللحظات يجد فيها الشاعر مأمنا يستريح اليه .

فما هي الموانىء او المرافىء التي يستريح اليها هذا الشاعر ؟... ان اول مرفأ هو الفن ؛ انه يجد في « التعبير » جانبا من جوانب الخلاص ، فهو كثيرا ما يمجد « الكلمة » ، و « الكلمة » تقوم هنا بالنسبة للشاعر بنفس الدور الذي تقوم به « المأساة » على المسرح بالنسبة للمشاهد في راي ارسطو .. فعملية « التطهير » التي تتم عندما يشاهد الانسان مأساة المسرح ، هي نفسها التي تحدث للفنان بعد ان ينتهي من عمله الفني . ان توتره وقلقه يذوبان في عملية ضخمة واسعة النطاق ، وهو من خلال هذه العملية يسمو بحالته النفسية الى مستوى من الانسجام والتناسق لا يتوفر للنفس قبل عملية الابداع الفني نفسها .. ففي ثلاث قصائد هي : « لمن نغني » و « ميلاد الكلمات » و « دفاع عن الكلمة » ... يظهر

بوضوح ايمان الشاعر بالكلمة كوسيلة من وسائل الخلاص ، وكمرفأ امن تلجأ اليه النفس في حالة قلقها واضطرابها وتعرضها للمشكلة التي يصرخ الديوان بالتعبير عنها .. ومن الواضح ان « الفن » كوسيلة من وسائل الخلاص قد شاع بين ابناء الجيل الراهن ، وعبر عنه اكثر من شاعر تعبيرا يتفق في مدلوله ومغزاه ، وان اختلف في اسلوبه الفني ... فقد كتبت نازك الملائكة قصيدة تعبر عن نفس الاحساس هي « اغنية حب للكلمات » وكتب صلاح عبد الصبور قصيدة يناجي بها فنه وكأنه في معبد يقدس أحد الالهة ، هذه القصيدة هي « اغنية ولاء » وكذلك عبر عن نفس التجربة نزار قباني في قصيدة له هي « رسائل لم تكتب لها » ...

يعبر احمد حجازي باخلاص عن ايمانه بـ « الكلمة » ويجردها دائما من وظيفتها الموقتة او المترفة ، فـ « الكلمة » عنده صلة صادقة بالناس انها خالية تماما من ثياب الاستعباد التي لبستها في مراحل تاريخية طويلة :

لن يأخذني الخوف

فانا الأصغر لم اعرف بعد مصاحبة الامراء

لم اتعلم خلق الندماء

لم ابع الكلمات بالذهب اللألاء

ما جردت السيف على اصحابي فرسان الكلمه

لم اخلع لقب الفارس يوماً ،

فوق امير ابكم

انه احتجاج على التاريخ الطويل الذي عاشته الكلمة « اسيرة » لبعض الضرورات الخارجيـــة الزائفة ... احتجاج على التراث الطويل الذي لـــم تعرف فيه الكلمة كيف تكون طليقة متحررة من القيود والسلاسل التـــي طالما افســدت وظيفتها الانسانيــة السامية .

وهو يؤمن بالكلمة عندما تجد صـــداهــا عنــــد الآخرين ؛ وعندما تؤدي قدرا من رسالتها في قلوبهـــم وافكارهم :

من اجل ان تتفجر الارض الحزينة بالغضب

وتطل من جوف المآذن اغنيات كاللهب

وتضيء في ليل القرى ، ليل القرى كلماتنا

ولدت هنا كلماتنا

يا ايها الانسان في الريف البعيد

يا من يصم السمع عن كلماتنا

ادعوك ان تمشي على كلماتنا بالعين لو صادفتها

كيلا تموت على الورق

اسقط عيلها قطرتين من العرق

كيلا تموت

فالصوت إن لم يلق اذناً ضاع في صمت الافق

ومشى على آثاره صوت الغراب

وهكذا فان ايمانه بـ « الكلمة » الحرة الطليقة هو وسيلة « لتطهير » نفسه مما فيها من قلق واضطراب وضيق . وكوسيلة لعلاقته بالناس الذين يحبهم ويرتبط معهم بأكثر من رباط . بعيداً عن تمزق المدينة وزيفها ... هذا الايمان بالكلمة هو وسيلة خلاصه ، وهو وسيلة عرفها ابناء هذا الجيل القلق . وعبر عنها عدد من فنانيه القادرين المبدعين وعلى رأسهم احمد حجازي . ومن طرائق الخلاص التي لجأ اليها الشاعر عن ايمان : «العقيدة السياسية» .. و « العقيدة السياسية » في عصرنا تقوم مقام «الدين» في العصور والاجيال السابقة ، فقد ارتفعت العقيدة السياسية حتى اصبحت تصدر عن فلسفات كبرى تفسر الانسان والمجتمع . وترسم الحلول المختلفة لما يعرض للعصر من مشكلات ...وقد اشرنا من قبل الى ان العقيدة السياسية الى جانب وظيفتها الموضوعية ودورها الايجابي في المرحلة الراهنة من تاريخ التطور الانساني . تمثل ايضا حلا ذاتيا تلجأ اليه بعض النفوس بحثا عن الاستقرار والطمانينة ، وعند ما يبدأ الانسان مرحلة من مراحل الوعي ،يرتبط هذا الوعي بنوع من الشك ومراجعة الامور والبحث عن منطق للاقتناع الذاتي بما يعرض للعقل والشعور من مشكلات ... ولا يمكن للانسان ان يستقر بعد

ان يبدأ هذه المرحلة من الوعي دون ان يصل الى فكرة منسجمة ... الى نظرية شاملة تحدد له موقفا من عدد رئيسي من المشكلات ، وعندما يصل الانسان الى هذه الفكرة المنسجمة الشاملة يصبح اكثر استقرارا وطمأنينة من ذلك الذي لا يزال يبحث عن عقيدة او ذلك الذي يرتبط بعقيدة لا يطمئن اليها ولا يجد فيها ما يكفيه للاقتناع الكامل بها ، وما يكفيه لتفسير ما يعرض له من اسئلة ... ولقد لجأ كثيرون من ابناء جيل احمد حجازي الى العقيدة السياسية بدرجات متفاوتة ، فهناك الذين تعصبوا لعقيدتهم وذابوا فيها تماما . لانهم وجدوا في هذه العقيدة آخر ملجأ لمشكلاتهم النفسية الكثيرة ، ومنهم من اخذها بحكمة وحذر ، ومنهم من ارتبط بها عن تردد وشك ...

واحمد حجازي يبحث عن عقيدته منذ تفتح وعيه على رؤية الحياة ، ولقد اتيح لي ان اطلع على ديوانه الاول الذي رفض شاعرنا ان ينشره لانه يحتوي على اولى تجاربه في ميدان الفن والتعبير وهي تجارب قلقة غير مستقرة على اسلوب . وقد كتب حجازي معظم قصائد هذا الديوان الاول في فترة كان يؤمن فيها بالعقيدة الدينية ، ولكن نظرة متأنية الى قصائد الديوان تكشف عن ان ايمان الشاعر العقلي بتلك العقيدة كان يشوبه شك شعوري جامح في مدى امكان هذه العقيدة ان تحل الاشكالات التي تعرض لذهنه ووجدانه ... ففي الوقت الذي كان يؤمن فيه بالعقيدة الدينية كان يقول في قصيدة قديمة له في

ديوانه القديم ذاك موجها الخطاب الى « الله » :

دع لنا الليل والنساء وتشاءب مع القمر
انت يا رب في السماء فاترك الأرض للبشر
انت يا رب بعتني عندما ذقت حنطتك
فاترك القلب يجتني جنتي وارع جنتك

وفي القصيدة يلوح ذلك الشك العاصف في الفكرة الدينية ، لانها ، كما يراها انذاك ، تصطدم مع رغبته القوية في الحياة ، ان تلك القصيدة تعجز عن ان تطلق طاقته الحية من قيودها المنيفة ، بل انها تعترض على تلك الطاقة ، وتدعو الى تصريفها في مجال تجريدي مليء بالغموض وعدم الجدوى ، وهذا المثال يشير الى حقيقة هامة في موقف شاعرنا لم يكن مثالها الوحيد هو موقفه السابق من العقيدة الدينية ، هذه الحقيقة هي ان الاقتناع العقلي لم يفسد رؤية الشاعر للامور ، وذلك مرض معروف من امراض ادبنا الجديد بشكل عام ، فعدد من اصحاب العقائد السياسية لا يكاد الواحد منهم يبصر الدنيا الا بعين تلك العقيدة دون عمق او ادراك بعيد ... والعقيدة السياسية ليست هي الحياة ، بل هي وسيلة الحياة انها « دليل للعمل » وليست « العمل نفسه » كما يقول المعلم العقائدي الكبير ماركس ... ان احمد حجازي يلمح دائما الفرق بين العقيدة العقلية النظرية وبين الواقع الموجود .. والتفاوت بين

« النظرية » و « الواقع » كان باستمرار منبعا من منابع الفن عند شاعرنا الموهوب ..
لقد استقر احمد حجازي اخر الامر على عقيدة سياسية معينة .. استقر عليها بعد تجربة وبحث طويل عن الطريق ... وهذه العقيدة ذات جانبين ، اما الجانب الاول فهو الجانب الانساني العام .. انه محب للانسان مؤمن به ، يرمق بمشاعر حارة كل كفاح للانسان في سبيل التغلب على ما يعترضه من عقبات كثيرة ، وهذا الشعور الانساني شائع تماما في هذا الديوان لان صاحبه يفهم عذاب الانسان ، ويفهمه بالتجربة العريضة المريرة التي عاشها بين الريف والمدينة قبل ان يفهمه عن طريق الافكار النظرية العامة .
ولنسمع صوته العميق النبيل وهو يخاطب الانسان الريفي الذي يصارع العذاب كل يوم .. انه يحدثه بكل ما يملك من حب للانسان وهو في معركة الحياة :

اين الطريق الى فؤادك ايها المنفي في صمت الحقول
لو انني ناي بكفك تحت صفصافه
اوراقها في الأفق مروحة ،
خضراء هفهافه
لأخلت سمعك لحظة في هذه الخلوه
وتلوت في هذا السكون الشاعري حكاية الدنيا

ومعارك الانسان ، والاحزان في الدنيا
ونفضت كل النار ، كل النار في نفسك
وصنعت من نغمي كلاما واضحا كالشمس
عن حقلنا المفروش للاقدام
ومتى نقيم العرس
ونودع الآلام

وتظهر هذه النزعة الإنسانية التي تنبثق من انه بضرورة التغلب على الالم في عدد كبيراخر من سائده .. لعل ابرزها قصيدة « دفاع عن الكلمة » :

انا في صف المخلص من اي ديانه
يتعبد في الجامع او في الشارع
فكلا الاثنين تعذبه الكلمه
والكلمة حمل وأمانه
انا في صف المخلص مهما اخطأ
فالكلمة بحر يركب سبعين مساء
حتى يعطي اللؤلؤ
انا في صف التائب مهما كان الذنب عظيما

فطريق الكلمة محفوف بالشهوات
والقابض في هذا العصر على كلمته ،
كالممسك بالجمره

.. وهذه مجرد امثلة ، فالنزعة الانسانية شائعة في الديوان على صور مختلفة ... وهذا هو الجانب العام في عقيدة الشاعر ، ولكن هناك جانبا اخر في هذه العقيدة ، جانبا يتضح في بعض قصائد هذا الديوان . . وهذه القصائد هي على التحديد : « ... قديسة » و « سوريا والرياح » و « صبي من بيروت » و « عبد الناصر » : فهو مؤمن بالثورة العربية، مؤمن بأهدافها طامح الى المساهمة في مراحلها المختلفة ، وهو يجد السكينة النفسية في رحاب هذه العقيدة .

ولكنه هنا ايضا ، كما كان في الماضي ، لا يغفل عن الفارق بين العقيدة من الناحية النظرية وبين الواقع .. انه يرى الصدق ، ولا يفتعل تفاؤلا في واقع اسود سيء بالتشاؤم ، ان « التناقض » قائم وهو يراه ويعبر عنه ... فالعقيدة لم تحسم المشاكل القائمة في الحياة الانسانية والاجتماعية التي يعيشها ويمارسها باستمرار ، فهو مع الناس يجد واجبا داخليا عميقا ينبع من الفهم والشعور يدعوه للايمان بعقيدته تلك ، انها هي التي تدفع الانسان في بلاده الى امام ... ولكنه عندما يعود الى نفسه يجد امامه

عديدا من المشاكل لم تفنه العقيدة عن عبئها المضني ومرارتها الحادة ، ذلك لان العقيدة اذا كانت تملأ حياته العامة ، وجانبا من حياته الخاصة . فان منطقة غير ضئيلة من حياته الخاصة تظل عريانة من الحنان فلا تمتد اليها يد العقيدة بما يكفيها من احتياجات .. وربما كان ذلك لان العقيدةلم تغير بعد حياة المجتمع بصورة نهائية حاسمة توحد بين السلوك والفكر . فينعدم بينهما هذا التناقض القائم فعلا ... ففي قصيدة « الاميرة والفتى الذي يكلم المساء » يرسم هذه الصورة الرائعة لحالته ، وحالة العديدين من ابناء جيله حينما يخلصون مع انفسهم ومع حياتهم .

.. وفي ليالي الخوف طالما رأيته يجول في الطريق
يستقبل الفارين من وجه الظلام
ويوقد الشموع من كلامه الوديع
ففي كلامه ضياء شمعة لا تنطفيء
ويترك اليدين تمشيان بالدعاء
على الرؤوس والوجوه
وتمسحان ما يسيل من دموع
« الصبح في الطريق
يا اصدقائي انني اراه

فلا تخافوا .. بعد عام يقبل الضياء »
وعندما يمشون تمشي فوق خديه الدموع
ويفلت الكلام منه يفلت الكلام
« هل يقبل الضياء حقاً بعد عام ؟ »

.. تلك صورة رائعة من الحقيقة النفسية التي يعيش فيهاصاحب العقيدة الذي يصدق مع نفسه ومع الناس ، انه لا يترك تلك العقيدة تحجب امامه كل شيء ، فلا تريه الا لونا واحدا ، وتصور له كل شيء بخير ، وتنفي عنه القلق والاضطراب النفسي كأنه اله ، كأنه ملاك ... ولكنه انسان في حقيقته ، وشعره تعبير صادق عن رؤية صحيحة لحالات انسانية واقعية .

ان رؤية احمد حجازي للتناقض الذي ما زال قائما بين العقيدة بما فيها من انسجام وتكامل ، والواقع بما فيه من نقص وقصور ، ان رؤية شاعرنا لهذا التناقض هو دليل رائع على انه يرفع صدق التصوير وصدق الرؤية على اي معنى اخر .. وهو يعلم تماما ان « الصدق » هو الطريق الصحيح الى بناء ما نطمح اليه ... وليس ابدا « الوهم » وليس ابدا ان نتخيل اشياء نموذجية مثالية لا تؤدي في نهاية الامور الا الى شعور بالسطحية وعدم الصدق فاذا كنا مثلا نقول بدعوة نظرية الى تحرر المراة فليس

سليما ان نقول ان نجاح هذه الدعوة من الناحيــة النظرية يحتم نجاحها الكامل من الناحية الواقعية ، حتى لو كذبتنا التجارب في هذا القول ، فالحقيقــة في هذا الميدان ان المراة لم تتحرر تحررا كاملا ، ولا تزال المراة في مجتمعنا العربي تحمل قيودها في داخل شخصيتها بشكل يعكس هذه القيود على سلوكهــا . ان تحرر المراة عندنا لم يتم وهذه حقيقة لا يجــوز انكارها .. والاعتراف بها هو الطريق الصحيح ... وكذلك الامر بالنسبة لقضايانا الكبرى مثل الاشتراكية والقومية العربية .

ان احمد حجازي قد وصل الى مرفأين هما : الفن ، والعقيدة السياسية الانسانية ... وقد وجد فيهما بعض الحل للمشكلة التي تعرض له وتعــرض لابناء جيله .. على ان هذين المرفأين لم يحسما كــل شيء ولم يمنحا الامن والسلام والطمانينة لقلبــه ، ولذلك فما زالت في شعره علامات استفهام ، وما زالت فيه تجارب قلق ، وصرخات الذي لم يذق طعم الهدوء ولا الاستقرار ، والتعبير عن القلق في شعر حجازي تعبير سليم ، انه صورة لما تعانيه نفسية الجيل العربي الجديد .

على ان احمد حجازي واضح في قلقه يعــرف جذوره ، وصوره الحقيقية ... وهذا الوضــوح في ذاته هو طريقة من طرق الخلاص التي يشير اليهــا الشاعر ، فهو عندما يتحدث عــن قسوة المدينــة ،

وتمزق العلاقات البشرية فيها . وضيعة الانسان ووحدته وغربته ، ثم ذلك العجز القاسي عن تحقيق الوجود العاطفي للانسان ، والعقبات التي تقف في طريق الرغبة الطبيعية السليمة في الحياة .. كل هذه الاشياء الواضحة التي تسبب حزنه وقلقه وتمثل مأساته ومأساة جيله تشير بنفسها الى طريق الخلاص وترسم السبيل الى مجتمع سليم ...ما هو هذا المجتمع على التحديد ؟. انه المجتمع الذي يخلو من كل تلك الاشياء التي يضج بالشكوى منها وجدانه وشعوره وتنعكس على شعره بصورة فنية كاملة عميقة . ومن هذا كله نعرف الطريق الذي اختاره احمد حجازي للتغلب على المشكلة الكبرى التي تقف امامه .

هذا هو شاعرنا في المشاكل التي يعبر عنها والقضايا التي تملأ حياته وتشغل ذهنه .. وتستطيع ان تقول عن هذه المشاكل وعن تلك القضايا انها صورة صادقة من العصر الذي يعيشه ، انها حكاية شاعر انسان ، ولكنها في نفس الوقت ، وبنفس الدرجة من القوة والصدق تحكي حكايتنا كلنا . نحن ابناء الجيل العربي الجديد ، اننا نرى في هذا الديوان انفسنا نرى فيه مستقبلنا ، نرى فيه تلك العقبات التي تسد طريقنا وترفع علامة حمراء كلما اردنا ان نتقدم خطوة الى امام ، وسيظل هذا الديوان وثيقة من وثائق العصر تدل عليه ، وترسم خطوطه العميقة الكبيرة . ولا تنسى من ملامحه الحقيقية خطا هنا او هناك .. انه

وبيفة نادرة ، وثيقة من تلك الوثـائق القليلة التـي لا تتكرر بكثرة ... وباستثناء ديوان «الناس في بلادي» لصلاح عبد الصبور لم يظهر في مصر عمل شعري على جـانب كبير مـن الخطر والاهمية في تصوير جيلنـا وعصرنا مثل « مدينة بلا قلب » ، ولا شك ان هذه الحقيقة تضمن لهذا الديوان بقاء طويلا ونقدمه الـى التاريخ عملا من تلك الاعمال الكبرى التي لا تمثـل شيئا نبيرا في الادب وحسب وانما في الحياة ايضا.

على ان هذا الشاعر الثائر في افكاره وارائه ، والذي يحمل صورة دقيقة لملامح عصرنا وجيلنا .... لا يقف بثورته عند الحدود الموضوعية الفكرية ، بـل هو ايضا صاحب ثورة في ميدان الفن ، او هـو واحد من الرواد الثائرين في هذا الميدان . فماهـي ثورة شاعرنا في ميدان الفن ؟

ان احمد حجازي واحد من ابناء المدرسةالحديثة في الشعر ... انه ليس مبتكر هذه الطريقة الفنيـة الجديدة،فهذه الطريقة في حقيقتها هي اسلوب صنعه كفاح اكثر من جيل واحد،حيث كان الجميع يبحثون عن اسلم طرائق الاداء الفني للتعبير عما في نفوسهم من اشياء جديدة لم يعد يحتملها الشكل الفني القديم للقصيدة العربية .. ولقد كانت النتيجة الاخيرة التي وصل اليها شعرنا العربي المعاصر اليوم هي ثمـرة محاولات متعددة اشترك فيها عدد كبير من شعرائنا وادبائنا .. اشترك فيها : لويس عوض ، وبدر شاكر

السياب ، ونازك الملائكة ، علي احمد باكثير . وعبد الوهاب البياتي .. وبعد ذلك لمع في ميدان الشعر الجديد عدد من شعرائنا وكان من المع هؤلاء جميعا شاعران من مصر هما : صلاح عبد الصبور واحمد حجازي .

والحق ان معركة الشعر الجديد لم تستقر بعد تمام الاستقرار . فما زالت هناك اراء متضاربة حول هذه القضية ... وما زال هناك نقاد يتساءلون : هل يستقر هذا الشعر على شكله الاخير . او ان من الضروري ان يعود شعرنا الى شكله التقليدي القديم؟ ونحن نستطيع ان نقول في هذا الميدان ان الشكل الجديد من الشعر قد بدا مرحلة استقرار تؤكد انه صالح للبقاء .. ولذلك فانه سوف يبقى .. على ان الشيء الذي لم يكن واضحا من قبل هو مدى صلاحية الشكل القديم للبقاء في ميدان الفن الشعري .. واظن ان الامر قد اصبح واضحا اليوم بالصورة التالية : فالشكل الجديد للشعر ضروري واساسي ، وهذا الشكل سيصبح الشكل الرئيسي للشعر العربي خلال مدة طويلة لما فيه من عناصر تجعله اكثر استيعابا لروح عصرنا من الشكل القديم على ان الفكرة التي كانت ترى ان الشكل الجديد معناه القضاء المطلق على الشكل القديم الشعري .. هذه الفكرة لم تعد صحيحة ولا صائبة ، ان الشكل الجديد لا يمنع بقاء الشكل القديم ، بل اننا نجد ان القصيدة الجديدة تلجأ احيانا الى الاستعانة في بنائها بالشكل القديم

كما حدث في قصيدة « بغداد والموت » المنشورة في هذا الديوان ، ففي هذه القصيدة يستخدم احمد حجازي الشكل القديم عندما ينتقل من مرحلة التصوير الى مرحلة الغناء .. انه يلجأ الى الشكل التقليدي ليغني ... فالغناء يتطلب نفسا طويلا ، وهذا النفس الطويل يتوفر بصورة رائعة في الشكل التقليدي الذي يحتفظ بوحدة البيت ، ووحدة الايقاع ويعبر عن افكاره مباشرة ... ونستطيع ان نشير الى شاعر عربي معاصر هو يوسف الخطيب ، الذي يستخدم الشكل القديم في معظم قصائده ، الا انه مع ذلك يصل فيه الى مستويات رائعة من التعبير الشعري مثل قصيدته المعروفة اغان من فلسطين .. اذن فالشكل الجديد هو الشكل الرئيسي الشعر ، ولكنه لا ينفي وجود الشكل القديم ، ولا ينفي استخدام هذا الشكل في بناء القصيدة نفسها ولا اظن ، كما تصور بعض النقاد ، ان الشاعر العربي سوف يرتد الى الشكل القديم بصورة نهائية في المستقبل .

على ان احمد حجازي يعتبر نصرا كبيرا للشكل الجديد في الشعر انه في هذا الديوان يتخلص من اكثر العيوب التي اخذت على الشعر الجديد ، ويثبت ان الشعر الجديد نفسه غير مسؤول عن هذه العيوب وان العيب في الشاعر لا في الشكل الفني .. فهذا الشكل الفني عندما يتاح له شاعر موهوب، فان عيوبه تختفي او تكاد .. وهذا هوما حدث مع احمدحجازي

ابرز عنصر في هذا الديوان هو عنصر التشخيص وهذا العنصر الفني يعطي القصيدة العربية ابعادا جديدة ، ويجعل منها كائنا فنيا اكثر صحة وسلامة وعمقا وتوهجا .. وهذاالعنصر لم يكن في الامكان ان يظهر عن طريق القصيدة العربية القديمة ، وهي في مجملها شكل فني بدائي محدود الطاقة والابعاد .. والتشخيص هو نفسه ما يسميه الاستاذ الناقد محمود العالم بـ «التعبير بالصور» .. ففي هذا الديوان نجد ان الشاعر لا يلجأ الى التعبير المباشر عن تجاربه وانفعالاته ، وذلكما كان يفعله الشاعر العربي القديم هنا نجد ان الصورة الانسانية المتكاملة هي التي تعبر عن تجارب الشاعر وانفعالاتهالمختلفة ولو راجعنا معظم قصائد هذا الديوان لاستطعنا ان نخرج منها بمجموعة من الشخصيات التي تحمل كل شخصية منها دلالة ما ، وتشترك هذه الشخصيات في النهاية لتخرج الدلالة العامة للديوان .. فالشخصية النفسية والعقلية بل والشكلية ايضا لانسان العام السادس عشر مرسومة بدقة ووضوح في قصيدة العام السادس عشر وشخصية الانسان الذي يشكو الوحدة والضياع ويرغب في الحياة ويصرخ لان امام طريقه عديدا من العقبات هذه الصورة مرسومة بعمق واصالة في قصيدة كان لي قلب .. وفي قصيدة الاميره والفتى الذي يكلم المساء شخصيات انسانية تتحرك ، لكل منها ملامحه الخاصة وطبيعته النفسية والفكريةوبين

هذه الشخصيات يدور صراع له مدلوله ومغزاه ..
فالاميرة هي الفتاة المثقفة التي تدخل الحياة العامة دون ان تتطور نفسيتها مع مبادىء هذه الحياة تطورا حقيقيا وانما تقف شخصيتها عند حدود التطور الشكل الخارجي ، والفتى الذي يكلم المساء وهو مثال للشباب الذي يريد ان يساهم بدور في بناء الحياة ، وهو يلتمس هذه المساهمة عن طريق العقيدة التي تبهره وتغريه ، وهو يعامل الناس حسب مقاييس تلك العقيدة ويبني حبه وصداقته على هذا الاساس ولكنه يصدم خلال اختياره الواقعي للناس ، فـ « الاميرة » التي تظاهرت بحب الاشتراكية عندما قالت :

قلبي على طفل بجانب الجدار

لا يملك الرغيف ..

هذه الاميرة لا تحب شيئا من هذه الافكار ولا تؤمن بها ، انما هي زينة العصر وحسب .. وعندما يحبها الفتى يفشل في حبه بالطبع ... ويمضي الصراع على هذا المستوى ... انه ليس صراعا نفسيا غامضا ... بل هو صراع نفسي دقيق واضح ، وهو صراع نماذج بشرية وليس صراع افكار تجريدية ..
ولو تناول الشاعر العربي القديم تجربة هذه القصيدة لاكتفى بان ينظم هذا المعنى :

« لقد رايتك فاعجبني حديثك وشخصيتك اللذان اضافا الى جمالك لونا باهرا ، فلما تقدمت اليك

بعواطفي ، تبينت انك انسانة غير صادقة فيما تدعين وانك تتظاهرين .. وليس هناك شيء ابعد من ذلك.

لم يكن الشاعر القديم يستطيع ان يفعل اكثر من نظم هذا المعنى في مجموعة من الابيات المحدودة المباشرة .. ولكن شاعرنا الجديد يتخلص من هذا المستوى البدائي المحدود في العمل الفني ، ويصل الى مستوى اكثر عمقا واكثر اتساعا ، وفيه ينبض المعنى الانساني العام الى جانب الملامح المتحددة المرسومة بدقة للناس الذين يعيشون في عصرنا والصراع الذي يدور في هذا العصر .

وطريقة التشخيص اي خلق شخصيات في مجال الفن الشعري ، وبتعبير آخر تقديم « صور » لا افكار .. هذه الطريقة هي التي تميز شعرنا الجديد عن الشعر القديم تمييزا جوهريا ، وهي نفسها التي تمنحه الميزة ، والتفوق على الشعر القديم .. وهي الى جانب ذلك كله التي تربط شعرنا العربي بالشعر الانساني العالمي في اعلى صوره ، فطريقة التشخيص هي النبع الصافي في ارض الشعر .. وحسبنا ان نشير هنا الى الشاعر العالمي الكبير « ت.س.اليوت» فمعظم شعر اليوت يقوم على التشخيص اذ ان قصائده تحتوي باستمرار على نماذج انسانية تعبر عن تجارب الشاعر بطريقة ايحائية ، وتشترك مع القصة في بعض عناصر بنائها .. ولنذكر لهذا الشاعر الكبير قصيدته المعروفة اغنية العاشق ج. الفريد بروفروك وفي هذه القصيدة يتحدث « مستر بروفروك » عن

نفسه وهو عجوز يتقدم الى خطبة فتاة عصرية تغشى الصالونات وتجيد الحديث السطحي .. وعلى ضوء هذه التجربة يبدأ العجوز في اكتشاف عناصر النقص في ذاته ، فهو ليس متكافئا مع هذه الفتاة ... هي صغيرة تضج بالصبا والحياة ، وهو عجوز جفت ينابيع الصبا والعواطف الحارة في جسده ووجدانه ، وهو اصلع تساقط شعره ، ولم يبق منه سوى شعيرات بيضاء .. وهو يلبس زيا رائعا ولكنه متهدم الاعضاء ذراعاه عجفاوان ، وساقاه ضامرتان ... ومن هنا فانه يتردد اشد الترددفي الاستمرار في خطبة الفتاة كيف أجرؤ على ازعاج الكون ؟ فلاخل لنفسي دقيقة لاتدبر ، ففي الدقيقة متسع العزم وللعدول ، وللعدول عن العدول ..

وتمتلىء نفسه بالتردد والقلق وهو في تجربته المريرة تلك .

وتستطيع ان تفسر قصيدة اليوت اكثر من تفسير ، على أن اقرب التفسيرات هي ان الفتاة رمز للحياة العصرية المتفتحة الخالية من العمق والعاشق هو المفكر الذي يشيخ ويذبل ويصطدم بعجزه الذاتي وضعفه امام اغراء الحياة وما فيها من دعاء ونداء ، وهذا العاشق قد يكون اليوت نفسه ، وقديكون كل رجال الفكر والعقل في نظر اليوت .

لم يعبر اليوت عن تجربته تعبيرا مباشرا ، ولم يقل كما قال شاعرنا العربي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

بل لقد صور القلق والتردد وعجز الفكر والثقافة بخلق تلك الشخصيات التي تعبر عن نفسها بقوة .. شخصية الفتاة الجميلة المغرية التي تكثرمن الحديث السطحي عن « ميكلانجلو » وغيرذلك من الموضوعات والشيخ الذابل الذي يظهر باحسن مظهر ولكنه في حقيقته يحس بدبيب العدم والعجز ، وهو من هنا يحس بالتردد والقلق . هل يتقدم الى خطبة الفتاة اي هل يقبل على الحياة ؟ ام يعدل عن ذلك ... اي ينعزل ؟

هذا هو الاساوب الفني الذي يظهر في مدينة بلا قلب ... وتستطيع ان تجده واضحا في كل قصيدة من قصائد الديوان على التقريب ما عدا بعض القصائد الغنائية العامة ... فالديوان مليء بنماذج انسانية ترمز وتعبر وتكشف عن الصراع الذي تدور فيه وتعيشه وهذه النماذج الانسانية يلتقطها الفنان من واقع الحياة لتدل على رؤيته لهذا الواقع وافكاره عنه .

وطريقة « التشخيص » هذه هي التي تفرض وتبرر الشكل الجديد للشعر ... لم يعد الشعر كما كان في الشكل القديم للقصيدة مجموعة من الخواطر المنسابة ، لم يعد مجرد تداعي معان .. اذ كان الشاعر

القديم يستطرد حسبما شاءت خواطره من غزل الى وصف للاطلال الى مدح او شكوى او هجاء او غير ذلك .. كلا فان شاعرنا الجديد مرتبط بضرورة تصوير شخصيات ومواقف وهذا التصوير يحتم عليه نوعا خاصا من البناء الفني تتوفر له وحدة القصيدة لاوحدة البيت .. ان المعنى الذي يريد ان يقوله الشاعر لا ينتهي بانتهاء البيت ، وانما ينتهي بانتهاء القصيدة ، والقصيدة اشبه بالقصة القصيرة ، ولا يمكن ان نجزىء القصة القصيرة الى اجزاء منفصلة انها وحدة منذ ان تبدأ حتى تنتهي . وكذلك القصيدة الجديدة ، فانت لا تستطيع ان تصل الى المعنى العام من قصيدة العام السادس عشر دون ان تقراها كاملة ان حذفت جزءا منها فانك لن تعرف اطلاقا ماذا يريد الشاعر ان يقول في الاجزاء الاخرى ، انها تقدم حياة الشاب في العام السادس عشر في مراحل متتابعة ومواقف لكل منها دلالة خاصة لا تستغني عنها اللوحة الشعرية الكاملة بحال من الاحوال ... ولنلاحظ ان التشابه بين القصة والقصيدة الجديدة ليس كاملا .. ان الشاعر الجديد لا يتصور كل تفاصيل لوحته ، بل انه ينتقي من الحياة المواقف الدالة والتي يمكن ان تنتقل الى الشعر . اما هؤلاء الذين يصورون كل التفاصيل الصغيرة لواقع الحياة ، بلا دلالة من ناحية، ولا تفكير في التفرقة بين الموقف الشعري ، والموقف غير الشعري .. هؤلاء يفسدون الشعر الجديد

ويسيئون فهمه تماما ، فليست مهمة الشعر الجديد هي ان يصور كل شيء .. ان الصورة في الشعر الجديد مهمة حقا ، ولكن لنحذر التصوير الفوتوغرافي الذي لا يحمل رمزا ولا دلالة .. كما ان ذلك الشاعر الـذي يستخدم الشكل الجديد ليعبر ايضا عن خواطر غير مرتبطة بطريقة التداعي الحر للمعاني .. مثل هـذا الشاعر يكون الشكل القديم اصلح لتجاربه وانسب ان الصورة الكاملة اساس جوهري في الشعر الجديد وبدونها يصبح الشكل نفسه لا ضرورة له ولا مبرر ، فتداعي المعاني ، وتبدد الموضوع في القصيدة الواحدة كما هو شائع في القصيدة القديمة .. هذان العنصران لا يصلح لهما الا وحدة النغم وانتظامه كما هو الامـر في الشعر القديم الذي يشترط وحدة القافيةواكتمال البيت الشعري .

وقبل ان ننتقل من الحديث عن التشخيص نود ان نشير الى ان احمد حجازي كان في بعض قصائده يلجأ الى الصور الجزئية ليعبر بها عن فكرة في داخل القصيـدة ، وهذه الصور الجزئية رائعة ناضجـة ، وهي تؤكد من جانب اخر ان ضرورة اعتماد القصيدة على صورة كلية شاملة ، لا ينفي جمال الصور الجزئية التي ترد في البيت الواحد او المقطع ، وتعتمد عـلى التشبيه او الاستعارة .. فعندما يقول الشاعر :

. . . . . .

ولدت كلماتنا

ولدت هنا في الليل يا عود الذره

يا نجمة مسجونة في خيط ماء

يا ثدي ام لم يعد فيه لبن

يا ايها الطفل الذي ما زال عند العاشره

لكن عينيه تجولتا كثيراً في الزمن

هذه الصور الجزئية المتتالية لها روعتها وجمالها ومن حقنا ان نستمتع بها كصور فنيةرائعة لا يمكن للشعر ان يستغني عنها بحجة انه يهدف الى التعبير عن صورة اعم واشمل ، فالصور الجزئية لا تتنافى ابدا مع عملية التشخيص التي يقوم على اساسها بناء القصيدة الجديدة ... فالصور الجزئية هي لبنات تقيم البناء الكبير للقصيدة كلها ، وكلما كانت هذه اللبنات رائعة حلوة اصيلة ، كلما ازداد البناء الكبير اصالة وروعة ... ونحن لا نملك الا ان نهتز امام هذه الصورة : « يا نجمة مسجونة في خيط ماء »كما كان يهتز القدماء تماما امام الصور والتشبيهات التي تعرض لهم . ففي هذه الصورة العذبة الجميلة يريد الشاعر ان يقول لنا ان : ليل الريف ساكن هادىء عامر بالصفاء ... حتى ان النجمة في السماء تنعكس

صورتها على الماء في الارض ولكن اي ماء .. انه ميت ماء ... ربما كان قناة او جدولا صغيرا لا عنف فيه ولا اندفاع .. على ان هذه النجمة « مسجونة » في خيط الماء ذاك .. وهذا معناه ان الوقت بطيء . وان النجوم لا تتحرك بسهولة .. ان انعكاس صورتها على الماء بدون حركة سريعة منها .. يعني انها أصبحت سجينة هذا الخيط الهادىء الساحر .

وعندما يقول الشاعر لنا : « يا ثدي ام لم يعد فيه لبن » ... فان عالما من الحرمان والضيق والمأساة ينفتح امام عيوننا ومشاعرنا .. وعندما يقول يا ايها الطفل الذي ما زال عند العاشرة .. لكن عينيه تجولتا كثيرا في الزمن لا نملك الا ان نهتز بكل عواطفنا امام روعة الصورة واصالتها ... هنا عظمة التجربة في الريف وعراقتها . فالناس في الريف يعيشون في صلة مشتركة مع الكون ويطيلون التأمل في ظواهر الحياة .. انهم على صلة « شخصية ذاتية » مع دوابهم وهم على صلة شخصية ذاتية مع الشجر والزرع والماء ... مع الطبيعة .. والدنيا امامهم لا سرعة فيها انما تفاصيل هادئة بطيئة . وهكذا فان ابن العاشرة في الريف يبدو عليه كبر التجربة وعمق المعاشرة لظواهر الكون . وذلك الاحساس الغائر بالزمن .. ذلك هو الريف الحقيقي . وتلك هي دنياه كما ينقلها لنا الشاعر في صوره الجزئية تلك .

ان بلاغتنا العصرية لا تهدم بلاغة القدماء . انما تأخذها كما هي ثم تطورها وتعمل على امتدادها ونموها

ولذلك فان طريقتهم في النظر الى الشعر ليست خاطئة وانما هي طريقة ناقصة .. وبالرغم من ان الاحساس قد تغير في بناء القصيدة الشعرية ، وفي النظر اليها فاننا سنظل ننظر الى الامور احيانا بنفس النظرة القديمة ونعترف ببعض ما وصلوا اليه .. ولذلك فنحن مثلهم نعجب بالصورة الجزئية في الشعر . مثل الصور التي اشرنا اليها ونحتاج الى وجودها ولكننا لا نستطيع ان نقف عند حدودها وحسب ... ومثل هذه الصور موجودة بكثرة في هذا الديوان .

واذا كان ابرز ما في « التشخيص » هو خلق نماذج انسانية ومواقف نفسية داخل القصيدة ... فان عنصر « الحوار » يظهر هو الاخر واضحا في بناء القصيدة الجديدة . ووضوح هذا العنصر يدعم خروج القصيدة الجديدة من الافكار المجردة العامة ، الى التجارب التي تتجسد في شخصيات ونماذج ، وتستلزم وحدة في بناء القصيدة كلها لا في البيت وحسب ، ولا يوجد الحوار بمعناه الكامل في القصيدة العربية القديمة ، بل هو موجود بصورة بدائية محدودة ولكنه في القصيدة الجديدة يمثل عنصرا واضحا من بنائها الفني ، وفي قصائد : « الاميرة والفتى الذي يكلم المساء » و « مذبحة القلعة » و « حلم ليلة فارغة » والطريق الى السيدة يظهر هذا العنصر بوضوح ليدعم وسيلة الاداء الفني التي اختارها الشاعر ، واصبحت من ابرز ما يميز الشعر الجديد وهي طريقة التشخيص

او التعبير بالصور وهناك الى جانب الحوار الـذي يدور بين شخصين ، حوار ذاتي هـو مـا يسمى بالمونولوج الداخلي . وهذا الحوار الذاتي شائع فـي عدد اخر من قصائد الديوان مثل العام لسادس عشر ومذبحة القلعة ، وهذا الحوار يميز الشعر الجديـد . وهو شائع ايضا في النماذج المشابهة له في الشعـر العالمي ، مثل القصيدة التي اشرنا اليها والتي كتبها « ت.س.اليوت » .. فالعاشق ، في قصيدة اغنية بروفردوك كثيرا ما يتحـدث الى نفسه مستبطنـا مشاعرها مقترحا عليها ناقدا لها .. الى غير ذلك من المواقف التي تحدث عادة عندما تنقسم النفس عـلى ذاتها في حوار داخلي عنيف ، والحق ان هذا النوع من «الحوار» وهو المونولوج الداخلي لم يعرفه الشعر العربي ، لان الشعر العربي كان يعني بـ «الخواطر» والخواطر عادة ما تكون متسقة منسجمة وذات اتجاه واحد ، فهي اما حزينة واما فرحة .. وهكذا ، امـا المنولوج الداخلي فيولد مع الانقسام النفسي ... مع حالة القلق والاضطراب، وغموض الامور وعدم تحددها امام عين الانسان حيث يتجاذب نفسه امران او اكثر

ومن الاشياء التي تؤخذ على الشعر الجديد عادة انه اقرب الى النثر منه الى الشعر بسبـب ضعف موسيقاه فمعظم قصائد الشعر الجديد تكتب في بحر شعري واحد هو بحر الرجز وهذا البحـر معروف عند العرب انه اقرب البحور الشعرية الـى

النثر وقد يجيء الكلام على وزن الرجز دون عمد او قصد بل يكون وزنه عفوا وبمحض المصادفة . وقد كان الرجز في الجاهلية هو البحر الذي ينظمون فيه اشعارا كانوا ينظرون اليها على انها نوع من الادب الشعبي غير جدير بالتسجيل .. ذلك ان الرجز كما يقول احد علماء العروض العربي كان فنا مستقلا من فنون القول ، فالناس في لهوهم وعبثهم ، في اسواقهم وبيعهم وشرائهم ، في بعض اغانيهم وغزلهم ، في دعابتهم وفكاهتهم في القصص والحكايات ، في كل ما يعرض لهم من شئون في حياتهم العادية التي تخلو من الجد والجلال كانوا يعمدون الى الرجز فيروحون به عن انفسهم ويعبرون به عما يمكن ان يجيش في صدورهم من معان هي ملك لهم جميعا واخيلة وصور في متناولهم جميعا : العامة منهم والخاصة ... فهذه الوظيفة القديمة للرجز توضح تماما ان العرب كانوا ينظرون الى هذا البحر على انه قريب جدا من النثر ... والاتهام الذي يوجه الى الشعر الجديد هو في نفس الوقت غاية من غايات هذا الشعر وهدف من اهدافه ، فالشعر الجديد يقوم على اساس من التعبير عن وظيفة اجتماعية جديدة وقد دفعته هذه الوظيفة الاجتماعية الى البحث عن قالب اكثر عمقا واتساعا ودفعته الى ان يتخلص من بعض الخصائص الظاهرة في القصيدة ، ومن هذه

الخصائص : النغم الخارجي الواضح ... فالقارىء للشعر العربي القديم كثيرا ما ينشغل بما فيه من موسيقى صاخبة عن معانيه الداخلية . والشعر الذي كانت وظيفته في الماضي هي التأثير في الناس عن طريق الالقاء اصبحت وظيفته ان يؤثر في الناس عن طريق القراءة ، ويحتاج الالقاء الى الطابع الخطابي ، وتحتاج القراءة الى « الهمس » .. الى « الايحاء » ان النغم لم يعد الشغل الشاغل للشاعر الجديد ، بل هناك التجربة التي يعبر عنها ، وهناك الصورة التى يرسمها ،والبناء الفني الذي يصممه لقصيدته . كل هذا شيء جديد على الشعر يحتم التخلص من النغم الصارخ العنيف الواضح .. وقد اتجه الشعر الجديد وهذا الديوان من اهم نماذجه الفنية الى طريقة «التشخيص» للتعبير عن التجارب المختلفة ، وقد خلقت هذه الطريقة في القصيدة طابعا قريبا من طابع القصة ، ويحتاج مثل هذا الطابع الى التخلص من النغم الصاخب ، والاهتمام بالنغم الهادىء اليسير الذي يصلح لرواية شيء ما .. وهذا هو الذي دفع الشاعر الجديد الى اختيار الرجز وتغليبه على غيره من البحور الشعرية ، والرجز هنا يقوم بالدور الذي رفض القدماء للشعر ان يقوم به وهو التعبير عن تجارب الحياة اليومية ، لا عن التجارب العامة مثل الحرب والفخر وما الى ذلك من تجارب في الحياة العربية في مجتمع القبيلة .

والشاعر الجديد يقول تماما كما قال الشاعر الانجليزي المعروف « يتس » : لقد كنا نريد التخلص لا من مقاييس البلاغة وحدها فحسب ، بل من العبارة الشعرية ايضا ، لذلك حاولنا ان نخلع كل ما يتسم بالتكلف وان نختار اسلوبا اقرب الى الكلام بسيطا كابسط انواع النثر ، كانه صيحة تخرج من القلب .. هذا هو بالضبط ما يريده شاعرنا الجديد ، وهذا ما الجأه الى بحر الرجز ، وهوالبحر الشبيه فيالشعر الانجليزي ببحر « الايامب » ذلك البحر المستخدم كثيرا عند الانجليز ، ولا يمكن التعبير عن القصة الشعرية في الادب الانجليزي الا عن طريق هذا البحر المشابه لبحر الرجز .

وشاعرنا يستخدم بحر « الرجز » في اكثر من ثلاثة ارباع قصائد هذا الديوان ، اما القصائد الاخرى فموزعة بين عدد من البحور المختلفة ، والاساس الذي دفع بشاعرنا وبغيره من شعراء الجيل الجديد الى اختيار هذا البحر هو تبسيط العبارة ، والتخلص من النغم الخارجي العنيف الحاد حتى تتاح فرصة للعناصر الاخرى في القصيدة ان تبرز بوضوح في جو من الهدوء الذي تتميز فيه الاشياء ، لا في جو من الضجيج الذي يخفي التفاصيل والجزئيات .

ومع ذلك كله فان احمد حجازي يعتبر من اكثر الشعراء الجدد تنويعا في انغام بحوره ، فعدد كبير من الشعراء يقفون بشكل واضح ملموس عند حدود

نغمة لا يتعدونها ابدا ... ولكننا نجد في هذا الديوان عددا من القصائد الهامة الرائعة والتي تعتبر من اجمل قصائد الشعر الجديد على الاطلاق قد كتبت في بحور غير الرجز مثل العام السادس عشر « رمل » وكان لي قلب « هزج » ولمن نغني « كامل » .

ونحن نعتقد ان شاعرنا سوف يتوسع مستقبلا في استخدام البحور الاخرى في الشعر ، ففي شعره بذور نزعة « خطابية » جديدة ، سبب هذه النزعة هو ارتباطه في بعض مواقفه الفنية بالتعبير عن قضايا عامة تتصل اتصالا مباشرا بالجماهير ، بل ان احمد حجازي من اكثر شعراء الجيل الجديد الذين يتصلون بالجمهور ويقومون بـ « القاء » شعرهم في جماعات فقد رصد جزءا من شعره للتعبير عن قضية يؤمن بها اشد الايمان ويشترك في الايمان بها مع عدد كبير من الناس ، ولذلك فهو يستخدم النداءات احيانا ، ويستخدم الشعارات احيانا اخرى ، ولكنه استخدام مقبول لانه ينبع من حاجة نفسية اصيلة للاتصال بالجمهور ، وللتعبير عن الفكرة التي يؤمن بها ، ويبني عليها مجموعة من الاحلام في دنيا الغد ، بل وفي دنيا الحاضر ايضا ، وهذا الموقف يتكرر في العهد الحديث لدى عدد من الشعراء الذين يعبرون عن قضايا عامةمشتركة ، مثل « كبلنج » الشاعر الاستعماري الذي كان يستثير النزعة القومية المعتدية عندالانجليز ، وكانت افكاره بالقياس الينا

افكارا استعمارية وعدوانية . ولكن طريقة الاداء الفني عنده كانت متفوقة جميلة .. ومثل ناظم حكمت الشاعر التركي الانساني ، والذي يكثر من مخاطبة الناس حول قضية عامة ، ومثل النشيد الانساني الخالد المعروف بـ « المارسلييز » للشاعر الفرنسي ، فهو من الناحية الفنية مكتمل رغم نزعته الخطابية .. وكذلك في شعر « والت ويتمان » الشاعر الامريكي الديموقراطي الكبير . وسوف نجد هذه النزعة عند احمد حجازي في قصيدة طويلة رائعة لم تنشر بعد هي قصيدة « اوراس » (*) كما انها تبرز في بعض اجزاء قصيدة « بغداد والموت » و « سوريةوالرياح» وبعض القصائد الاخرى المشابهة ، والنزعة الخطابية هنا وبهذا المعنى ليست نزعة مكروهة او مرفوضة ، انها لا تضر بالبناء الجديد للقصيدة ، اذا كان الشاعر قويا قادرا مؤمنا بما يعبر عنه ، ولا تفرض العودة الى الشكل القديم بما فيه من بدائية وقصور ... كلا فهي نزعة جديدة ، تمليها حاجة من حاجات العصر ، اذ يعود الشاعر الى الاتصال بالجمهور اتصالا مباشرا ولكنه لا يفقد نفسه وسط هذا الجمهور ، ولا يفقد مواهبه ، ولا يفرض على ذاته مشاعر لم تنبع بصدق من هذه الذات ... انها « خطابية » جديدة تختلف من الطابع الخطابي القديم للقصيدة العربية .

* نشرت هذه القصيدة في كتيب بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الديوان .

وبعد هذه الرحلة الطويلة في ديوان « مدينة بلا قلب » نترك هذا الديوان للقارىء والتاريخ .. لقد قال احد المفكرين ذات مرة « ان الكتب هي ، بعد الناس ، أهم شيء في هذا العالم » .. وتلك فكرة صحيحة صائبة ، فالعمل العظيم في ميدان الفكر او الفن يحمل بين سطوره اهم ما في الشخصية الانسانية من عناصر ، سواء اكانت هذه الشخصية هي شخصية فرد أم شخصية جماعة ... او شخصية كردية تدل على مجموعة كبيرة ولا تقتصر على دلالتها الذاتية .. وفي اوائل هذا القرن قال الزعيم الاشتراكي الكبير لينين : « لقد عرفت عن فرنسا من خلال روايات بلزاك اكثر مما عرفته عن طريق كتب التاريخ » ... ذلك ان العمل الفني العظيم يحمل صورة حية عن العصر الذي يعيش فيه ، حتى وهو يصور نفسية صاحبه وافكاره ، فانه في نفس الوقت يصور الاخرين من خلال هذه الصورة الذاتية التي لا تخص الفنان وحده ، وانما هي صورة لما يدور في نفوس الغير وفي اذهانهم ... وفي هذا الديوان صورة لعصرنا ، وهي صورة نادرة في صدقها وعمقها واصالة ارتباطها بجوهر ما يجري في حياتنا ، لا بالسطح الخارجي الذي يبهر النفوس المحدودة ، ويخطف ابصار الذين لا يستطيعون النظر الى بعيد ، وعندما يعبر احمد حجازي عن تجاربه الخاصة ، نجد ان هذه التجارب ليست ابدا صورة لنفس واحدة لا تتكرر ، ولكنها

..ورة حقيقية لنفسية جيل بأكمله . للصراع الـذي
ىدور في العالم النفسي لهذا الجيل . وفي العالـــم
الواقعي الخارجي الذي يتصل به ويتحرك فيه .

فالى القارىء والتاريخ هذا العمل الفني العظيم
... الذي هو وثيقة تشهد على عصرنا ، وتصـــور
جيلنا ... انه عمل فني يقول لنا بوضوح : من نحن ،
وفي اي عصر نعيش .. ثم هو فوق ذلك فن مكتمل
الاداة موفور النصيب في ميدان الموهبة والاجتهاد على
السواء .

رجاء النقاش

قصائد الديوان

٧

العام السادس عشر

اصدقائي !

نحن قد نغفو قليلا ،

بينما الساعة في الميدان تمضي

ثمّ نصحو .. فاذا الركب يمرّ

وإذا نحن تغيرنا كثيراً ،

وتركنا عامنا السادس عشرْ

* * *

عاميَ السادس عشرْ

يوم فتحت على المرأة عيني

يومها .. واصفرّ لوني

يومها .. درت بدوامة سحرْ !

كان حبيّ شرفةً دكناء أمشي تحتها

لأراها

لم أكن أسمع منها صوتَها

إنما كانت تحيّيني يداها

كان حسبي أن تحييني يداها

ثم أمضي ، أسهر الليل إلى ديوان شعر

« يا فؤادي رحم الله الهوى

كان صرحاً من خيالٍ .. فهوى

اسقني ، واشرب على أطلاله

وارو عني ، طالما الدمع روى » (*)

كنت أهوى هؤلاء الشعراء

أرتوي من دمعهم كل مساء

اتغنّى معهم بالمستحيل

(*) مطلع قصيدة « الاطلال » للشاعر الكبير ابراهيم ناجي

وبألوان الذبول

وبأوراق الخريفْ

وَهيَ تعدو في يد الريح إلى غور ٍ مخيفْ

وبطيرٍ اسودٍ في اللانهاية

راح يستفتي نواقيس الهداية

باحثاً في الأرض عن دودٍ ، وعن رب جديدْ !

* * *

كنت أهوى هؤلاء الشعراء

أتسامى فوق غيم نسجوهْ

أتمطّى في بخور أطلقوهْ

وأرى الحبّ .. شروداً ، وتهاويم ، وحزنا

والمحبّ الحقّ .. من يهوى ويفنى !

وعميقَ الحبّ .. حبّ لم يتم

ليقولوا .. يا للحن لم يتم !

* * *

ولياليَ عاميَ السادس عشرْ
كان حلمي أن أظل الليل ساهر
جنب قنينة خمرْ
تاركاً شَعريَ مهدول الخصلْ
مطلقاً فكري في كل السبلْ
أتلقّى الوحيَ من شيطان شِعري
وعلى خدّيَ دمعة
وعلى مكتبي الصامت شمعه
ترسم الظلّ على وجهي الكئيبْ
وهي تذوي في اللهيب
بينما التبغة تكوي اصبعي

وحنين غامض في أضلعي
لبحارٍ، يلعب القرصان فيها !

* * *

ولكمْ عذَّبني وقت الغروبْ
لونه الجهم الخضيبْ
صمته، سرب الطيور العائده
والزروع الهاجده
والثغاء المترامي من بعيد
لشياهٍ راقده
وغصونْ التوت تمشي في الشفقْ
عاريات. لا ورقْ
ونعوش النور تمشي
وهنا كم قلت آه !

كنت أهوى أن أموت

أنتهي في عاميَ السادس عشرْ !

* * *

أصدقائي !

نحن قد نغفو قليلاً ،

بينما الساعة في الميدان تمضي

ثمّ نصحو ، فاذا الركب يمر

واذا نحن تغيرنا كثيراً ،

وتركنا الاقبيه

وخرجنا ، نقطع الميدان في كل اتجاه

حيث تسري نشوة الدفء بأكتاف العراه

وعدونا ، نحضن الاطفال في كل طريق

ونناغي كل حلوه

كسكارى ، أخذتهم بعض نشوه
وبأنشودة نصر
وبلحن مشرق النبرة عانقنا الحياة
وبلغنا عامنا التاسع عشر

* * *

أصدقائي !
ها هي الساعة تمضي
فاذا كنتم صغاراً ، فاحلفوا الا تموتوا
واحذروا عامكم السادس عشر !

يناير ١٩٥٦

كان لي قلب

على المرآة بعض غبارْ
وفوق المخدع البالي ، روائح نومْ
ومصباحٌ .. صغيرُ النارْ
وكل ملامح الغرفه
كما كانت ، مساء القبلة الأولى
وحتى الثوب ، حتى الثوبْ
وكنت بحافة المخدعْ
تردّينَ انبثاقة نهدك المترعْ
وراء الثوبْ
وكنت تزيّنُ في عينيّ حديثاً .. كان مجهولا
وتبتسمين في طيبة

وكان وداعْ ،
جمعتَ الليل في سمتي ،
ولفّقْتَ الوجوم الرحب في صمتي ،
وفي صوتي ،
وقلت .. وداعْ !
وأقسم ، لم أكن صادقْ
وكان خداعْ !
ولكني قرأتُ رواية عن شاعرٍ عاشقْ
أذلَّته عشيقتُه ، فقال .. وداعْ !
ولكن أنت صدقتِ !

* * *

وجاء مساءْ
وكنتُ على الطريق الملتوي أمشي

وقريتنا .. بحضن المغرب الشفقي ،
رؤى أفق
مخادع ثرّةُ التلوين والنقش
تنام على مشارفها ظلال نخيل
ومئذنةٌ .. تلوّى ظلها في صفحة الترعه
رؤى مسحورةٌ تمشي
وكنت أرى عناق الزهر للزهرِ
واسمع غمغمات الطيرِ للطيرِ
وأصواتَ البهائم تختفي في مدخل القريه
وفي انفي روائح خصبٌ ،
عبير عناقٌ ،
ورغبةُ كائنين اثنين أن يلدا
وناز عني إليك حنينٌ

وناداني الى عُشك ،
إلى عشّي ،
طريقٌ ضم أقدامي ثلاث سنينْ
ومصباحٌ ينوّر بابَكِ المغلقْ
وصفصافه
على شُبّاكك الحرّان هفهافه
ولكني ذَكرْت حكاية الامسِ ،
سمعت الريح يجهش في ذرى الصفصاف ،
يقول .. وداعْ !

* * *

ملاكي ! طيريَ الغائبْ !
حزمتُ متاعيَ الخاوي الى اللقمه
وفتّ سنيني العشرين في دربك

وحنَّ عليَّ ملاّح ، وقال .. أركبْ !
فألقيت المتاع ، ونمت في المركبْ
وسبعة أبحرٍ بيني وبين الدارِ
أواجه ليليَ القاسي بلا حبٍّ ،
وأحسد من لهم أحبابْ ،
وأمضي .. في فراغ ، باردٍ ، مهجورْ
غريبٌ في بلادٍ تأكل الغرباءْ
وذات مساءْ ،
وعمر وداعنا عامان ،
طرقت نواديَ الاصحاب ، لم أعثر على صاحبْ !
وعدت .. تَدعُني الأبوابُ ، والبواب ، والحاجبْ !
يدحرجني امتداد طريقْ
طريق مقفرٍ شاحبْ ،

لآخرَ مقفرٍ شاحبْ ،
تقوم على يديه قصور
وكان الحائط العملاق يسحقني ،
ويخنقني
وفي عيني .. سؤال طاف يستجدي
خيالَ صديقْ ،
ترابَ صديق
ويصرخ .. إنني وحدي
ويا مصباح ! مثلك ساهر وحدي
وبعت صديقتي .. بوداعْ !

* * *

ملاكي ! طيريَ الغائبْ !
تعالي .. قد نجوع هنا ،

ولكنّا هنا اثنان !

ونعرى في الشتاء هنا ،

ولكنّا هنا اثنان

تعاليْ يا طعامَ العمرْ !

ودفء العمرْ !

تعاليْ لي !

فبراير ١٩٥٦

الطريق إلى السيدة

ـ يا عمّ ..
من أين الطريقْ ؟
أين طريق « السيده » ؟
ـ أيمنْ قليلاً ، ثم أيسر يا بنيّ
قال .. ولم ينظر إليّ !

* * *

وسرْت يا ليلَ المدينه
أرقرق الآه الحزينه
اجرّ ساقي المجهده ،
للسيده
بلا نقودٍ ، جائعٌ حتى العياءْ ،
بلا رفيق

كأنني طفل رمته خاطئه
فلم يعره العابرون في الطريق ،
حتى الرثاء !

* * *

إلى رفاق السيده
أجرّ ساقي المجهده
والنور حولي في فرح
قوس قزح
وأحرف مكتوبة من الضياء
« حاتي الجلاء »
وبعض ريح هيّنٍ ، بدء خريفَ
تزيح ذَيلَ عقصةٍ مغيّمه ،
مهمومه

على كتفْ

من العقيق والصدفْ

تهفهف الثوبَ الشفيفْ

وفارسُ شدّ قواماً فارعاً ، كالمنتصرْ

ذراعه ، يرتاح في ذراع أنثى ، كالقمرْ

وفي ذراعي سلة ، فيها ثياب !

* * *

والناس يمضون سراعَا ،

لا يحفلون ،

أشباحهم تمضي تباعَا ،

لا ينظرونْ

حتى إذا مرّ الترام ،

بين الزحام ،

لا يفزعونْ
لكنني أخشى الترامْ
كل غريب ههنا يخشى الترام !
وأقبلت سيارةٌ مجنَّحه
كأنها صدر القدرْ
تُقلّ ناساً يضحكون في صفاءْ
أسنانهم بيضاء في لوْن الضياءْ
رؤوسهم مرنَّحه
وجوههم مجلوّةٌ مثل الزهرْ
كانت بعيداً ، ثمّ مرّت ، واختفت
لعلها الآن أمام السيده
ولم أزل أجرّ ساقي المجهده !

* * *

والناس حولي ساهمونْ
لا يعرفون بعضهم .. هذا الكئيبْ
لعله مثلي غريبْ
أليس يعرف الكلامْ ؟
يقول لي .. حتى .. سلامْ !
يا للصديقْ !
يكاد يلعن الطريق !
ما وجهته ؟
ما قصته ؟
لو كان في جيبي نقودْ !
لا . لن أعودْ
لا لن أعود ثانياً بلا نقود
يا قاهره !

أيا قبابا متخماتٍ قاعده

يا مئذناتٍ ملحده

يا كافره

أنا هنا لا شيء ، كالموتى ، كرؤيا عابره

أجرّ ساقي المجهده

للسيده !

للسيده !

نوفمبر ١٩٥٥

لمن تغني؟!

من أجل ان تتفجر الأرض الحزينة بالغضبْ ،
وتطل من جوف المآذنِ أغنياتُ كاللهبْ ،
وتضيءَ في ليل القرى ، لَيل القرى كلماتُنا ،
وُلِدَتْ هنا كلماتُنا
وُلِدَتْ هنا في الليل يا عود الذره
يا نجمةً مسجونةً في خيط ماءْ
يا ثدي أمٍّ ، لم يعد فيه لبن
يا أيها الطفل الذي ما زال عند العاشره
لكنّ عينيه تجوّلتا كثيراً في الزمن
يا أيها الانسان في الريف البعيد
يا من تعاشر أنفساً بكماءَ لا تنطقْ

وتقودها ، وكلاكما يتامل الأشياءْ
وكلاكما تحت السماء ، ونخلة ، وغراب ،
وصدى نداءْ
يا أيها الانسان في الريف البعيد
يا من يصمّ السمع عن كلماتنا
أدعوك ان تمشي على كلماتنا بالعين ، لو صادفتها
كيلا تموت على الورقْ
أسقطْ عليها قطرتين من العرقْ ،
كيلا تموت
فالصوت إن لم يلق أذناً ، ضاع في صمت الأفقْ
ومشى على آثاره صوت الغراب !

* * *

كلماتنا مصلوبة فوق الورقْ

لمّا تزل طيناً ضريراً ، ليس في جنبيه روح
وأنا أريد لها الحياة ،
وأنا اريد لها الحياة على الشفاه
تمضي بها شفةٌ إلى شفةٍ ، فتولد من جديدْ !

* * *

يا أيها الإنسان في الريف البعيد !
أدعوك أن تمشي على كلماتنا بالعين ، لو صادفتها ،
أن تقرأ الشوق الملحّ إلى الفرح
شوقاً إلى فرح يدوم
فرحٍ يشيع بداخل الأعماقِ ، يضحك في الضلوعْ
كي تنبت الأزهار في نفس الجميعْ
كي لا يحب الموتَ إنسانٌ على هذا الوجود

* * *

وُلدتْ هنا كلماتنا

لكِ يا تقاطيع الرجال النائمين على التراب

المائلين على دروب الشمس ، والبط المبرقش ،

والسحابْ

فوراء سمرتك الحيّية يلتوي نهر الألمْ

وبجانب العينين طير ، ناصع الزرقه

مدّ الجناح على اصفرارِ كالعدمْ

وهفا ليرتشف الدموع

إني احبك أيها الانسان في الريف البعيد !

واليك جئت ، وفي فمي هذا النشيد

يا من تمر ولا تقفْ

عند الذي لم يُلقِ بالاً للسكارى والستائر والغرفْ

وأتى اليك ، إلى فضائك بالنغمْ

نغمٍ تلوّع في فؤادي قبلما غنّيتُ لكْ
فأنا الذي عالجت نفسي بالهوى ،
كي تخرجَ الكلمات دافئة الحروفْ
وأنا الذي هرولت أياماً بلا مأوى ، بدون رغيف ،
كي تخرجَ الكلمات راجفةً ، مروّعةً بكل مخيفْ ،
وأنا ابن ريفْ
ودّعت أهلي وانتجعت هنا ،
لكنّ قبر أبي بقريتنا هناك ، يحفّه الصبارْ
وهناك ، ما زالت لنا في الأفق دارْ ؟

* * *

أين الطريق الى فؤادك أيها المنفيّ في صمت
الحقول
لو أنني نايٌ بكفّك تحت صفصافه !

أوراقها في الافقِ مروحةٌ ،
خضراء هفهافه
لأخذت سمعك لحظةً في هذه الخلوه ،
وتلوت في هذا السكون الشاعري حكاية
الدنيا ،
ومعارك الانسان ، والاحزان في الدنيا
ونفضت كل النار ، كل النار في نفسك
وصنعت من نغمي كلاماً واضحاً كالشمس
عن حقلنا المفروش للأقدامْ ،
ومتى نقيم العرس ؟
ونودّع الآلامْ !

أغسطس ١٩٥٧

سلّة ليمون

سلة ليمونْ !
تحت شعاع الشمس المسنونْ
والولد ينادي بالصوت المحزونْ
« عشرون بقرشْ
« بالقرش الواحد عشرونْ ! »

* * *

سلة ليمون ، غادرت القرية في الفجرْ
كانت حتى هذا الوقت الملعونْ ،
خضراءَ ، منداةً بالطلّ
سابحةً في أمواج الظلْ
كانت في غفوتها الخضراء عروس الطيرْ

أوّاه !

من روّعها ؟

أي يدٍ جاعت ، قطفتها هذا الفجرْ !

حملتها فِي غبش الإصباح

لشوارع مختنقاتٍ ، مزدحماتْ ،

أقدامُ لا تتوقف ، سياراتْ ؟

تمشي بحريق البنزينْ !

مسكين !

لا أحد يشمّك يا ليمونْ !

والشمس تجفف طلّك يا ليمونْ !

والولد الأسمر يجري ، لا يلحق بالسيارات

عشرون بقرش

« بالقرش الواحد عشرونْ ! »

***

سلة ليمون !
تحت شعاع الشمس المسنونْ
وقعت فيها عيني ،
فتذكّرتُ القريه !

اواخر ١٩٥٧

إلى اللقاء..

« باسم الصديق رجاء النقاش .. »

١

يا أصدقاءْ !

لشد ما أخشى نهايةَ الطريق

وشد ما أخشى تحية المساء

« إلى اللقاء » !

أليمةٌ « إلى اللقاء » و « اصبحوا بخير ! »

وكل ألفاظِ الوداع مرّة

والموت مرّ

وكل شيء يسرق الإنسانَ من إنسان !

٢

شوارع المدينة الكبيره
قيعان نارْ
تجترّ في الظهيرة
ما شربته في الضحى من اللهيبْ
يا ويله من لم يصادف غير شمسها
غير البناء والسياج ، والبناء والسياجْ
غير المربّعات ، والمثلثات ، والزجاج
يا ويله من ليلة فضاء
ويوم عطلتهْ
خال من اللقاءْ
يا ويله من لم يحب
كل الزمان حول قلبه شتاء !

٣

يا أصدقاء !

يا ايها الأحياء تحت حائطٍ أصمْ

يا جذوة في الليل لم تنمْ

لشد ما أخشى نهاية الطريقْ

أود ألا ينتهي ،

ولا يضيقْ

ويفرش الرؤي المخضلة السعيده

أمامنا .. في لا نهاية مديده

كافق قرية في لحظة الشروق

والأفق رحب في القرى حنون

وناعمٌ وقرمزيٌ يحضن البيوتْ

وتسبح الأشجار فيه كالهوادج المسافره

يا ليتنا هناك !
نسير تحت صمته العميق
ونوره المضبّب الرقيق
جزيرة من الحياه
ينساب دفء زرعها على المياه
ولا تملّ سيرها .. يا أصدقاء !

٤

الليل في المدينة الكبيره
عيدٌ قصير
النور والأنغام والشباب
والسرعة الحمقاء والشراب
عيدْ قصير

شيئاً .. فشيئاً .. يسكت النغمْ
ويهدأ الرقص وتتعب القدمْ
وتكنس الرياح كل مائده
فتسقط الزهور
وترفع الأحزان في أعماقنا رؤسها الصغيره
وننثني إلى الطريق
صفّان من مسارج مضبّبه
كأنها عمدان قرية مخربه
تنام تحتها الظلال
وقد تمرّ مركبه
ترمي علينا بعض عطرها السجين
وساعة الميدان من بعيد
دقاتها ترثي المساء
وتلتوي أمامنا مفارقٌ ثلاثة ،

تمتد في بطن الظلام والسكون
وتهمسون :
« إلى اللقاء ! »

* * *

الليل وحده يهون
وداعه يهون فالنهار ذو عيون ،
تجمّع العقد الذي انفرطْ
لكن دربنا طويلْ
وربما جزناه أشهراً وأشهراً معا
لكننا يوماً سنرفع الشراع
كلٌ إلى سبيل
فطهروا بالحب ساعة الوداع !

أبريل ١٩٥٦

قصة الأميرة والفتى الذى يكلم الماء..

أعرفها ، وأعرفه

تلك التي مضت ، ولم تقل له الوداع ، لم تشأ

وذلك الذي على إبائه اتكأ

يجاهد الحنين يوقفُه

كان الحنين يجرفه

فهو أنا وأنت، والذين يحفرون تحت حائط سميك

لتصبح الحياة عش حب

به رغيفٌ واحدٌ ، وطفلةٌ ضحوك !

* * *

أعرفها ، وأعرفه

أميرةٌ شرقيةٌ تهوى الغناءْ
تهواه لا تحترفُهْ
وتعشق الليالي الماسيَّةَ الضياءْ
ـ صاحبة السمو أقبلت !
... ويصبح البهو المليء ضفتين
وتهمس الشفاه كِلْمتينْ .. كِلْمتينْ
ـ عشيقها هذا المساء شاعرٌ أنيقْ
ـ نعم ... فانها تضيق بالعشيقْ
إذا أتى الصباح وهو في ذراعها
وتهمس امرأه
ـ دولابها يضم ألف ثوبْ
وتهمس امرأه
ـ وقلبها يضم ألف حُبَّ
ـ نعم نعم ... فانها أميرة لا تكتفي بحب

ويخفت الحديث ثم يهتف المضيف

ـ يا أصدقاء

صاحبة السمو تبدأ الغناء !

... ويخفت الضياء غير كوة تنير وجهها

وتبدأ الغناء ... « أوف ! »

« قلبي على طفل بجانب الجدارْ

لا يملك الرغيف ! »

.. وتلهث الأكفُّ .. فلتحيا نصيرةُ الجياعْ

ثم تدور عينها لتلمح الذي أصابه الكلامْ

وعندما يرفّ نور الشمس تهمس « الوداع »

وفي ذراعها عشيقها الجديدْ !

* * *

أعرفها ، وأعرفُهْ

لأنني كنت كثيراً ما اصادفُهْ
على شجيرة المساء ، قابعاً بنصف ثوبْ
يقول للمساءْ
« يا أيها الحزن الأثيري الرحيب !
يا صاحب الغريبْ
أنا كلام الأرض ... هل أنصت لي ؟!
أنا ملايين العيون ... هل نظرت لي ؟!
لي مطلبٌ صغيرْ
أن تصبح الحياة عش حبْ
به رغيف واحد وطفلة ضحوكْ ! »
... وفي ليالي الخوف طالما رأيته يجول في الطريق
يستقبل الفارين من وجه الظلامْ
ويوقد الشموع من كلامه الوديعْ

ففي كلامه ضياء شمعةٍ لا تنطفىء
ويترك اليدين تمشيان بالدعاء ،
على الرؤوس والوجوه
وتمسحان ما يسيل من دموع
« الصبح في الطريق
يا أصدقائي ! انني أراه
فلا تخافوا ... بعد عام يقبل الضياء ! »
وعندما يمشون تمشي فوق خديه الدموع
ويفلت الكلام منه ، يفلت الكلام
« هل يقبل الضياء حقاً بعد عامْ ؟ »

* * *

ذات مساء كان صاحبي يكلم المساء
فانساب مقطع مع الرياح ثم وشوش الأميره

فقرّبت مرآتها وصفّقت
« يا أيها الغلام !
بجانب القصر فتى يخاطب الظلامْ
اذهب اليه ، قل له سيدتي تريد أن تكلمك
ولا تقل ــ أميرتي »
... ثم تهادت نحو شرفة جدرانها زهور
ورددت في الصمت « أوفْ ! »
قلبي على طفل بجانب الجدارْ
لا يملك الرغيفْ ! »
وأقبل الغلام يسبق الفتى
ــ أميرتي .. سيدتي .. أتيت به !
ــ « أهلاً وسهلاً ... ليلنا سعيدْ
ادخل .. تفضل » .. وانقضى المساء !
.. وفي الصباح ساءلته .. « ما الذي رأيت ؟ »

ـ « سيدتي .. إني رأيت كلّ خير »

« سيدتي ... أنا سعيد ! »

قالت له ، وعينُها في عينه المسهده

ـ « أراك قد عشقتنا ! »

فلم يرد صاحبي

قالت له : « فما الذي تعطيه لي لو اننا عشنا معاً !؟

فدّمعا

ثم أجابها وصوته منغَّم حزين

سيدتي .. أنا فتى فقير

لا أملك الماس ولا الحرير

وأنت في غنىٍ عما تضم أشهرُ البحار من لآلْ

فقلبك الكبيرُ جوهره

جوهرة نادرة في تاجِ عصرنا

ولو قضيتُ عمريَ الطويلَ أقطع البحارْ ،

وأنشر القلاعْ ،
وأبسط الشباكَ ، أقبض الشباكْ
لما وجدتُ مثلها
لكنني وجدتها هنا
وجدتها لما سمعت لحنك المنساب كالحرير
يبكي لطفل نام جائعا ! »
.. فابتسمت قائله : « لا أنت شاعرٌ كبير !
يا سيدي أنا بحاجة إلى أمير
إلى أمير ! »
وانسدّ في السكون باب ! !

* * *

أعرفها ، وأعرفه
تلك التي مضت ولم تقل له الوداع .. لم تشأ

وذلك الذي على إبائه اتكا
يجاهد الحنين يوقفه
كان الحنين يجرُفهْ !!

ابريل ١٩٥٧

مقتل صبي

الموت في الميدان طَنّ
الصمت حطّ كالكفن
وأقبلت ذبابةٌ خضراء
جاءت من المقابر الريفية الحزينه
ولَوْلَبَت جناحها على صبي مات في المدينة
فما بكت عليه عينْ !

* * *

الموت في الميدان طَنّ
العجلات صَفَّرَت ، توقفت
قالوا : ابن من ؟
ولم يجب أحد

فليس يعرف اسمه هنا سواه !
يا ولداه !
قيلت ، وغاب القائل الحزينْ ،
والتقت العيون بالعيونْ ،
ولم يجب أحدْ
فالناس في المدائن الكبرى عَدَدْ
جاء ولدْ
مات ولدْ !
الصدر كان قد همدْ
وارتدّ كفٌ عضّ في الترابْ
وحملقتْ عينان في ارتعابْ
وظلّتا بغير جَفْنْ !

* * *

قد آن للساق التي تشردت أن تستكنْ !
وعندما ألقوه في سيارة بيضاءْ
حامت على مكانه المخضوب بالدماءْ
ذبابة خضراءْ !!

يناير – ١٩٥٨

المخدع ..

ولمّا أفاقَتْ عن رداء ممزّقٍ

ونوحِ سريرٍ آثمٍ خافتِ الهمسِ

وكاسين ، كاس لا يزال بكفها

وكاسٌ يغني وحده قصة الأمس

وضوء سراجٍ غامضٍ ظلّه صدىً

لألوان حلمٍ باهتٍ ذكره يُنسى

هما أغمضاه عندما رقص اللظى

ومالتْ ظلالُ العاريين على الكأس

وعصفورةٍ حيرى الجناح شقيةٍ

عماها الدجى فاشتاقت النور باللمس

تردد بين السقف والباب علّها

تشم شعاعاً تاه عن موكب الشمس

وريحٍ من الوديان حنّانةِ الصدى

تئنّ خلال الثقب واهنة الجرس

تسوق حنين الليل للمخدع الذي

تثاءب فيه الدفء والمئزر المنسي

وآه على الاسجاف لوعى مديدةٍ

كمرثيةٍ ضلّت طريقاً الى الرمس

تزف ليالي الأنس، والصمت حولها

تراب تردت عنده ليلةُ الانس

ولما افاقت يا لطهر أنامـــلٍ

تردّ طيوراً في الخيال عن الغرس

تغطي بياض النهد والنهد حانة

عليه خطى الفسّاق دامية الجس

تلوّت توارى في يديها مفاتنا
عرايا تشهاها المصلي على القدس
تزمّ - كعذراء - فتوق ردائها
على أي شيء يا معذبة النفس؟
وولت تردّ الباب خلف مدامعٍ
لها كلّ اصباحٍ طريدةُ فردوسِ

يونيه - ١٩٥٤

مذبحة القلعة

الدجى يحضن أسوارَ المدينه
وسحاباتٌ رزينه
خرقتها مئذنه ...
ورياحٌ واهنه
ورذاذٌ ، وبقايا من شتاءْ

* * *

... وتلاشى الصمت في وقع حوافر
وترامى الصوتُ من تل لآخرْ
في المقطَمْ
وبدا في الظلمة الدكناء فارسْ

يتقدَّمْ ..!
وبدا في البرج حارسْ
وجهُه في المشغلِ الراقص أقتمْ
متجهِّمْ !
ثم رنَّت في فراغ البرج صيحه
ثم دار الباب في صوتٍ شديدِ
باب قلعه
فيه آثار دماء وصدأ
واختفى الفارس في أنحائها ،
صاعداً يحمل « للباشا » النبأ
« المماليك جميعاً في المدينه ! »

* * *

ثم يمتدّ السكونْ ،
والدجى يحضن أسوار المدينه

وسحاباتٌ رزينه
خرقتها مئذنه ..
ورياحٌ واهنه
تتلوى في تجاويف الحواري
حيث ما زال المنادي ،
يتلوى في الحواري ،
راجفاً في الصمت .. « يا أهل المدينه :
في البكورْ
سوف يمضي جيشُ « طُوسُنْ »
ابن والينا الكبيرْ
للحجازْ
لقتال الكافرين الخارجين
عن موالاة أمير المؤمنين
ساكن البسفور ، حامي الأستانه

نضر الله زمانه
وسيمضي الناس للقلعة في ركب كبير
بين أفراح وزينه
والمماليك وأعيان المدينه
لوداع الجيش قبل السفر » ..
وبعد العين شيخ خارج من باب دار
يتوارى ويتمتم
« في جهنم !!
ما لنا نحن وطوسن يا حمار ؟! »
ويرد الباب في حقد وراءه
ثم ينداح المنادي ، والصدى
يتلاشى .. يتلاشى .. مجهدا
ويعود الصمت يمشي في الحواري الحجريه
حيث ما زالت رسوم فاطميه ..

وطلول شركسيّه

وَدِمَنْ ..

ضيّعت أنسابها أيدي الزمنْ

وعَفَنْ ،

وبيوتٌ ، وصخورٌ ، وتراب

نام فيها الجوع واسترخى الذبابْ

وصلاةٌ خافته

وكلابٌ ، وفراخ ميّته

والحواري ساكته

غير شحاذ يغني للقلوب المؤمنه

ورياح واهنه

تتلوّى في الحواري الحجريه

ثم تمضي في دروب الأزبكيه

في مياه البركة الخضراء تهوي

حيث يبدو قصر مملوكٍ جميل
روّع الافرنجَ في يومٍ طويل
عندما شدوا الخيول
لتبول
فوق صحن الأزهر المعمور ! لا كانت تعود
عندما شدوا الخيول
وأمين بك
آه هذا الفارس الشهم النبيل
قال : « هيا يا جنود الله يا أهل المدينه
أنا منكم ودمي من قمحكم ،
وجراحي قطرة من جرحكم ،
وقراكم موطني . اني غريب
قد رعاني ذلك الوادي الخصيب
فانهضوا وامضوا معي

نغسل العار بكأس مترع
من دمائي ودماكم ! »
آه .. ما أروع أصوات الجموع
عندما سارت اليه كالدموع
« يا أمين بك ! أنت منا وتربيّت هنا !
وانبرى بائع أثواب قديمه
قائلاً « هيا بنا ! »
.. أوه .. لا كانت تعود !
الدجى ما زال يجتاح المدينه
ونباح من بعيد ،
وزعيق الحارس المقرور يَدْوي
ورياح الليل تمضي بالهشيم ،
حيث يهوي .
في مياه البركة الخضراء يهوي

ونباح من بعيد ،

من بعد

يختفي .

في الصباح الراجفِ

وتدق الشمسُ ابواب المدينه

« يا كريم .. »

قالها السّقّـا على بيت قديمْ

ويموجِ السوق بالذكر الحكيمْ

ويُحيّـي الناس درويشٌ صبوح

تحت يمناه تدلّت مبخره

تنفح السوق غيوماً عاطره

ثم يمضي ويصيح

« يا كريم ! »

ومشت في المشربيّـات العتاق

ضحكاتٌ ناعماتْ
لجوار حالماتْ
بحرير ، وعطور ، وانطلاق
وضجيج ونكات .
كل لحه
كل صيحه
ولو الصيحةُ فرحه
خلفها حزن عريق
صوت بوق !
ـ « عسكر الباشا ! » وينسدّ الطريق ،
بخليطْ ،
من بلاد الأرناؤوط
وبلاد الصرب ، والأتراك .. من كل البلاد
ـ « وسّعوا يا ناس للركب ! » وينسدّ الطريق

ويثيرونِ الغبار

عالمٌ يركب بغله

تتهادى في وقارْ

نقلة في إثر نقله

تقصد القلعة للمحتفلين

والمماليك بدوا فوق الخيول العربيه

بالثياب الموصليّه

والفراء السيبريه

ببقايا عزّهم .. مثلَ الشهب

يغصبون الابتسامْ

ويدارون الغضب

وجموع الناس ترنو وتشير

ـ « آه يا عيني .. لقد أضحوا يتامى مثلنا ! »

ـ « ما لهم في الأمر شيء مثلنا ! »

وأشار الناس في وجه أمين بك ثم قالوا :

ـ « ذلك الوجه القمر

ذلك الشهم النبيل

روّع الافرنج في يوم طويل ! »

* * *

وتهادى الركب للقلعة هونا

يصعد التل إلى القلعة هونا

صوت بوق !

ثم رنّت في فراغ البرج صيحه

ثم دار الباب في صوت شديد

باب قلعه !

فيه آثار دماء وصدأ

ومضى كل المماليك يُغذون الخطى

ويثيرون الصدى

بين أسوار وابراج رهيبة
دخلوا القلعةَ ثمّ التفتوا في بعض ريبه
فاذا بالباب يرتد هناك !!!
واذا صوت الجموع
صادرٌ من خلف بابٍ .. من هناك
« اطلقوا ! »
قالها قائد جند الارناؤوط
« اطلقوا ! »
فالنار تهوي كالخيوطْ
كالمطرْ
زغردات مستريبه
تتردّى بين أسوار وأبراج رهيبه
« آه يا نذلُ لقد خنت ... » ويهوي كالحجرْ
ورصاص كالمطرْ

وجنود الارناؤوط
من قريب وبعيد
من علٍ .. من تحتِ .. أيدي اخطبوط !
تطلق النار ، فكم خرّ حصان
ملقياً سيده فوق الدماء
فترش السقطة الجدران دم
وألم
« آه يا نذل .. » ويهوي كالحجر
والخيول
حمحمات وصهيل
ترفس الصخر فينطق الشرر
والصّخب
« أنت محصور فخذها »

« لا تفكّر في الهرب »
« أنت ودعت الحياة ! »
ثم يهوون كسنبل
تحت منجل
« آه يا ما أصعب الميتة من كف الجبان ! »
وأمين بك جانب السور وفي يمناه سيفه
هل يفيد السيف .. آه لن يفيد
« يا مماليك أيا أبهة العصرِ المجيد
قد مضيتم ! »
قالها واغرورقت عيناه بالدمع الوئيد
والتقت عيناه في عيني شهيد
ثم يعدو بحصانه ،
يعتلي السور ويرنو فإذا الأرض بعيد
ثم تلقي عينه دمعاً على وجه الحصان

فيِ حنانْ

« يا حصاني طرْ بنا »

وإذا الفارس في السحب عقابْ

يتهاوى شاهراً في الجو سيفَـهْ

معطياً للشمس أنفَـهْ

تاركاً للريح أطراف الثيابْ

كإلَهِ وثني يتمشى في السحابْ

فاذا ما قارب الأرض قفزْ

والحصانْ

صار أشلاءً على ظهر التلالْ

« قد نجا منهم أمين بك يا رجالْ ! »

قالها الناس على ظهر التلالْ

ومضوا كالدافنين

ثم يمتد السكون

وحصانٌ يهبط القلعة وحده
مطرقاً يمضغ في صمت حزينْ

ديسمبر – ١٩٥٥

أغنيــة فى الليــــل

لو أننا تحت المساء زهرتانْ ،
عاريتانْ ،
أحسّتا بالبردِ فجاةً ، بنقلة الزمانْ
فاهتزتا ، ومالتا ،
حتى تلاقى الشوك والندى ،
وغيّم الشذى على المكانْ !

* * *

الليل يا حبيبتي ..
أغنيةٌ ،
دافئة المعانْ ،

رقصة مهرجانْ ،

تجمع ريح الشرق ، والشمال .. في مكانْ ،

تثير في كل حياة شوقها لغيرها ،

فتلعق الأرض أصابع الزروع ،

وتحبل الرياحْ ،

وينعس المنقار في الجناحْ ،

وينزل المطرْ !

* * *

حبيبتي ..

ماذا علينا لو رأى القمر؟

اكتوبر – ١٩٥٧

ميلاد الكلمات

كلمه !

اخضرّت في قلب الظلمه

وأضاءت أرواح الشعراءْ

كلمه !

زرعتها شفتي ذات مساءْ

أحبَبتُ العالمَ ذات مساءٍ ، مخنوق الأضواءْ

لمّا كان الشارعُ ليلاً ، عرشاً للحراسِ

وعلى البعد مدافنُ ، كانت تطوي خطو الناس

والكلب يفتّش عن لقمه ،

وأنا أبحثُ تحت الشرفات عن البسمه !

لم يعثر ، وأنا لم أعثر ،

فرجعنا ! نبح الكلب ، وضمّتنا الطرقات
واجهنا الجدران الجهمه
واجهنا أسواراً .. أسلاكا ،
واجهنا أشواكا ،
ورأيت أسيراً ، قسماتي ، قسماتك في وجهه
قسمات الكل ارتسمت في وجهه
ومشت أحذية الحراسِ ،
كمطارقَ تملأ إحساسي
تدفعني في قلب الظلمه
تدفعني حتى انهرت ، ركعت
تحت النجمه
قَبّلتُ الأرضَ ، وتمتمت حروفا
يا أرض استمعي لحروفي
حرفاً ، حرفاً .. زرعت شفتي الكلمه
ورواها دمعي، فاخضرّت حرفاً ، حرفا

ورأيت البرعم يبزغ مرتجفاً
كتبت أوراق البرعم ما تمتمت بأذن الأرضْ ،
كلمة « إنسانْ » !
يا للروعه !
الكلمة تنمو بالدمعه
وأخذت الكلمة جنب القلبْ
قرّبت الكلمة من شوقي ،
شوق الإنسان إلى الخضرة والحبْ !
ونما حرف ، عانق حرفا ،
كتبَ « الجنّـه ! »

* * *

الكلمة تنمو بالدمعه
فليسحقني الألم إذا الكلمة عطشت

كي أسقيها بدل الدمعة عشر دموعْ
وليزرعها كل شقي مثلي ، عرف الجوعْ ،
وعذابات الحب الخاسرْ
ولتمتدّ جذور الكلمة نحو قرانا ،
نحو قرانا ذات الدمع الوافرْ
كي تورق في قلب قرانا تلك الكلماتْ
وليقرأها الرجل الطيبْ
ولتنضج ، ولتصبح راياتْ
تتقدم خطوات الإنسان ،
ليقيم على الأرض الجنه !

سبتمبر ١٩٥٧

حلم لليلة فارغة

أيتها المقاعد الصامته ..
تحركي .. ليلتنا جديدة ،
لا تشبه الليالِيَ الفائته
ليلتنا واسعةٌ مضيئةً
وهذه الجدرانْ
تراجعت لنجمةٍ تدور
لريح صيفٍ ، أقبلت بشهقةِ الزهورْ
أحسّ أنّ .. زائراً ما ، يقطع الطريق لي .
وبعد ساعةٍ ، إن لم يجيء
سأترك المكانَ

بالأمس طائر الغرام زارني ،
جناحه أخضرْ
أليس حقاً ما أقولْ ؟
جناحه أخضر ،
وبالندى ، جناحه مبلولْ !
أليس حقاً ما أقول ؟
هنا وقفْ ،
دار على منازل الحي ، ودار وانعطفْ
تابعته .. كان فؤادي يرتجفْ
حتى وقفْ
هنا على الغصن الذي يميل نحونا
وبعد أن مَرّغ في الأنسام منقارهْ
واسترجع السر الذي يودّ إسرارهْ
قال بصوت ، سِرّه أنّي الوحيد سامعَه

« يا أيها السعيدْ
عندي كلام لك ،
حملته من منزلٍ بعيدْ
سيدتي .. صبيةٌ ، تسقي الزهور بالنهار
وفي المساء تستريح في جوارها
وجامعو الثمار حين يتعبون ،
يهوون في ظلّ الجدار
ألم تمرّ من هناك ؟
قلت .. بلى ،
أُمرّ مَرّتين ، في الضحى ، وفي الغروب !
قال .. رأتك سيدي ، يا أيها السعيد
وابتسمت ، فهل لمحت ثغرها الجميل يبتسمْ ؟
قلت .. نعمْ !
قال .. أقول والكلام سر ؟!

قلت .. تكلم ، انني وحيد
مالي صديق ، غير هذه الكتب
قال .. انتظر غدا !!

* * *

وبعد صمت لم يطل
الطائر الأخضر طارْ
الغصن ما زال بسحره يميلْ
كأنه ما غادر الغصن ، ولا أختفى
كأن نجمة خفيّة تدور
كأنني أحسّ رحلة العصيرْ
وهو يسير في شرايين الزهرْ
كأنني شجيرة من الشجرْ
مَرّت بها الامطارْ

فسار في أعماقها حلم الثمرْ
وانحلّت الأسرارْ
بعد طفولةٍ طويلةٍ ، بعد انتظار !

* * *

أيتها المقاعد الصامته
ما زلت صامته !
ما زالت الكتب ،
تلأ على الرفوف ، قاحلاً بلا زهورْ !
العالم الجميل فيها ، كومة من السطورْ !
الليل فيها ، ميتٌ بلا شعورْ !
لكننا نقطعه بها ،
وعندما نملّها ، تأتي الطيور في المنام
هامسةً .. غداً ، غدا !

لكنّ صبحاً ينقضي ، ويقبل المساءْ
ولا ندى .
ولا لقاءْ !!

نوفمبر – ١٩٥٧

عبد الناصر

فلتكتبوا يا شعراء أنني هنا
أمرّ تحت قوس نَصْر
مع الجماهير التي تعانق السّنى
تشدّ شعْر الشمس ، تلمسُ السماءْ
كأنها أسراب طيرْ
تفتّحت أمامها نوافذ الضياءْ

* * *

فلتكتبوا يا شعراء أنني هنا
أزاحم الجموع
أخوض بحراً أسمر المياه

أخوض بحراً من جباه

بحر الحياة ـ ما أشدّ عمقه ! ـ بحر الحياه

طوفانه يا شعراء سيد مهيب

يمضي فتنحني السدودْ

ويفتح الضياء ألف كوّةٍ عليهْ

ويطلق البوق النحاسي النشيدْ

* * *

فلتكتبوا يا شعراء أنني هنا

أشاهد الزعيم يجمع العرب .

ويهتف « الحرية .. العدالةَ .. السلام

فتلمع الدموع في مقاطع الكلام

وتختفي وراءه الحوائط الحجر

حتى العمودان الرخاميان يضمران ،

والشرفات تختفي ،
وتمحي تَعَرّجات الزخرفِ
ليُظهر الإنسان فوق قمةِ المكانْ ،
ويفتح الكوى لصحبنا
يا شعراء يا مؤرخي الزمان
فلتكتبوا عن شاعر كان هنا
في عهد عبد الناصر العظيم !!

يوليو – ١٩٥٦

بغـداد والموت

من قبل أن يذبح ، كان ميتاً
يبكي ببغداد زماناً ميّتا
يبحث عن حجابهِ
عن شاعرٍ ببابهِ ،
يُسْمِعُه .. أنت الفتى
فلا يرى إلا عيوناً من لظىً
تملأ جوف القصر رعباً صامتا
إلا قتيلاً ، لم يمت ، ولم يزلْ
يسأل بغداد .. متى الثأر ، متى ؟

* * *

بغداد درب صامتٌ ، وقُبّةٌ على ضريحْ
ذبابة في الصيف ، لا يهزّها تيّار ريحْ
نهرٌ مضت عليه أعوام طوالَ لم يفضْ
وأغنيات محزنه ،
الحزن فيها راكدٌ ، لا ينتفضْ !
وميّتٌ ، هيكل إنسانٍ قديمْ ،
سيف على صدر الجدار ، خنجرٌ من النضارْ ،
أرديةٌ ملوّنه ،
غطّت ضلوعاً من هشيم !
وامرأة تغلق في وجه المساء بابها
تبكي على أخشابه أحبابها
وأوجه منقّباتٌ ، لا تبوحْ
بغداد سورٌ ، ما له باب
بغداد تحت السطح سرداب

الفجر فيه ، في سواد أحرفٍ على الورق
والشمس فيه ، واستدارة الأفقْ
وشمعةٌ تراقصت من حولها سود الظلالْ
وسبعة من الرجال
جباههم مجرى عرق
وجوههم معتماتٌ لا تبوحْ
عيونهم لا تستريحْ
تنفذ في السرداب ، تعلو .. حيث بغداد تنوح
تمشي على نقش قديم في الخشبْ
« عاش العربْ » !

. . . .

وأزّ في نهاية السرداب بابْ
وشُدّت العيون نحوه ، كأنها حرابْ
صدى خُطىً ، أفسد وقعها الكلال

القلب دقّ

« النسر حطّ في دمشق »

« عدنان طير لا ينالْ » !

* * *

من قاع حفرتي أغني ، يا أوائل النهارْ

أحلم كالبذور في الثرى بعيد الاخضرار

وكلما يئست من بعثي ، ومن صدق المدار

ندّى ثرايَ دمع بغداد ، فعاد الانتظارْ

* * *

من قاع حفرتي رأيت الشمس تأتي كلّ يومْ

تأتي ، ولا ترحم نائماً سعيداً طيّ حلمْ

تأتي ، ولو لم يَدْعُها كفٌ ، ولم يصلِ فمْ

تأتي ، فكم طفل مشى ، وكم طوى الثرى هرمْ

* * *

من قاع حفرتي ، سَمعْتُ قصتي تطوي البلادْ
كالطائر الليلي تبكيني ، وتبذر السهادْ
بغداد !
طفلك القتيلُ ساهرٌ تحت الرمادْ
منتظر أن تكتبي بالفأس تاريخ المعادْ !

* * *

الموت ليس أن توارى في الثرى
ولا الحياة أن تسير فوقهُ
الزرع يبدأ الحياة في الثرى
ويبدأ الموت إذا ما شَقّهُ
فامنح هواك للذي يحيا ،
وأعط للتراب ما استباحوا خنقه
فلن تموت يا مسيح ! إنما

على الصليب ينتهي من دقّهُ !

* * *

بغداد طفلُها على باب الدفاع
لم يغتمض جفناه ، لم يسكن بجنبه ذراعْ
مرتفع ، وثائر الشعر ، ومطلول الجراح
كأنه يخطب في جنوده يوم الصراعْ
كأنه ما زال هارباً يعاكس الرياحْ
يا .. يا صلاحْ !
يا .. يا صلاحْ !
أطفال بغداد بجانب الجدار يهمسون
ردّ علينا ! ان صمتك الطويل ، يقطع الصبر الجميلْ
ردّ علينا ! ما الذي فعلت في عام الرحيلْ
يا قائد الثوار ! يا حيران بالحلم النبيلْ !
هل يجمع العُرْبُ الشتات ؟

هل يدفنون قاتلاً ، من قبل أن يموت .. مات ؟!
يا .. يا صلاح !
إلى اللقاء ، لن نقولَ .. الوداعْ !

* * *

بغدادُ ليلٌ ما به نجمُ
بغداد فجرٌ لاهبٌ جهمُ
يا أهل بغداد اخرجوا .. لا تتركوه !
بغداد أرض قلّب المحراث في دروبها ،
فانبتت مليون ساقْ
تزاحمت ، والنوم في عيونها ،
وفي ثيابها روائح الزقاقْ
تزاحمت ، يا ويله عبد الإله ،
من ثورة القتلى ، ومن ثأر الحياه !
الميّت المسكين يرمي الموت في وجه الجنود

يبحث عن باب النجاه
لا تتركوه !
لا تتركوه !
لا ترجعوا من قصره سود الوجوه
سدّوا عيونه التي أغلقها دون الصباحْ
شلّوا يمينه التي كم حفرت حمر الجراحْ
يا .. يا صلاحْ
باسم جديد عدت يا شعب العراقْ
يا أيها الطفل القتيل ، قد بعثت من جديد
يا أهل بغداد اخرجوا .. اليوم عيدْ
عدوّكم ظلٌّ على باب الدفاعْ
ظلٌّ بلا ملامحٍ ، بلا ذراعْ
ظلٌّ تعافه الطيور ، فادفنوه !

سبتمبر – ١٩٥٨

أنا.. والمدينة

هذا أنا ،

وهذه مدينتي ،

عند انتصاف الليلْ

رحابة الميدانِ ، والجدرانُ تلّ

تبين ثم تختفي وراء تلّ

وريقة في الريح دارت ، ثم حطت ، ثم

ضاعت في الدروبْ ،

ظل يذوبْ

يمتد ظلّ

وعين مصباح فضولي مملْ

دُستُ على شعاعه لمّا مررتْ
وجاش وجداني بمقطع حزين
بدأته ، ثم سكتّ
من انت يا .. من أنتْ ؟
الحارس الغبيُّ لا يعي حكايتي
لقد طُرِدتُ اليومْ
من غرفتي
وصرت ضائعاً بدون اسم
هذا أنا ،
وهذه مدينتي !

يونيه — ١٩٥٧

حب في الظلام

أحبّكِ ؟ عيني تقول أحبّكِ

ورنّة صوتي تقول ،

وصمتي الطويل

وكل الرفاق الذين رأوني ، قالوا .. أحب !

وانت إلى الآن لا تعلمين !

* * *

أحبّك .. حين أزفُّ ابتسامي ،

كعابر دربٍ ، يمر لأول مره

وحين أسلّمُ ، ثم أمر سريعا ،

لأدخل حجره

وحين تقولين لي .. إروِ شِعرا
فارويه لا أتلفّتُ ، خوفَ لقاء العيونْ
فإن لقاء العيون على الشعر ، يفتح باباً لطير سجين
أخاف عليه إذا صار حرا ،
أخاف عليه إذا حطّ فوق يديكِ ،
فاقصيتهِ عنهما !

* * *

ولكنني في المساء أبوحْ
أسير على ردهات السكينه
وأفتح أبواب صدري ،
وأطلق طيري ،
أناجي ضياء المدينه
إذا ما تراقص تحت الجسور

أقول له .. يا ضياءُ ، اروِ قلبي فإني أحبْ !
أقول له .. يا أنيس المراكب والراحلين أجبْ
لماذا يسيرُ المحب وحيدا ؟
لماذا تظل ذراعي تضرب في الشجرات بغير ذراع؟!
ويبهرني الضوء والظل حتى ،
أحسّ كأنّي بعض ظلال ، وبعض ضياء
أحسّ كان المدينة تدخل قلبي
كان كلاماً يقال ، وناساً يسيرون جنبي
فاحكي لهم عن حبيبي

* * *

حبيبي من الريف جاءْ
كما جئت يوماً ، حبيبيَ جاءْ
وألقت بنا الريح في الشطّ جوعى عرايا

فاطعمته قطعة من فؤادي ،
ومشّطت شعره ،
جعلت عيوني مرايا
وألبسته حُلماً ذهبياً ، وقلنا نسير ،
فخير الحياة كثير
ويأخذ درباً ، وآخذ دربا ،
ولكننا في المسا نتلاقى
فانظر وجه حبيبي ،
ولا أتكلم

* * *

حبيبي من الريف جاء
واحكي لهم عنكِ حتى ،
ينام على الغرب وجه القمر

ويستوطن الريح قلب الشجرْ
وحين أعود ، أقول لنفسي
غداً سأقول لها كل شيء !

مايو – ١٩٥٧

أغنية انتظار

أنا هنا ، على الطريق يا حبيبي أنتظرْ
وفي فمي ابتسامة ، تموت ثم تزدهرْ

* * *

العاشقون في الدجى الصافي ذراع في ذراعْ
وكِلْمة لكلمة ، وبسمة بلا انقطاعْ
إلا ذراعي لم يزل يهتز ، في ليل الضياعْ
وكلمتي ، أخاف أن يمضي الصبا ولا تذاعْ

* * *

أقبل إليّ مرةً ، ترعى السماء محملَكْ
سأوقد الشموع لكْ

وأعزف القيثار لكْ

فان رضيت يا حبيبي ، كان قلبي منزلك

وإن مللت صحبتي ، فاذهب فلن استمهلك

لكنني سانتظرْ

مهما مضى بي العُمُرْ

أغدو اذا جـــاء القمرْ

ثم أعود في السحرْ

وفي الربيع سوف آتي حاملاً لك الزَهرْ

وعندما ياتي الخريف ، اختفي تحت المطرْ

يوليو – ١٩٥٧

سوريا والرياح

الوردُ ، والأحلام ، والرجالْ ،
يقاومون في الشمال ،
ريحاً بدائيّه
الورد ، والأحلامُ .. صوت لا يزالْ
يرنّ في قلب الليالْ
يقول سوريّه
تقاوم الريح البدائيّه

* * *

في السهل ورد ينفض الجليد
ونبقة تهتز ما زالتْ ،

خضراء ما زالتْ ،
وطفلةٌ خلف الشبابيك الزجاجيه
ترنو بحزن هادىء الى الرجال ،
وهم جماعات على التلال لا تنام
ينتظرون غزوة الرياحْ ،
من الصباح للصباح
يبنون من دفء القلوب حاجزاً ،
لا يستطيع خرقه الجليدْ !

***

ما أروع الصمود !
ما أروع النزال حينما يفر الآخرون ،
ولا يظل غير فارسٍ وحيدْ
من خلفه الاطفال ، والاحلام ، والبيوت
تلوح من بعيدْ

تموت لو .. يموت !
ووقتها كل الحياة تنتفض
حياة كل طفلة ، ووردةٍ ، كل النباتْ ،
والذكرياتْ
تمشي دماءً في ذراعه فينتفض
يهوي ويعلو كالشعاعْ ،
تقاذفته قمة في الافق ثلجيّه
يضيء في جو الصراعْ
ويخرق الحصارْ

* * *

ما أروع الإصرارْ !
ما أروع النزال حينما يفر الآخرون
دمشق خانتها بقية الحصون ،

ولا تزال ،

ببسمة الصبر البطوليّه

تقاوم الريح البدائية

يا فارس الشمال !

يا قلب سوريّه

أنت الذي بقيت في المجال

فاسبح عليه إنه اتسع

املأ مكان من وقع

واسبح على كل الجهات

ان العروبة انتقتك ، عمّدتك فارساً لها

فاحرس شطوطها الطوال

من غزوة الريح البدائيّه !

* * *

يا أرض سوريّه !

يا حلم عينيّـه !
تصوري أني إلى هذا الأوان لم أركْ
بينا صديقتي الجميلة الدمشقيّـه
شدت على يدي ، وقالت في المطارْ ،
يا صانع الاشعارْ ،
لا بد أن تاتي
ففي الأعالي من كوى بيتي
تمد كفّـاً ، تمسك القمرْ !
لكنني ما زرت حتى الآن سوريّه
يا موطني الذي وددت أن أراه !
حلمت أن أدور في علاه
اقول أغنيّـه
أضاحك الجندَ الذين يسهرون ،
في ليلة المفاجآتْ

في ليلة انتظارهم لمولد الجريده
وددت يا صديقة القلب الدمشقيّه
لو أنني التقطت بندقيّه قديمه
كانت لفارس شهيد من أهالي بور سعيدْ
ثم انتفضت طائراً لبابك العتيدْ
يا موطني ! يا أرض سوريّه !

اكتوبر – ١٩٥٧

دفاع عن الكلمة

« إلى من ماتت كلماتهم ، لأن ضمائرهم ماتت ! »

« أغنيه »

فرس لا يكبو ،

وحسامي قاطعْ

وأنا ألج الحَلبه

مختالاً ، ألج الحلبة ، أثني عطفي

أتلاعب بالسيفِ

لا أرتجف أمام الفرسان !

* * *

« فخر »

انا أصغر فرسان الكلمه

لكني سوف أزاحم من علمني لعب السيف

من علمني تلوين الحرف

سامر عليه ممتطيا صهوة فرسي

لن أترجل

لن ياخذني الخوف

فأنا الاصغر ، لم أعرف بعد مصاحبة

الامراء

لم اتعلم خلق الندماء

لم أبع الكلمة بالذهب اللألاء

ما جردت السيف على اصحابي ، فرسان

الكلمه

لم اخلع لقب الفارس يوماً ،

فوق أميرٍ أبكم !

* * *

« المبارزة »

هاانذا القي في ثقةٍ بسلامي ،

من طرَفِ حسامي !

هاانذا أبرز لشهيرٍ ، اعرف اسمه

انا مجهول الاسم ، ولكني أخلع قفّازي ،

اقذفه في وجه الخائن لا اعبأ

أدفع في بطن الفرس بمهازي ؛

وأكيل الضرب ، ولا أهدأ

باسم الكلمه

باسم الأرض الخضراءْ

باسم قرى غنيّاها ، باسم الإنسانْ

تلك الكلمات الحلوة ماتت في شفة الخائنْ

ما عادت فصحى

ما عادت تعصف بالقرّاءْ

ما عادت تلد الجرحا

والسيف إذا دخل المعركة الخاسرة تبلّدْ

صار عصا في كف الملحدْ

وا أسفاه !

إني أبكي ماضيه ، أشفق من حاضره الأسودْ

إني أرثي إسمه

يا مشهور الإسم ، عرفت الشهرة باسم الكلمه

فلماذا خنت ولطّخت السيف بدمّ الفرسان ؟!

هانذا أضرب ، لا أهدأ ،

فرس لا يكبو ،

وحسامي لا يخطىءْ

والسيف إذا طاوعني ،

فاعلم أن الحق معي !

* * *

« المبدأ »

أنا في صفّ المخلص من أيّ ديانه
يتعبّد في الجامع ، أو في الشارع
فكلا الاثنين تعذبه الكلمه
والكلمة حمل وأمانه
أنا في صف المخلص مهما أخطا
فالكلمة بحر يركب سبعين مساء ،
حتى يلد اللؤلؤ
أنا في صف التائب ، مهما كان الذنب عظيما
فطريق الكلمة محفوف بالشهواتْ
والقابض في هذا العصر على كلمتهِ ،

كالمسكِ بالجمره !

* * *

« ميثاق »

يا أيتها الكلمه

فرسانك يهوون من الخيل على ذَهَبِ

الطرقات

فرسانك رفعوا السيف على فرسانك

فقدوا طبع الحكمه

ماتت خلف دروعهم روح الثورة

عادوا كفره

جحدوا التاريخ ، ومضغوا الشرف ،

وصلّوا للأمراء

تركوك لمن زعموك ابنتهم .. يا طفلتي المعبودة !

يا روح الأيام المقبلة الخضراء !

لكنا .. نحن الفرسان الجوعى
سنظل على الخيل ، نشدّ اللجم الى العصر
الآتي
أو .. نسقط في الحلْبَةِ صرعى !

ابريل – ١٩٥٨

ليس لنا

اخضرّت الأشجارْ

واحمرّت الأزهار فوق خضرة الأسوارْ

وجاءنا ريحٌ من الصحراء حارْ

وعرّت البنت ذراعها

فبصّت العيون من تحت الجفون

وارتعشت أهدابها

ثم تراخت في انكسار !

* * *

كان المريض راقداً ،

يبكي على الصليب ،

حين أطلّ رأس غصن من حديد النافذه

ثم انفلت !

* * *

كان المغني ذائباً في أغنيه

تذاع دائماً

وربما كان المغني نائما

بينما تذاعْ

وربمّا كان المغني هَرِماً

لكنها تحكي عن انتظاره تحت المطرْ

تقول انه سيبقى عمره ،

ينتظر القمرْ !

* * *

كان الطريق مشمساً ، إلا مواطىء الشجرْ

حيث انحنى الأطفال يجمعون ساقط الزهرْ

وثمّ عصفورٌ على غصن بعيد يرسل الصفيرْ
والناس موكب يسير صامتا ، بجانب الجدار
يضيّقون العين في وجه الهجيرْ
وأقبلت سيارة تمشي على مهل
مذياعها ما زال يشتكي الهوى
أما أنا .. فكنت أشكو الجوعْ
في مطلع الربيعْ !

مارس – ١٩٥٨

يحلم ، لم يحلمْ ، رماه باللظى غادرْ
يالم ، لم يالمْ رأى زعيمه ناصرْ ،
وجهاً على موج الرياحْ
ويغمس الصبي في الدم الطريّ أصبُعَا
وينقش اسم ناصر على الجدار راعشاً مُقطّعا
ويسقط التفاحْ !

* * *

وعندما تأخذه الصدورْ
وتمسح العيون وجهه المقرورْ
يرونه لم يبلغ العشرين
يرونه في العاشره !

ابريل — ١٩٥٨

القدّيسة

لم تتحسّس صدرها
حين اغتنى ، وصار رمانا
ولم تُكلّم في أمور الحب انسانا
فقد قضت عمرها
حاملةَ رسالةَ من التلالْ
إلى مخابىء الرجال في المدينه
قدّيستي .. كان اسمها جميله !

***

كان اسمها جميله !
أفديه مَن سمّى

الوجه وجه طفلةٍ لم تترك الأمّـا
والعينِ عين ساحره
مضيئةٌ كحيله
كأنما اصطادت رموشها الطويله
من السما نجما !
كان اسمها جميله !
والعمر عمر الزهر ، لكنّ الربيـع غادر
الزمانْ
لمّـا أتى القرصانْ
عشرون عاماً ، فوقها مائه
منذ أتى القرصان حلّـت أوجه الاحزانْ
يا ويلتا ! بطولها لم يبتسم انسانْ
لم تبتسم جميله
لم تفترش عشباً بجنب عاشقٍ تحت القمرْ

لم تعرف اللّـثما
لم تعرف الغرامَ ! إلا خاطراً ، حلما
فقد مضى كل فتى في سنها الى الجبال
لم يبق منهم واحدٌ تكلمه
لم يبق إلا أن تَشُـد نحوهم ، في كل يوم ٍ رَحْـلها
حاملةً رسالةً من التلال
إلى مخابىء الرجال في المدينه !

***

رسالةٌ في يدها ، وكلمةٌ في فمها
من ههنا !
وكلما مرت على جماعةٍ من قومها
يتمتعون في أسى مرير
كادت تصيح : « إنني من جبهة التحرير !

وإنني أعلم عن رجالنا الكثير

وإنني لست حزينه ! »

وكلما تذكرتُ يا سيف

كادت تطير !

يا سيف تحت الأرض يمسك المدينه

يا سيف من خمس سنين لم ينم

يا سيف عندما يراها يبتسم

يحب ترديد اسمها

يسأل عن أمه ، عن أبيها

وانطلقت رصاصةٌ ،

لكنها مضتْ تسير

رسالةٌ في يدها ، وكلمةٌ في فمها

من ههنا !

رصاصة ثانية تمددت في عظمها

وثالثه !

قديستي ! تغسّلت في دمها

قديستي ! صلت لأجلها مدائنْ

دقّت نواقيسٌ ، وكبّرت مآذنُ

طارت طيورٌ في النواحي باسمها !

* * *

جميلة الجميله

تعلم ان حولها الف رسّولْ

سيحملون بعدها الرسالة

لكن ترى مَنْ غيرها يقول

« أهواك يا يا سيفْ ! »

رسالة إلى
مدينة مجهولة

أبي ..
إليك حيث أنتْ
إليك في مدينة ، مجهولة السبيلْ ،
مجهولة العنوان والدليلْ
إليك في مدينة الموتى ، إليك حيث أنتْ
أولى رسائلي ،
وإنها رسالة حزينةٌ حزينه
بغير حدْ !
لأنها سترتمي امام هذه المدينه

بغير ردْ
يا غارقاً في الصمت ، يا مكفّناً به إلى الأبدْ
لن تستطيع أن تردْ
فاقرأ رسالتي ولا ترد
وان أهاجت شوقك القديم للكلامْ
هب لي لقاء في المنامْ !

***

أبي ..
وكان ان ذهبتَ ، دون أن أودَعكْ
حملتَ لحظةَ الفراقِ كلها معَك
حملت آلام النهاية ، احتبست أدمعَك
أخفيت موجعك
فوجهك الحمول ، كان آخر الذي حملتُه معي ،

يوم افترقنا ، لا يزال مضجعي
يراك ، حينما أراك ، بسمةً على الظلام
تنير لي مسالك الأيام
وتفرش الطريق بالسلام ، بالسلام !

* * *

أبي ..
وكان أن عبرتُ في الصبا البحورْ
رسوت في مدينة من الزجاج والحجرْ
الصيف فيها خالد ، ما بعده فصول
بحثت فيها عن حديقةٍ فلم أجد لها أثرْ
وأهلها تحت اللهيب والغبار صامتون
ودائماً على سفرْ !
لو كلموك يسألون .. كم تكون ساعتك ؟

مضيت صامتاً موزع النظرْ
رأيتهم يحترقون وحدهم في الشارع الطويل
حتى إذا صاروا رماداً في نهايته ،
نما سواهم في بدايته ،
وجدّفت ساق الوليد فوق جثةِ الفقيدْ
كأنّ من مات قضى ولم يلدْ
ومن أتى ، أتى بغير أب
فجعت فيهم يا أبي ، كرهتهم في أول النهارْ
وفي المساء قارب الظلام بين خطونا
رأيتهم .. واروا وراء الليل موتاهمْ ،
وانهمرت دموعهم ، واخضلّ مبكاهمْ ،
وامتدت الأيدي ، وأجهش الطريق بالبكاء
قلت لهم .. يا أصدقاء !
عبرت في الصبا البحور

حملت كاس عمري الصغير فارغاً ،
لمن يصبّ فيه قطرتي سرورْ
طُفت بدورْ
طردت مرّةً ، وقيل لي تفضّلْ مرتينْ
مر الزمان .. كل ليلة سنهْ
لم أغف فيها غير ساعةٍ .وغفوة الغريب لا تطول
وفي السهاد يرحل الخيال يعرف الكثيرْ
زماننا بخيل !
أوّاه ! نحن لا نريد غير أن نظل
نريد ما يقيم ساقنا لنشهد الحياه
ونعبر البحور خلف حلمنا الضئيل
ونعرف الغربة في الصبا ، والخوف ان نجوع
في الصباح
لكنما زماننا بخيل !

يبخل حتى بالوداع ، حينما يفرّق الطريق بين
صاحبين

مات أبي يا أصدقاء !
الغرباء ودّعوه ، بينما أنا هنا ،
لمحتهم في الضفة الأخرى ظلالاً ، في غروب
الشمس تنحني ،
على القبور ، ما وجدت زورقاً يُقلّني ،
لم أستطع وداعه في يومه الأخير !

***

أبي .
أقول يا أبي شكرا
ما مر يوم دون أن تومي إليّ
ما مر يوم دونما ذكرى
تأتي على جناح لحن تائه في الليلْ ،

يقول للمحبوب .. طالت غيبتك !
تأتي إليَّ عبر طفلْ ،
يسير وحده ، وحينا أضلّ
وتثقل الأحزان روحي ، حينما أتوه ،
أقول يا عين اطلبيه !
ما زلت طفلاً يا أبي ، ما زالت الآلامْ ،
أكبر مني ، ما استطعت أن أنامْ ،
فتستجيب يا أبي ،
ومثلما كنت تعود في اماسّي الشتاءْ
تأتي إليّ
عباءتك
لا تفتأ الرياح تستثيرها ،
تشدها إلى الوراءْ
كأنها شراع مركب يصارع الأنواءْ

ووجهك الحمول يفرش الرضى على العناءْ
وفي يديك من نبات الارض ما جمعتَـه
وفي اللسان رفرفت تحية المساءْ !
ومثل غيم في ليالي الصيف ، يترك السماء للقمر
تنقشع الأحزان من روحي وأحضنك
بجفن عيني أحضنك
وأستضيفك المساء كله .. حتى السحَـرْ !

* * *

أبي ..
أقول يا أبي عذرا
وقعت في هوى بنيّـةٍ هنا
وأنت كم حذرتني من نسوة المدن
لكنني رأيتها كأنها أنا

فقيرةً ، حزينةً ، مات أبوها يا أبي
وتقرأ الشعرا !
أحببتها ، لكنْ طريقُها طويل
وكل أحبابي طريقهم طويلْ
زماننا بخيلْ
والله كم اوحشتني .. سنه
مضت عليَّ دون أن أراك
وسوف تنقضي سنه ،
أخرى ، وتنقضي سنين ،
ولا أراكْ
وربما انساكْ !

* * *

رسالتي اليك يا أبي حزينةْ

فيْ البدء والختامْ
فان أهاجت شوقك القديم للكلامْ
هبْ لي لقاء في المنامْ !

أغسطس – ١٩٥٧

العيون

كتابةٌ في عين ماء
غيم يذوب في السماء
رسائلي ، بوحي ، حياتي قصة خرساء
تقصها العيون
لأنني أعيش في ميناء !
أحار في تعدد الأجناس ، واللغات والأزياء
فارقب الحياة صامتاً ،
مكبل الحنين
كأنما بيني وبين الناس قضبانٌ
كأنني سجين !

أشير ، احلم الحياة ، لا أعيشها ،
أفتح عيني ، اصلب الاشواق في البياض
والسواد
وأعرف السهاد !

* * *

الحزن نظرة بلا أهداب
كسيرة ، جبانة يخنقها الضباب
ولحظة السرور حينما تمرّ ،
تزهر في عيني بنفسجه ،
ندية ، يهيج في عروقها الشباب
لو ضوّأ الليل مباهجه
لكن حديث العين دائماً يضيع
فحين تطفأ الشموع .

ويطر الضباب ، حين تنزل الدموع
تنطمس الحروف في العيون
وتغلق الابواب !

* * *

الصمت ، والجدران ، والظلام
آلهة البيت الذي به أنام
آلهة .. لا تعرف الكلام
أجسادها مرشوقة عيون
إذا سهرت راقبتني ساخره
ولو خنقت في السرير ضجة الأنوار
رأيتها قد غادرت أجسادها ،
وطوّفت حولي
تعيد في عيني مناظر النهار

وأول الليلِ
فلا أنام !

* * *

يا جارتي !
عيناك أمي وأبي
عيناك في الشباك تطلبان مثل مطلبي
تبتسمان ان أتيت
تغنيان
وان بكيت تبكيان !

* * *

يا طالما واجهت هذه العيون
عين على شرفه
السور والعيون بيننا

هل أستطيع أن أرى أعماقها
من هذه الوقفه !
عين معي تقول أغلق بابنا
لكنني أطلقت ساقي للدجى
سميت جبني يومها عفه !
عين تقول غير ما تعطي الشفاه !
عين زجاج لا ترى في قاعها معنى
عين ترى للخلف لا ترى سوى جدرانها
تمر بالقتيل لا ترف فوق رأسه رفّه !

* * *

يا أصدقائي أقبلوا .. اني حزين !
تحسّسوا جرحي ، وانصتوا لسيّال الدماء
صوت دمائي في الرمال مثل خافت البكاء

يا أصدقائي أقبلوا .. صبوا العزاء
صوت حبيبي عالم من الصفاء
صوت خبيبي جنة خضراء ، عصفور يغني
في الضياء
يا اصدقائي اقبلوا ..
بابي لكم ، قلبي ادخلوه
تزاحموا من حوله فالبرد يأكل الوجوه
غنوا معي .. اني حزين !
يا أصدقائي ما لكم لا تسمعون !
وما لها شفاهكم ، تمضغ قولا لا يبين
هل مات بيننا الهواء !
أم غاضت الألفاظ من فمي !
فلم يبن إلا دمي !
يا أصدقائي حوّلوا عيونكم ،

ان قلت ما لا تفهمون
عيونكم قيد فمي !
عيونكم دقات مسمار يشد في الصليب معصمي !
عيونكم يا آخرون !

* * *

لو انني أفصحت عما في العيون
عرّيت قوماً من ثيابهم !
لو أنني جسّدتها قولاً سحابات الظنون
لأغلق الناس العيون
لهول ما يشاهدون !

عام — ١٩٥٧

عـــــابــــرة

لم تكُ إلا عابره
لم تكُ إلا غيمةً مرت عليّ
ترى على من سوف تهوي ممطره !

* * *

الشمس في السما عذابْ
وجبهتي زيتٌ ، وماء ، وترابْ
ونظرتي ضيقٌ ، وكلْمتي سبابْ
وانشقّت الطريق فجأةً عن امرأه
ارتفعت بالماء نافوره
واعترفت بالعطر قاروره

امرأةٌ بلّورةٌ مضوّأه
فستانها الحرير فضفاضٌ بلا مئزرْ
ذراعها الوردي رطبٌ ، ناعمُ المنظرْ
كأنما الصيف عليها وحدها .. أمطر !
ولحظها ما أبرأه !
وخطوها صيحة رملٍ في انسحاب خُفّها
وشعرها البني ناعمٌ على أكتافِها
وخصلةٌ من شعرها على الجبين نافره
لكنها ..
لم تك إلا عابره !

* * *

كيف تمر هكذا بلا كلامْ
كيف تغيب في الزحام ،

الغيمةُ العطريةُ الأنسام !
لمن إذن سخت عليها الشمس والبحارْ ،
لمن إذن تغرّبت في صدرها الأطيارْ
مَن ذلك السعيد ؟
صديقها ؟
عشيقها ؟
شقيقها ؟
حتى شقيقها سعيد !
لمن قضى الفنان أمسياته ،
يبدي ، يعيد
يسقي الدقيق بالحليب
يرمي على النهد الزبيب
كي تستقر فوق رأسه زبيبةٌ ، تصيب
لمن لمن سارت ، وشمس الصيف في السما عذاب

إن لم يكن لي عطرها ، وكفها البض الندي
أنا الوحيد الطيِّب الوفيّ
إن لم يكن لي ، فلماذا يا ترى مرت عليّ ؟
لتسكب الزيت على اللهيب !
لتوقظ الأسى ، وتنكأ الجراح !
لو انني سواحْ
تبعتها !
لو انني ساحرْ
أوقفتها !
لو انني مجنون
قبلتها !
لكنني عاقل
يا ويلتا ! لكنني عاقل !

لم يبق إلّا الاعتراف

الدم والصمت

ما زال فيّ من بريق الدم لونٌ ، وشعاع
فلتنفخوا أبواقكم في الشمس أيها الجنود
لتنفخوا أبواقكم ..
حيث تسيرون هناك الآن ، في الليل البعيد
ينقذني نشيدكم من الضياع !

« نشيد »

نحن هنا وفي عيوننا الوطن

وجوه آباء ، وأبناء ، وذكرى ، وزمن
وفي صدورنا أمانة اغترابنا هنا
نُرخص في سبيلها الروح ؛ ونرهق البدن
فان حيينا توّج النصر العظيم عمرنا
وان فنينا ، فاذكرونا .. اننـــا أغلى ثمن !

* * *

نشيدكم ياتي إلينا عبر أحزان المدن
وعبر ريح الصحراء
كأنه طيف لفارسٍ شجاعٍ ،
دمعت عيونه على الهوى
فاشعلت دموعه الغيم ، وشقّت الفضاء
ونحن موتى ، نرهف السمع إلى نشيدكم

ندرك منه رجفةً ، تلمع فيما ظل فينا من دماء
ثم نعود مثلما كنا .. سكوناً فاجعا ،
فنسرع الخطو ، لكي ندرك مجلس العزاء !

« نشيد »

نحن هنا نخطو ، كأننا رجل
إلى الأمـــام
أقدامنا مع الكلام
تدنو من القلعة في أعلى الجبل !

* * *

ونحن موتى لم نزل
نمضي لمجلس العزاء

. . . .

في آخر الليل أهبُّ من سريري أرِقا
أشمل جسمي بالرداء ، ثم أمضي للخلاء
أسير في خطىً بِطاء
كأنما أنا المشيِّعُ الوحيد في جناز
دندنـتي كئيبةٌ ،
دندنـتي صادقةٌ ،
دندنـتي نشاز !
عموا مساءً ! أيها الأموات ، وابدأوا العزاء
عموا مساء !
الضوء يمحو خلجاتِ الوجه، فالأصوات أصداءٌ تدور
والنغم الخافت من ركنٍ بعيدٍ ،
يجعل البسمة شيئاً كالرثاء

والكلمات تلتوي ، وتختفي بين الصدور
ثم تعود للشفاه
ركيكةً ، كاذبةً ، تدور حول خوفها ،
بلا انتهاء

عموا مساء !
يبسم كل ميّتٍ لجاره ، ثم يقول ما يشاء

. . . .

« اغنية طيار شهيد »

أنا هنا أقود كوكبي الصغير
أكاد لا أحس غير قبضتي ،
وهي تدافع الرياح
وهي تُروّض الجناح

وهي تَلِجُ في المصير !

أنا هنا أقود كوكبي الصغير

أُخلِّص الوشاح من شد الرياح

وكلما أصبحت مطلق السراح

انكشف العالم لي ،

كانني الأول فيه .. والأخير !

أنا هنا أقود كوكبي الصغير

الأرض تحت الغيم عسكران ، شاكيا السلاح

هذا هو الحق مضيء كالصباح

وها هو الباطل يبدو جثةً .. بلا ضمير

أطلقت ناري .. وابتسمت للزئير

أطلقت ناري .. ثم قبَّلت الجراح

أطلقت ناري ..

كوكبي يهوي محطَّمَ الجناح

أما أنا .. فلم أزل أطير .. لم أزل أطير !

. . . .

يا ليتني يا أيها الطائر ريش في جناحك الكسير

يا ليتني بعض الرماد من حريقك المثـــير !

* * *

الليل عاد مرة أخرى ، وما عاد الشتاء

والأرض عطشى للدماء

والريح من فـــوق البيوت ساكنْ ،

لا ينطوي على خبر

ونحن خائفون ، نرقب السكون في حذر

كأنما هناك شيء لا يرى ،

شيء كأنه الوباء

يخيفنا فنغلق الأبواب في وجه القدر

ونغلق السماء في وجه القمر

ونختفي طول النهار ، ثم نبدو في المساء

نخُبُّ في سكوننا .. بلا كفن !

* * *

فلتنفخوا أبواقكم في الشمس أيها الجنود

لتنفخوا أبواقكم حتى أقول ما أريد !.

. . . .

اني أشم في أماسيّك يا مدينتي ،

ريـــح العفن

من أين جاء ؟

وجهك في ريح الصحارى طاهر طهر المطر

وساعداك من مياه النيل غيمٌ وشجر

مِن أين يا مدينتي جاء العفن ؟

من أين جاء ؟

النيل ليس راكداً

والريح من حولك توقف الرمال والصخور

ونحن في قاعك واقفون من غير انتظار

يمضي بنا النهار في إثر النهار

ونحن واقفون منغير انتظار

تمضي بناء الأنباء رسماً في جدار

ونحن واقفون من غير انتظار

يمرُّ جندنا بنا .. عبر الرمال والبحار
ونحن واقفون من غير انتظار !

« نشيد »

نحن هنا ، وفي عيوننا الوطن
وجوه آباء ، وأبناء ، وذكرى ، وزمن
وفي صدورنا أمانة اغترابنا هنا .
نرخص في سبيلها الروح ، ونرهق البدن
فان حيينا توّج النصر العظيم عمرنا
وان فنينا .. فاذكرونا ، اننا أغلى ثمن !

. . . .

لو أنها الذكرى ، لخفّ الوزر ، وارتاح الضمير
لكنني لا أستطيـع أن أظل شاهداً على القبور !

« أغنية من بعيد »

لو أنكم ودعتموني في المطار

لو علمٌ رفّ على هدبي ، ودار ، واستدار

لو غصن غار

لو وردتان من يدٍ مجهولةٍ ،

ألقِيَتَا فوقي على غــــير إنتظار

لو طلقُ نار

لو قبلةٌ قبل تحرك القطار

كنت بكيت عندما دقّت طبول الانتصار

كنت ابتسمت .. عندما سال دمي على الجدار !

السجن

لي ليلةٌ فيهِ
وكل جيلنا الشهيد
عاش لياليهِ
فالسجن بابٌ ، ليس عنه من محيد !

* * *

والسجن ليس دائماً سوراً ، وباباً من حديد
فقد يكون واسعاً بلا حدود

كالليل .. كالتيهِ
نظل نعدو في فيافيهِ
حتى يصيبَنا الهمود ؟
وقد يكون السجنُ جَفناً ، قاتم الأهدابِ نرخيه
وننطوي تحت الجلود
نجتر حلم العمر في صمتٍ ، ونخفيهِ !

* * *

والساق سجن ، حين لا تقوى على غير القعود
يشدها مكانها .. والقلب ترميه مراميهِ
لعالمٍ يعطي المنى ، ولا يزيـــــد !

* * *

وان نعيش دون حب ، دون انسان ودود

نغلق أبواب البيوت خلفنا

لأن أرضا لا تضم أهلنا ليست لنا

والوجه ان لم يحتفل بنا ،

بدا مسطحاً .. بـــلا خدود

ضاعت معانيـــهِ

فـــلم يعد فيهِ

باب يقودنا لدفئه البعيد !

* * *

من أين آتيهِ

حبي الوحيد

من أين آتيهِ

والليل يغلق الحدود !

حبيبتي

الطفلة الـــتي نمت
سارت معي ذات مساءٍ ، فبكت
خوفاً من الحب الذي فاجاها

* * *

احتار وجهها البريء هل يشي بخوفها ؟
أم يا ترى ينطق باعترافها ؟

ثم استراحت حين أغضت ، والهوى هيّـاها

واستسلمت لضمتي ،

كانني أول من أدفاها !

الشعر حول وجهها

عالمها الخـــاص الحزين

كانه ذكرى تجمّـلت بها

رغم الذي تثيره من الشجون

كانه طفولةٌ .. بلا حنان

كانه نهايةٌ .. بلا أوان

كانه السجن الذي اختارتـــه للوجه السجين !

كانها مُغَنّـيَـهْ

لم تُلفتِ المقهى ، فغنّـت وحدها

لحناً .. بغير معجبين

وبعد أن ضاعت خطاها في ضباب الأمسيَـهْ

رأيت لحنها الحزين

يعاود الايقاع في روحي ،

ويوقظ الحنين

والذكريات المبكيه !

عيناك يا حبيبتي ،

مثل عيون الشهداء

لا تحملان من ذنوبي غير شيء من عتاب

يشدني إلى صليب من عذاب

وحين يخلو القلب للذكرى ، ويهفو للبعيد

تزورني عيناك يا حبي الوحيد

تنتقلان في خيالي من مساءٍ لِمَساء
وتسالان .. أيُّنا الجاني ؟ وأيُّنا الشهيد ؟ !
وتبسمان في أسى ، وتبكيان
في كبرياء !
أحزانها في القلب .. أما وجهها
فباسمٌ .. رغم الكلال
كوردةٍ تبسم في وجه الندى
ثم تعود للأسى تحت الظلال
يا رب خذ من حزنها ،
وأعطها فوق جمالِها جمال
وأبقها نقيّةً ،
كما أراها في الخيال

لم نبتدع لحناً جديداً في الهوى
ولم نسافر للقمر
لكننا حين التقت عيوننا
تتابع اللحن، وماجت الصور
وانفتح الكنز الذي ،
لم ينفتح لغيرنا من البشر !
تمضي بها الأيام وهي وحدها
تحلم دون أن تقول
تسقي زهور الحب في سرها
وتنطوي على رحيقها الخجول
باسمةً ، تعبث في شعرها
خائفةً من الذبول
كأنها قيثارةٌ ،

من زمن طويل

لم يلعب القوس باوتارها

فمال رأسها النحيل

مال على صدرها

يحلم باللحن الجميل !

تموز

لم ينسَ تموزه مغنيـــه

وكيف ينسى الهوى معانيه

وكيف ينسى وفيه مولده

ومنتهاه ، ولا تناهيـــه

وفيه أشواقه ، ورحلته

وراء مـــا لم يزل يناديه

وراء عـام جميـع أشهره

تموز .. تموز كلُّ مـــا فيه

هذا الطريق الطويل أبدأه

من موطن في الجنوب..أفديه

يظل للماء مخلصاً أبـــداً

ولاخضرار المدى روابيه

عرفت أنْ أعشق الحياة به

حقوله ، ليلــه ، أهاليه

وثمّ بنتٌ أظل أجعل من

عيونهـــا حارساً أؤاخيه

أنّـى لويتُ الزمام أذكرها

فالحب في كلّ ما ألاقيه

هيّا ! وكان الشتاء في وطني
سحابةً في السما تُلاغيـــه
تدنيه حتى يكاد يشربها
وفجاة تختفي وتقصيه
كأنها هاتفٌ يشوّقه
للفيضان الذي سيرويه

* * *

وحين ياتي الربيع.. أيُّ هوىً
يلمس أعماقنـــا بأيديه
أيُّ دمٍ أخضر ، وأيُّ ندىً
صافية في الورد صار قانيه
أيُّ نبيذ كانـــه نسمٌ
في البحر مزروعة دواليه

السكر والصحو في يديه، فلا

مفرّ للناس من تساقيه

أي حكايا الربيع أشرحها

وما الذي يا ربيع أخفيه

وكيف يخفى ؟ وان اصبعه

لتلمس المختفي فتبديه

وهل يطيق الشذى زجاجتنا

أم يشتكي للصَّبا فتفشيه

والحب ؟ مهما أسرّ صاحبه

مصيره شاعر يغنّيه

* * *

من أيّما خضرةٍ بدأت أرى

هذا الطريق الذي أغاديه

عيناك ؟ أم حقلنا يخايلني

فيروزه ؟ والندى لآليه

عيناك أم حقلنا .. أكاد أرى

ما يزدهي فيهما ازدهى فيه

أحس بالخصب ههنا ، وهنا

والرمش طير له خوافيه

عيناك يا فتنتي أرى بهما

مخاطر العمق حين أنويه

اني بدأت الطريقَ، خُضرَته

يا ليت شعري ! فكيف أنهيه؟

وسوف أنهيه .. سرت في رغد

من ظله ، أم ضربت في تيه

أنا الذي أمْنُـه تَغَـرُّبُـه

وقربــــه للرضى تقاصيه

أصاحبُ الشمس نحو مغربها

وأترك اليوم نحو تاليــــه

إلى زمان ، يكاد يسألنا

عن الذي نشتهي ليعطيه

قد وافقتْ طبْعَـنا طبيعتُـه

كأنّ مـــا نبتغيه يبغيه

تموز ! يا موسم انتفاضتنا

نشرب من شمسه ، ونسقيه

نصير في ركبــــه جبابرة

ماالطود؟ماالبحر؟ماجواريه؟

تموز في صدر كل منطلقٍ

منـــا ، فؤادٌ دعاه داعيه

في فجر عشرينه وثالثهِ

قمنـــا إلى خيلنا نرجّيه

تشمّـمَ الخيل عزمنا وبكى

حماسةً ، واستفاق غافيـــه

ووطّأ الظهر للذين أتوا

ليرجعوه إلى مراقيـــه

ثم أعتلينا ، وصاح صائحنا

فانهال تيارنا يلبّيه

ناتي لمـــا بعدنا وناخذه

ثم نرى بعـــده ، فنرميه

والنيل.. صوت الخيول هيّجهُ

وهيّج الغيثَ في أعاليه

فمدّ ساقاً ، وشدّ أجنحةً

وطار عدواً إلى موانيه

ونحن في حضنه نسابقه

نعلو على الموج ، أو نحاذيه

حتى أحطنا بباب ظالمنا

بحراً طما واختفت شواطيه

قلنا له .. والسيوف أشرعةٌ

بياضها في الصباح يؤذيه

اذهب ! فلم يبق بعد صيحتنا

دمٌ يفي سيفنا ويكفيه !

* * *

هذا حصاني .. ولا أخلّيه

حتى يلوحَ الشمالُ .. عاليه •

حتى أرى بلدةً ، صنعت لها

عمري قصيداً سمت مَعانيه

سمت لتلقى دمشقَ في كنَفٍ

من حضن قاسيون، جَلَّ بانيه!

دمشق ! يا نشوة البطولة ، يا

معنى أغاني ، ولا أحاكيه

يا وردةً عطرها لصاحبها

وشوكها للدخيل يُدميه

يا أخت تموز ! يا حبيبته !

يا ملتقى نيــــله وعاصيه

تموز في العين .. لا نضيِّعه

نغذوه من عمرنا ونؤويه

نصيح في بدء كل ملحمةٍ

لم ينس تموزَهُ مُغَنِّيه

لا تسأليني موعدا
لأننا سنلتقي بدون موعد .. غدا
كما التقينا اليوم .. نلتقي غدا !

* * *

الليل ساقني بلا قصد هنا
وجدت هذا الكهفَ

لكنْ لم أجد من أصدقائي أحدا
دسستُ نفسي بينكم
لكنني أحس أني لم أزل مطارَدا
اني أنا الراعي القديم
من يا ترى يذكرني ؟
بعد اختفاء الفارس الشهيد ، والشيخ الحكيم
من يا ترى يذكرني ؟
من بعد أن فقدت ايماني ، وصرت ملحدا
من يا ترى يذكرني ؟
ليس سوى الوحش الذي ينهش صدري ،
دون صوت .. أو صدى !

* * *

عيناك ملجأي الأخير

أمسح خدي فيهما ،
منتظراً نهايتي .. في بقعة الضوء المثير

* * *

عيناك عشب وندى
أفرش ظلي فيهما ،
هنيهةً .. ثم أواصل المسير !

* * *

لا تسأليني أن أقول في غدٍ ،
ما قلته هذا المساء
لأنني أحاول النسيان .. يا حبي القصير
أحاول النسيانَ ، حتى لا يرانيَ النهار

يعرفني .. يكشف عن وجهي الستار !

* * *

كنت شجاعاً ذات يوم

لكنني أكلتُ من طعام أعدائي ،

فصرتُ مُقعدا

وكنت شاعراً حكيماً ذات يومْ

حتى اذا استطعت أن احمّلَ اللفظينِ ،

معنى واحدا

فقدت حكمتي ، وضاع الشعر مني بددا

وكنت عاشقاً وفيّاً ذات يوم

لكنني أفقد روحي في النهار

وأستحيل في أواخر الليالي شبحاً

مرتعدا

* * *

أسأل نفسي ، عندما أصحو على ظلي
وحيداً هامدا
ملقى بأرض الكهف ، مكسوراً على أصل الجدار
هل انتهى زماننا ؟
كنت أظنّه ابتدا !

* * *

عيناك ! يا لكلمتين لم تقالا .. أبدا
خانهما التعبير حتى ظلتا .. كما هُما ،
راهبتين ، تلبسان الأسْوَدا
تنتظران ليلة العرس .. سُدى !

* * *

انتظريني كل ليلةٍ هنا
قد لا أجيء !
وقد أجيء !
قُبلتنا طويلةٌ ، وليل بؤسنا دَفِيءْ !

سحابةٌ دكناء تملأ السماء

الا شريطاً شفقياً بينها وبين عتمة البيوتْ

والبحر ألوانٌ تموت .. كلما ضاق المساء

. . . .

ونحن في المقهى .. نموتْ

* * *

« ماري » التي أنقذتها من رجل الشرطةِ ،
قبل ليلتين
رأيتها في الليل ، تمشي وحدها على البلاج
تعرض ثديها الأثيني ّ لقاء ليرتين
وبعد أن جزنا الطريق مُسرَعيْـن
واصطفق الباب ، وأحكم الرتاج
قصّت عليّ قصّة الشاب الذي أنقذها ،
من ليلتين
ثم بكت .. وابتسمت ..
وكان نور القمر الغارب يملأ الزجاج !

* * *

كان وداعاً باهتـــا

وداعُنا .. في آخر الصيف ، وآخر النهار
كان وداعاً صامتا
على طريق البحر ، والمدى عَراءٌ خلفنا
كأننا .. أبطال مسرحيةٍ قديمةٍ ،
بلا إطار
تبدأ دون دقةٍ ،
وتنتهي .. بلا ستار !

* * *

المدن التي عبرتها قديماً في طفولتي القصيره
والسفن التي تضيء من بعيدٍ .. وتغيب
والمقطع الشجيّ من أغنيّةٍ شعبيةٍ ،
يخرج من عرس قريب

ووحشتي في ليلةٍ ، يئست فيها من لقاء الأصدقاء
كل الذي يثير فيَّ نوبة البكاء
لكنني في آخر النّـَوْبَةِ أصحو ، والدموع لا تجيب
تلك هي المأساةُ في رحلتي الأخيره !

أنت لا تعرف ماذا كان ،

حين ارتحلت للخلد روحك

حين جفّت يا أبا جاسم في الليـــل جروحك

أنت حين التمعت أنوار سوريًّـا بعينيك ،

تنفست عميقا

وتحاملت وجرح الصدر في الأرض يسوّي

من ثرى الموصل للفيحاء عهداً وطريقـــا

وندى الليل ونجم ،

وصدى النار ، وأشباح رفاق تتهاوى

ووحوش تتعاوى

وجريح أنت في الليل ، وحيد

وبلا جند ، ويهتاج طموحك

تعصف الثورة في الساعد .. يشتد جُموحُك

ثم لا تقوى ، فجرح الصدر ما زال حريقا

والجموح العاجز المغلوب ، ينساب زفيراً وشهيقا

وجريح أنت في الليل ، وحيد

وعلى البعد دمشقُ

نورها في الأفق قلبٌ ،

أبديٌّ الخفق ، ناقوسٌ يُدَقّْ

نورها أجْنِحَةٌ بيضاء ، شدتها على الظلمة وُرق

وانتزعت البسمة البيضاء ،

من حمر الجراحات انتزاعا

ثم لوحت، لها ، حركت في الليل الذراعا

ثم تمتمت بالفاظ نشيد

وتهاويت .. فلم يهتز في جنبيك عرقُ

ثم ما عدت ترى ما كان ،

حين ارتحلت للخلد روحك

حين جفّت يا أبا جاسم في الليل جروحك

نحن غادرنا دمشقاً في الضحى

ولقيناك كما نلقى خطاباً من عزيز نزحا

وحملناك على الأكتاف نجماً

ما هوى .. لكنه اشتاق لنا ، فانـفحا
كانت الشمس وكنا
في طريق الشهداء
والهتافات على الأفواه نارٌ ،
ونداءٌ ، ودماء
وعلى الأكتاف نعشُ
كان عرسٌ ، كان عرشُ
أنت فيه ملكٌ .. كنّا رعايا
هاتفين .. الموتُ للطاغوتِ ،
والمجدُ لأرواح الضحايا !

* * *

نحن في القاهرة اجتزنا الليالي والحدود

وتتبعناك في الموصل خيّالاً على رأس الجنود
مهرك الأسود بالصدر يشق الليلَ ،
يجتاز السدود
سيفك البتّار يسقي الموت للوحش الذي
أقعى على باب المدينهْ
باب بغداد الحزينهْ
وتتبعناك في الليل جريحا
جاهداً تزحف ، حتى تلفظ الروح بسوريّا ،
وتغفو مستريحا !

* * *

وببغداد انتظرناك طويلا
انتظرناك صباحاً ،
وانتظرناك مساءً

وانتظرناك أصيلا

وبكينا حين قيلا

سقط الفارس في صحراء سوريَّـا قتيلا !

* * *

ثم عدنا يا أبا جاسم ، عدنا لانتظارك

أنت آتٍ يا أبا جاسم ، آتٍ لديارك

أنت مثلُ النجم .. إن غرَّبت حيناً ،

شدَّكَ المشرق من غرب مدارك

أنت غصنٌ .. إنْ ذوت أوراقك الخضراء فصلا

فسترتد إلى فصل اخضرارك

أنت آتٍ ، فهنا جيشك ما زال ينادي بشعارك

أنت آتٍ تقتل الوحش الذي أقعى على باب المدينهْ

باب بغداد الحزينهْ

الأمير المتسول

أقفرت الآن شوارع المدينه

وانفضّ عنك الناسّ أيها الأمير

فاحمل بقاياك الثمينه

واحمل تماثيل الأميرة السجينه

واذهب .. فقد جاء ترامنا الأخير !

* * *

وجهيَ لم يعد شبيهاً بأبي

صرت عجوزاً ، وهو بعد في شبابه المقيم

تقول لي رسومه ، حين سقطت فوقها ،

فارتطمت وجوهها ، واتخذت مني زوايا مضحكه

تقول لي ، وهي تجيل أعيناً باسمةً ،

في وجهيَ الباكي الكظيم

أنت الذي أضعت تاج المملكه

يا أيها الشيخ العقيم !

* * *

لا تسخري من منظري أيتها الهرة

لو تصحبينني . . .

ترين مجدي ، وترين صورتي

وتشربين قهوتي المُـره

* * *

حين نزلت أشهد الميناءَ ، أغرتني النساء
وعدت .. لم ألقَ السفينه
وهكذا .. أصبحت من أبناء هذه المدينه

* * *

كان القمر
ليلتها في الماء يقطف الزهَـر
وكانت المدينه
تبدو على البعد كئيبةً حزينه
وحين رنّـق السكونُ ، وارتمى على الشجر
غنّـيت يا حبيبتي

تململ الحزن بصدري مثلما ،
تستيقظ الذكرى على دفق المطر
ثم مشى متّثاقل الخطو ِ كما ،
تُولدُ أوّلُ الدموع في مآقينا الضنينه
ثم رأيته أمامي واقفاً يبكي على مرمى حجر
مستنداً برأسه للخلف ، ماسحاً جبينَه
مكلّلاً بالشوك ، باسطاً يمينه
وقال لي ...
هذا طريقي ، فلنواصل السفر
ولا نقيم في مدينه
حينئذ أصابني الخرف ، فلم أقو على ردّ النظر
بينما مضى عني ، وغاب في السكينه !

* * *

استمعوا لي فأنا لست ببائع ، ولكني أمير
مملكتي من ألف عام ، عرشها في أسرتي
أنهارها خمره
وأرضها خضره
لو تصحبوني لها ، أقطعكم سهولها
ونبتني على تلالها المدائن الحره !

* * *

ماذا أصاب الكلمات ؟ لم تعد تهزنا
ولم تعد تسرقنا من يومنا
تثير فينا العطف .. قد
وقد تثير السخريَهْ
لكنها .. تموت تحت الأغطيَه

* * *

هذا ردائي الحرير
ما زال لامعَ السواد ، عاطر السترة
أهداه لي في سالف الزمان جدي الكبير
وقال لي .. هذا شعار المجد والقدره
يسير تحته في ليلة الهجره
واستوحه الايماء والنبره
والْقَ به المحبوبَ في الليل الأخير
لكنني يا أيها الجمع الغفير
أصبحت .. لا مُلكٌ ، ولا أُسره
ولم تَعُد بي حاجةٌ إلى الرداء
فهل هنا من يشتريه
يأخذه .. في آخر السهره !

* * *

أقفرت الآن شوارع المدينه
وانفضّ عنك الناس أيها الأمير
فاحمل بقاياك الثمينه
واحمل تماثيل الأميرة السجينه
واذهب .. فقد جاء ترامنا الأخير

* * *

شمسك يا مدينتي قاسيةٌ عليّ وحدي
تتبعني أنّى ذهبت
تأكل ثوبي ، وتُعرّي سوأتي
أهرب منها أين يا مدينتي
وهي تنام تحت جلدي !
لا الليل يحميني ، ولا ستائر الحجره

من هذه الشمس اللعينه

ومن يدٍ تقبض صدري.. يا ترى هو الأسى

فكيف لا ينزل دمعي ؟ يا ترى هي الضغينه ؟

فكيف لا أقتل نفسي ؟

انها العوره

* * *

ماذا أقول يا أميرتي السجينه

عن عمري الذي يضيع من يدي

بدون أن أعرف موعد الرجوع

لا بُدَّ أنك انتحرتِ ،

أو هرمتِ في السراديب الحصينه

وشاخ وجهُك الوديع !

* * *

من أجل ماذا أحمل السيف اذنَ ؟

يا أيها الحداد خذه ، وأعطني نصف الثمن !

. . . .

كان على الفطره

يبكي بغمده على الحقِّ المضاع

حتى إذا جردته تجهَّم التماعه ،

واربدَّت النظره

وشدَّ .. منزوع القناع

وانقضَّ .. موتور الذراع

مُحتدم الشفره

حتى إذا شاهدني ،

أفرَّ ذلك المساء خائفاً من شبحي

أصيبَ بالحسرة
أنكرني .. فلم يعد يسمعني ، ولم يعد يصحبني
وليلةً ، فليلةً .. رثّ الشعار الملكي فوق نصله وضاع
وها هو الآن يذوب قطرةً .. قطره
يصبح سكيناً للصٍ ، أو دليلاً في مداخل المدن

* * *

عارٍ أنا .. ليس كما وُلدتُ .. لا
بل مثل جثةٍ تنوشها الصقور
عارٍ يلذُّ لي العبور
بين علامات المرور
أخرج للشرطي لساني ، وافرُّ راكضا
فيكتم الضحكة في الوجه الوقور
تشيح عني أوجهُ النسوة خوفاً ، وأنا

أنظر من طرفٍ خفيٍّ للظهور والصدور
عارٍ أنا
ظهري الى الحائط ، أطلقوا الرصاص قبلما
ألتفتُ أنظارَ الجماهير إليّ
فيبتنون لي ضريحاً ،
ويُوفّون النذور

البطل

« الى جمال عبد الناصر »

لو كان فارسي مغامراً ، يلوح في الخطر
يأتي إلينا ، رافعاً في قمة الردى قوائم الحصان
يكرُّ ، لا يفرُّ ، يقطف الرؤوس كالزَّهر
ويختفي عند انقشاع الموت في سحب الدخان
لمَا تغنَّيتُ به ، لمَا تحرَّك اللسان

وكيف لي ؟ وقد مضى بلا أثر

* * *

لو كان قديساً ، حصانه القمر
وسيفه يدُ القضاء والقدر
ياتي إلينا فجأةً ، بلا أوان
ويختفي في اللامكان
لمَا تغنَّيتُ به ، لمَا تحرَّك اللسان
لأنني وهبت شعري للبشر

* * *

إنّي أغني للذي رأيته ،
يومَ الأماني مثله يومَ الخطر
رأيتهُ الإنسانَ أصفى ما يكون

ألصقَ ما يكون بالأرض ، وأبواب البيوت،والشجر
أكثرنا حزناً ، أشدّنا تفاؤلاً ، أبرّنا بنا
أحنّ من صافي الندى على الثمر
وكان باديَ الونى .. وما يلين
ثم انتصر
وكيف لا ؟
حصانهُ أحلامُنا
كرٌّ وفرٌّ في السنين
وسيفهُ أحزانُنا
يا هولَ غضبةِ الحزين !

* * *

فلنملأ الطريقَ ، هذا هو ركبُ المنتصر

هذي يداهُ ، وجههُ ، ابتسامتُه
جبينه الذي يموج بالغضون
هذا الذي سعى إليه ألف سيفٍ وانكسر
هذا الذى تمسحه الأيدي وتجلوه العيون
هذا الذي مشى على أيدي المنون
وعاد باسماً ، كما يعود زارع تنسّم المطر
كما يعود عاشق من السفر

رثاء المالكي

ذكراك عيدٌ ، يهيج الحزن والفرحا
يا من رأى شعبُهُ إغفاءَه فصحا
ذكراك عدنان ذكرى كلِّ معركة
مضت بتاج هوى، أو لاجئٍ نزحا
أو صبَّت النيل في العاصي، أو انعقدت
في ليل بغداد فجراً يطلب الوضحا

أو ثبّتت في ذرى الأوراس رايتنا
يطير من حولها سربُ اللظى مرحا
يا فارس العُرب يا ناراً على فرس
لم يحتمل لسعك الظهرُ الذي جمحا
لكنه أين يمضي والمدى صورٌ
تحييك ثاراً عليه .. قَرّ أو شطحا
تحييك في كلّ يوم ٍ ينتهي نبـــا
عن فارس ٍ عربيّ ٍ بالردى اتشحا
تحييك معنىً إذا عبد السلام رأى
من سجن بغدادَ .. بغدادَ التي فتحا !

* * *

يا ساكن المـــزّة المسودُّ جانبه
مـــا زلت ساكنَـه .. لكن ببغداد

بغدادُ تحت خيول الترك باكيـــةٌ

بغدادُ لاهثةٌ في نهر أصفـــادِ

بغدادُ مقهوره

ترى بنيها على أعوادها جثثاً

في الأفق منشوره

مصفوفةً شبحاً مستقبلاً شبحاً

يبكون في جلدِ

يبكون بعضاً ولا يُبْكَوْنَ من أحدِ

وفي رياح الدجى اشلاء أغنيَّـه

وفي رياح الدُجى شوقٌ لميلادِ

الوحدةُ .. الوحدةُ الكبرى وحلمُ غدِ

عدلٌ وحريه

أشلاءُ أغنيَّـه

لمَّـا تزل في الشفاه اليُبسِ منثوره

والريح في الليل أحزان نهاريه
تمشي كان عجوزاً واحدَ الولدِ
يرنو إلى أوجه الموتى على العمدِ
يصيح يا ولدي
والريح في الليل أحزانٌ نهاريَّه
شدَّت عباءته فانهدَّ مُطَّرحا
ودوَّمت صوته آثارَ مرثيَّه
لما تزَلْ تبكي
في هذه الأعين القتلى الرماديه
لما تزَلْ تحكي
أخبارَ عدنانَ والحرب البطوليه

* * *

عدنانُ طيرٌ على وجه المدى سبحا
ما زال جمّ الصدى ، ما زال منسرحا

يحنو على مدن الصحراء للأبدِ

يبكي أسيفاً « بتلّ المالكي » وفي
يديه « للرملة الحمراء » شوقُ صدى

يشدو على علمٍ ذي نجمتين .. يرى
بياضَه ممرعاً من أنجم البلد

يرقى إلى جمرةِ الأوراس ، مقتحماً
وكر اللظى ، وكأنَّ الريش من زرد

يهوى إلى نهر بغدادَ الذي شخصت
في شطّه جثثُ الموتى بلا عددِ

* * *

بغدادُ تحت خيول الترك باكيةٌ

بغدادُ مقهوره

ترى بنيها على أعوادها جثثاً

في الأفق منشوره

ترى إلى نفسها تلقى الظـــلام على

طريق أمـّتنا من بعد مـــا اتضحا

ترى إلى نفسها تغتـــالُ أمنيةً

ضحّـى لها الشهدا واسترسل الفصحا

ترى إلى نفسها تغري بناصرهــــا

صغارها ـ ولو ابيضّـوا جذور لحى

ترى لمنقذهـــا عبد السلام على

قضبانه ساهداً من طول مـــا نُبِـحا

الغارُ في رأسه شوك ، وفي يـــده

ماقضّ من قيدهم يومَ اختفوا،وَضَحَا

والسيف والنطع .. يا للعار عن كثب

يستعجلان دماً في الهول ما انسفحا

عدنانُ ، عبد السلام .. اثنان أيُّهما

في السجن ؟ أيُّهما في الملعب انذبحا ؟

لا تسألنَّ فما في السجن إلاّ نا

وقد سقطنا ، ونديّنا التراب دمـــاً

يوماً رمت طلقــــة الشرير عدنانا

وقـــد بعثنا شباباً دائمـــاً خضلاً

إذ صار نهراً كريم الفيض نهـــرانا

إنّـــــا معاركنا نصراً وخسرانا

إنّا انتصاراتنا ، إنّا ضحايانا

ونحن في سجن بن بللا نرود مدى

غصّانَ باللهبِ

أوراس ! يا جبهة شماءَ شامخةً

في موطن العربِ

يا من اذا الضُّرُّ في بغداد روّعني

أغاثني من ذراهـــا الشم كفُّ أبي

يا مَن على سفحها خيل المغير بكت

واثّاقلت سوقها جُبْناً ، ولم تُجِبِ

يا من على صيتها أشدو .. أنا عربي

يا من بها يحمل الانسان قلب نبي

في رحلةٍ ، كلنا يوماً تشهَّاها

نرقى بها لأمانينا فنحياها

نصير نحن أمانينا .. فيا لهَـباً

أرشقْ أضالعَـنا ، واخرق نواصينا

وأنت يا كلَّ ريح الأرض ذُرِّينا

إنّـا هنا أبداً .. إنا أمانينا

إنّـا بكل رياح الأرض أغنيّـه

رفّـافةٌ أبداً .. في الأفق مرويّـه

يا مَن سترثينا

لا تبكنا .. انّ يوم النصر يحيينا

يوماً تعود به الأشلاء للجسدِ

يوماً تعود به البلدان للبلدِ

الوحدةُ .. الوحدةُ الكبرى ، وحلم غد

عدلٌ وحريّـه

والريح في الليل أحزانٌ نهاريه

تمشي باعماقنا هَو'ناً ، ولمسَ يدٍ
تثير أحزانَنا .. عدنانُ أوّاهُ !
عدنانُ ! حلم الغد الرفّافُ أرداهُ
أرداه ، أحيام للابدِ

* * *

ذكراك عدنان ذكرى أمّةٍ بُعِثَتْ
وشبَّ بيرقُها في النور ، واصطبحا
ذكراك ذكراي ! إنّي يا دمشق هنا
بفكرةٍ غيبَتْهُ عنكِ ذاتَ ضُحى
بفكرة الوحدة الكبرى مشى دمُه
يدق لي الباب ، حتى لانَ ، وانفتحا !

فبراير الحزين

قلنا انتهى .. فلن يعود

اغتاله سبتمبر الماضي على أبوابنا

فلما خرجنا نمنع المسكين من أيدي الجنود

لكنه عاد إلينا .. فالزمان

ليس إذن مثلي جباناً ،

أيها الأخ الجبان !

* * *

أين سنخفي حين نلقى وجْهَهُ وجوهَنا ؟
ماذا نقول عندما يسألنا ؟
وكلُّ عام حين ياتي .. كلُّ عام
ماذا نقول عندما يسألنا ؟
وكلُّ عامنا حرام

* * *

ومرَّ وجهه الحزين
يرنو إلى أطفالنا فيجهشون بالبكاء
ويمسحون عن ثيابه مراحل الشتاء
ويتبعون بالعيون سيره إلى دمشق

* * *

من يرحم الشهر النبيل وهو راحلٌ وحيد

بغير جندٍ ، أو نشيد
بغير أنصارٍ ، وكم غنّى له الراديو وقال
يا أيُّها الشهر السعيد

* * *

أين انتهت أصداء أغنيّاتنا
حين أتانا قبل أعوامٍ قصار
حين تحلقنا عليه مثل أطفال صغار
يستطلعون وجه مولود جديد !

* * *

هل تذكرون يومها ماذا فعلت
لقد رقصت
في شارعٍ لا رقص فيه

إلاَّ لسِكّيرٍ تعيسٍ أو مهرج صفيق
لقد تحديت قوانين المرور
وكيف يا علامةً حمراء في وجه الطريق
أن توقفي بحر السرور ؟!

* * *

وفي الصباح حين سدَّت خيلهم باب المكان
وجاء يطلب الحصان
أنكرُته أنا الجبان
وحين جاء في مساء اليوم يطلب الأمان
هل تذكرين يا دمشق ما فعلت ؟
لقد بكيت
واغتاله سبتمبر الماضي أمام منزلي

أنا الجبان !

* * *

كيف تركته وحيداً يا دمشق ؟
أنت التي حملته فوق السنين
وأين تهربين منه يا دمشق !
من جرحك الدامي الثخين
لن تتركي أنهارك السبعة خوفاً يا دمشق
منه ، من الوجه الحزين
فأين منه تهربين ؟!

نهاية

ما الذي أبقت لنا الأيام ، حتى نتجلّد
وكلانا يخبر .. الآخر أن الحب مات !
أيّ ساعاتِ سرورٍ ،
نستعيد الآن ذكراها، فنصمد
لرياح اليأس والذل التي هبت علينا ،
في هدوء الكلمات !

* * *

فجاةً .. صرنا غريبين ، وحيدين ، نثير الشفقه
تلتقي أعينُنا حيناً .. وتشرد
ثم ترتد بلا ذكرى .. كأنّـا ما التقينا
وكأنّـا ما عرفنا ألم العودة في الليل ،
ببعض الذكريات
فجاة .. صرنا عجوزين ، دخلنا في طريق ضيّـقه
وتجاورنا بلا قصد ، وسِرْنا ،
خطواتٍ ، بعدها يصبح كلٌّ وحده في الطرقات
فجاةٍ صرنا عَدُوَّين تعيسين ظَهْرنا
كعبيد الزمن الغابر ، صلَّـيْـنا.. وجئنا
لنلاقي حتفَـنا في الحلقه !

* * *

مَنْ تُرانا يبدأ القولَ ، وينهي الجلسةَ المختنقه
من ترى يعلن .. أنّ الوقتَ فات !

هدية عيد الميلاد

هديتي على يدي
ياعيدَ ميلادِهـا
أغنيّـةً .. أقولها
في غير ميعادها
لأنها لم تَـدْعُـني
بالأمسِ .. في عيدِها !

* * *

حبيبتي ..

في مطلع العشرين ، غير أنها

بريئةٌ ، كطفلةٍ تضحك في مهدها

حزينةٌ ، كامرأةٍ في أُخْرَيَاتِ عمرها

تبكي على مجدها !

من الذي غنى لها

في عيد ميلادها

ومَن بكى ؟

حين رأى الدمعة في خدِّها !

* * *

نحن افترقنا .. هذه حكاية ،

لا شيء في سردها

إلا الأسى ،

فلننسها في عيد ملادها

لكننا

كنا اتفقنا أن تقول كِلْـمةً ،

أجمل من ردِّها

هديتي .. في عيد ميلادها !

* * *

وفرّتِ الطفلةُ من وعدها

فلم أجد هديْـتي في عيد ملادها

لكنها قد تذكر الماضي ، وتبكي حبنا

في لحظة من لحظات سهدها

لهذه اللحظة أهديت لها

أغنيّـتي .. في عيد ميلادها !

اغنية للاتحاد الاشتراكي العربي

كن لي عائلةً ،

يا حصن الفلاحين الفقراء

فانا لا أسرةَ لي

الا الانسان ، بلا أسماء !

* * *

كن لي عاصمةً ،

يا بلد العمال الغرباء

فأنا لا موطن لي

منذ تركتُ الأرضَ الخضراء !

* * *

كن لي ملحمةً ،

أرويها للبسطاء

نركب فيها الخيل ، ونفتح مدن الحب ،

ونحرّرُ فيها السجناء !

* * *

كن لي سيفاً ، وحصاناً ، ونشيداً

لو ظهروا في الليل ، ينادون الأسماء

ويسوقون الى الموت الشعراء !

* * *

يا أبناء الوطن الشرفاء
إنّا نتسلّم علمَ الوطن الآن .
فلتكن القاماتُ الصلبة ساريَه العالي،
ولتكن الأعينُ أنجمَه الخضراء !

نغني في الطريق

على الباب الجنوبي انتظرناهُ
تلاصقنا بعرض طريقه ، زنداً الى زندٍ
وحين أتى ، ولف صهيلُه الوادي احتضنّاه
وروضناه خلف حوائط السدّ !

* * *

وفلاحون نحن هنا .. بلا أرضٍ ، ولا أبناء

نسير جماعـــةً في الشمس ،

يقصر ظلنا و يطول ، يقصر ظلنا و يطول

ونحن نسير ، نبحث في بلاد الله عن بلد

ننام بظل ، مسجده ،

ونشرب شاينا في باب مقهاهُ

ونمضي والفئوس على كواهلنا ، من المهد الى اللحدِ !

تكاثر جمعنا في الشمس ، وامتلأت بنا الصحراء

أكلُّ الناس فلاحون أغراب ،

بلا أرض ، ولا أبنـاء ؟

أكل الناس ينتظرون ما يأتي من السودان من انباء ؟

وما يعبر طيَّ الريح من ردٌ

و يصهل في امتداد الأفق ، يستطلع مجراه

و يعدو مائج الكفلين والكتفين

يطيِّر شعرَه المغسول في الشردِ
ويطعن بالقوائم جبهة الأشياء !

* * *

يسيل العرق الساخن من أجسادنا السمراء
ومن جسد الجواد الجامح الغاضب
ونحن نشد أضلعنا على أضلاعه الصخرية الحمراء
ونحن نسير عكس الريح والمدّ
نصيح بنشوةٍ وحشيةٍ في الشمس والصحراء
نصيح كأنما استيقظ فينا روحُنا الغائب :
تكفّأ ههنا ، واركض على أكتافنا الشماء
وتوّج شَعرنا بالعشب والزبد
فسوف نعود فوقك راكبين ، نسوق بالأيدي
مراكبَ تحمل الخيرات

عرائسَ من بحيرات الجنوب، مخضّبات الساق والنهدِ
واطياراً من الغابات
وأمطاراً ملوّنةً ، وأشجاراً
وعطراً من بلاد الهند والسند !

* * *

يعود القمر الشرقيُّ في مايو
ليبني عشه الفضي فوق تلالنا الجرداء
ونحن نعود ما كنا
رجالا من قُرىً ضاقت منافذها على الآباءْ
فارسلت البنينَ على مطاياهم
وأعطتهم عِصيَّ الخيزُرانِ يلولبون بها
على الطرقات
وأعطتهم على الأذرع اسم الأبِ والجدّ

وأمثلةً من الصبر الجميل ، وبضعَ أغنيّات
فاغنيَـةٌ عن الحب ، وأغنيةٌ عن الغربه
وأغنية عن السجن ، وأغنيةٌ عن التوبه
وأغنية عن الوعد
نغني في الطريق،ونحن ننظر خلفنا لبيوتنا الُجردِ
نغني حينما نستقبل الإمساء
وحين تلوح أسوار المدينة،تخطف الأبصار في البُعد
نغني حين ننظر من شبابيك القطار لأرضنا الخضراء

روما نتيكية

أصدقائي رأوا مرة في يدي
حبَّنـــا
عود زهر ندي
أصدقائي دعوهُ الربيع
عندما ارتعشت بسمةٌ في فمي
ومشى وهج في دمي
وترعرع في العين حلمٌ بهيجُ السنى

خَجِلٌ ، خائفٌ ، رائحٌ ، مغتدي
راعشٌ في بقايا دموع !

* * *

أصدقائي إذا جئتُهم يسالون
كيف حال الربيع ؟
فاقول لهم ما جرى في اللقاء
أو أقول تغيّبَ هذا المساء
ورماني لبرد الشتاء !

* * *

والقمر
ما رآني سوى عاشقٍ ،
مُذ هجرت القُرى ، وعرفت الحضَر
حبّنا.. قاد خطوي الى مُلكه المزدهر

في طريق ، تسقّفه أضلعٌ من غصون الشجر
وهو خلف الغصون ، وخلف الزهَر
القمر
وهو خلف ضباب النبات العَطِر
مَلِكٌ باسم أبداً ، مُنتظِر
يستثير بروحي شروقاً رهيفاً ، رطيبَ الأثر
ويشجعني أن أقصّ الخبر
فأغني الى أن أصيرَ خُطى من شعاع
وأشيرُ له .. الوداعَ ! الوداعْ !
ثم يلقفني المنحدر !

* * *

وأنا
حبنا . صار شيئاً تعودتُه كل يومْ

ولهُ كلَّ يومٍ تقاليدهُ ،
وله كل يومٍ طباعٌ وحُكْم
في الأصيل أشدّ اليك الرحال
في طريق ، عددت شجيراتِه الناحلاتِ الظلال
وحفظت شواهد من حوله ، لا تطوف ببال
واستعدت على طوله ، كلمات عتاب ، وبوح ، ولوْمْ
وتشككت فيما أسير له .. أتراني أعلل نفسي بوهمْ ؟
وأواجه بابَكِ ، أخشى جواب السؤال
نلتقي .. تفرح الروح إذ نلتقي
كزهور تندّت بصبحٍ نقي
وأهيم ، أصارع طعم العذاب
لو مضى اليوم دون لقاء
مثلما في السماء تناوح طير مصاب !

فاذا أقبل الليل ، أسعى إلى الأصدقاء
أنثر الكلمات هنا ، وهنا
عن حياة النهار ، وعن حبنا
وأعود الى البيت عند انطفاء الزجاج المضاء
لأفكر فيك مدى ساعةٍ ،
قبل أن ياتيَ العين نومْ !

أغنية لشهر أيار

« في ٦ أيار ١٩٠٦ قدم العرب في بيروت ١٦ شهيداً شنقهم الأتراك ، وفي ٢٩ أيار ١٩٤٥ ضرب الفرنسيون دمشق ، وفي ١٥ أيار ١٩٤٨ وقعت النكبة ... »

نحن ما زلنا نغني

لك يا أيار ، يا شهر النهار

نحن ما زلنا نغني ، لك يا شهر التمني

ونوفي النذر في كل ربيع

لك يا شهر الضحايا

حاملين الدم خمراً في جرار

ناقلين الشمس بالأيدي الى الأرض البوار
علّها تُطلِعُ قمحاً ، وزهوراً ، وهدايا

* * *

نحن مَن تقطر أغنياتنا حزنا ،
ويمشي أهلنا في الأرض هوْنا

كم علوْنا العودَ كبراً وصمودا
كم منحنا الحبل والسكّينَ صدراً ووريدا
كم سقينا كل يوم فيك يا أيار ماءً ،
قانيَ اللون جديدا !

* * *

يومُك السادسُ في بيروت حبلٌ ،
نحوه سرنا صعودا

لم نُدِرْ وجها ، ولم نُغمض عن الجلاد عينا
بل غرسناها بعينيه ، فأغضى .. وابتسمنا !

* * *

يومُك الخامسَ عشْرْ
آهِ يا يوم الضحايا والهزيمه !
آهِ يا يوم الجريمه !
نحن لم نبخل عليه بدمٍ ، لكنه ضن علينا بانتصار
وبمرأى من دوالينا ، بمرأى من هَزار
انتهينا عنك يا يافا ، وتهنا
دون أن نشبع مِن شمِّ العَرار !

* * *

يومك التاسع والعشرون يا أيّار !
سل عنه الجدار

انه الصخر هوى ، لكننا نحن صمدنا
دون باب الشعب كانت جثث الأبطال حصنا
كلما الشمس علت في الأفق ، يعلو الحصن منا
فاذا نحن بقرب الفجر جنديٌ ، يرى النور وحيدا
واذا الأعداء ظلٌ ، وغبار

* * *

نحن يا أيار ، مَن ، أبدعنا المبدع من طين ونار
روحنا خصبٌ ودفءٌ ،
ونحب الأرض والشمس ، ونحيا في النهار
فاذا جـــاء الدجى نطلب حضنا
فيه من روح الثرى والشمس لون وقرار !

* * *

نحن ما زلنا نغني

الك يا شهر التمني

ونعيش العام للعام انتظاراً لانتظار

ونوفّي النذر يا شهر الضحايا

حاملين الدمَ خمراً في جرار

ناقلين الشمس بالأيدي إلى الأرض البوار

علّها ُتطلِعُ قمحاً ، وزهوراً ، وهدايا

علّها تبسم يوماً للصغار !

عينان

صمتاً ! وأشرِقا بلحظة اللقاء

أيتها العينان ، يا نبعيْ صفاء

يا خمرة الروح ! ويا ظلّ الجسد

صمتاً ! وأشرقا بلحظة اللقاء

يا معبدان للهوى ، منوَّران في الفضاء

ياتيهما الانسان طائراً مغيَّبَ الرّشَد

يقيم في رؤياهما .. إلى الأبد ؟

* * *

عينان دفء وخدَر

عينان شمس وقمر

تحار فيهما .. تُرى هل تَحرقان ؟

أم يا تُرى تُرطبان !

لأن زرقة اللهيب فيهما ،

وزرقةَ البنفسج النّضير !

تحار فيهما .. ترى هل توقظان ؟

أم يا ترى تُخَدّران ؟

لأن اشراق النهار فيهما ،

وفيهما اشراقة السّحر !

* * *

يا طائران هاجرا معاً معا

وفي المساء ، عند بابي هجعا

ورجْعا

أغنيّةً قديمةً ، وصوْرا لي موضعا

خُذا احسُوَا

ملأت كَفّي أدمُعا

ونقّرا ..

فرطت قلبي قِطَعا

يا طائران هاجرا معاً معا

دماء لومومبا

اني جلست للرثاء
أكلت خبزَ كلِّ يومٍ ، ثم عدت في المساء
وروح لومومبا على المرآة.. خيط من دماء !

* * *

لا تسالوا : مَن قاتلُ المسيح ؟ إني أعترف
أنا الذي قتلتُـه هذا الصباح !
حين أتاني في الصباح ، طائراً بلا جناح
مغلّـلَ اليدين في صدر الصحف

قتلتُـه ، طويت وجهه ، وسرتُ أرتجف !

* * *

الشارع المجنون كان لا يزال
يسير في طريقه اليوميّ ، يرسم الظلال
على التراب ، ثم يمحوها ويقرأ الصحف
بنصف عين ، ثم يطويها ويطحن الغلال
بأذرع الموتى ، ويربط النساء والرجال
بقاطرات لا تُرى ..
وفجأةً جاء الزوال
الظلّ طال !
الظلّ مال ! زال ! تلك ليلةٌ من الليال
والشارع المجنون كان لا يزال

يمضي ويطحن الغلال !

* * *

وكنت أمضي حينما بكى القمر
وأعولت أنثى الرياح
وانسدلت على عشاش الطير أغصانُ الشجر
وغُصَّ باطن التراب بالنواح

* * *

وكانت الأجراس خرساء على صدر الحجر
وكانت الصدور أقفاصاً ، عديمة الغناء
وكانت الحبال تربط الرجال والنساء
ووجه لومومبا على مرمى البصر
يبدأ أيام البكاء !

* * *

كان يرى مصيره ، حتى نهاية المصير
يسعى له ، وهو المحب ، كيف يسعى للردى
أبٌ حنون ، يهجر البيت ، وينسى الولدا
وكنغويٍّ .. داره ريح النبات ،
أصدقاؤه الطيور
كيف ارتضى بباطن الأرض الظلام مرقدا
هو الضمير !!
وأن يقول إن انساناً بعصرنا البخيل استشهدا !

* * *

ماذا تبقَّـى بعد لومومبا لشاعر ضرير
يجول في الأرض الفضاء
بالأمس ضاع منه مفتاح السماء

وفرّ منه الحب ، فرّ الأصدقاء
وكان لومومبا صديقه الأخير
يدعو له بالكبرياء !

* * *

وحين جاء في الصباح
أطعمني فؤاده العاري ، وأسقاني دمه
ناشدني بالله ألاَّ أُسْلِمَه
لكنني تركته ، ورحت أرقب الرماح
وهي تنوشه ، وتطوي علمه !

* * *

قولوا لماذا لم تروا دماءه على يدي
تسري كما يسري الحريق ؟!
قولوا لماذا لم يصح بي صائح على الطريق

يا قاتل المسيح قف !

قولوا لماذا لم يكحل عينه يوم الردى مرأى صديق

يا من جدلتم فوق رأسه العسف

يا من بكيتم تحت صوته العميق

تأمّلوا أكفَّكم ..

إني أرى دماءه في كل كف !

* * *

والآن ! والليل يـكاد ينتهي ، بلا انتهاء

أحس أني عاجز عن الرثاء

فاللفظ ، نفس اللفظ ، قلناه رياء في رياء

ونبيع أبلاه ، وأبلاه الشراء

والصمت أجدى حينما نهتز من أعماقنا

وروح لومومبا على المرآة خيطٌ من دماء !

أناشيد

(١)

نحن النساء الغارقات في الظلال
الراهبات في انتظار أن يعود
مسيحنا المصلوب في قلب اليهود
مسيحنا !
دماؤه على التلال ، والشطوط ، والجبال
مسيحنا !

عيناه عشبٌ ، شَعره الوهّاج لون البرتقال !

(٢)

يا أيها المعلم الرحيم لا تسألهما
أن يصفا فصل الربيع
فالعام لا يعطيهما
الا شتاءً دائما ،
وثوبَ طفلٍ يعرفان أنه .. ليس يجوع !

(٣)

من أنتِ ؟ من أنتِ ؟
يا طفلةً في البرد والصمتِ
لو كنتِ ذاتَ اسمٍ ،
لكنتِ هذا الوقتَ في البيتِ !

الموت فجأة

حملتُ رقم هاتفي ،
واسمي ، وعنواني
حتى إذا سقطت فجأةً تعرفتم عليّ
وجاء إخواني !

* * *

تصوّروا لو أنكم لم تحضروا ..
ماذا يكون

أظل في ثلاجة الموتى طوال ليلتين
يهتز سلك الهاتف البارد في الليل ، ويبدأ الرنين
بلا جواب .. مرةً .. ومرتين !

* * *

يذهب إنسانٌ إلى أمي .. وينعاني
أميَ تلك المرأة الريفية الحزينه
كيف تسير وحدها في هذه المدينه
تحمل عنواني !
كيف ستقضي ليلها بجانبي
في الردهة الشاملة السكينه
تقهرها وحدتهـــــا
يريحها انفرادها بحزنها

حيث تظل تستعيد وحدها
أحزانهـــا الدفينه
تنسج من دموعها السوداء أكفـــاني !

* * *

يا ليت أمي وشّمتني في اخضرار ساعدي
كيلا أتوه
كيلا أخون والدي
كيلا يضيع وجهي الأول تحت وجهي الثاني !

* * *

حين أرى أن الرجال والنساء يخرجون صامتين
من بعد ما ظلوا أمامي ساعتين ، ما تبادلنا النظر
ولا تغيرت أمامنـــا الصور
حين أرى أن الحياة قد خلت من الجنون

ورفَّ فوق الكل طائر السكون
أحس أني مِـتُّ فعلاً ، واضطجعت صامتا
أرقب هذا العالم الفاني !

عودة فبراير

نوافذ المزة ما زالت تضيء ، فالعذاب

لم ينتزع بعدُ اعترافاتِ الشباب !

فيروز ما زالت تغني ، فلنا طير طليق

ما زال يجمع القلوب حول روعة المصاب

وينقل الكلمة ما بين الخليـج والمضيق!

* * *

كأنني سمعت صوتاً كالنحيب
يصعد من صمت المنازل
فبراير الشهيد من فوق الصليب
يركض في الصحراء ، يستنجد بالقبائل
فلا يجيبه مجيب !
كأنني سمعت صوتاً كالبكاء
هذا الحسين وحده في كربلاء
ما زال وحده يقاتـــل
معفّـر الوجه،يريد كوب ماء
والأمويون على النهر القريب !

* * *

كأنني أرى دمشق بعـد ليلة الغياب

بيوتها مظلمة ، وسجنها العالي مُضاء
الليلُ ليس الليلَ ، والعقم في كأس الشراب
والكلماتُ مثقلاتٌ بالذنوب !

* * *

العـــام يا دمشق مـَرّ
ونحن لسنا فيه
نحن نسير وحدنا في التيه !
يا ليتني يا أصدقائي شمعـــةٌ في سجنكم
يا ليتني ذكرى تلوح من بعيد
يا ليتني في غزوةٍ من غزواتكم شهيد !

* * *

كأنني أشهد ميلاداً جديداً في الغروب

أسمع عبد الناصر الذي بكى
وهو يقول في الخطاب
فبراير الشهيد عاد للجنوب !

* * *

فيروز ما زالت تغني ، والعذاب
لم ينتزع بعدُ اعترافات الشباب
يا أصدقائي احتملوا فانه على انطريق
رأيته يولد في صنعاء، حين استشهد النسر الشجاع
رأيته يولد في احدى القلاع
ثم يطير وحده، كأن خيله حريق
يقود بغداد الى وزارة الدفاع !

* * *

يا ليتني أراك يا دمشق عندما يعود
أعرف فيك أصدقائي ، حين يصدح النشيد
أطلق دمعةً حبستها سنه
أغمض عيني لحظةً للحُلم ، ثم أستفيق !

* * *

في كل بيت في دمشق .. لي صديـــق
في كل مقهى ذكريات وتدّعون أن فبراير مات ؟!

اغنية لبغداد

إذن ،.. فانتظاراتنا في المقاهي
تشرّدنا عبر ليل المطارات ،
عبر عيون رجال الجوازات ،
عبر ضجيج الملاهي
لقاءاتنا .. نسمة من دمشق ،
ومن أغنيات جنوب العراقِ بقيةُ آهٍ !

أحاديثنا لم تضع ،

لم تَضِع يا إلهي !

* * *

أكاد أراكم .. وأنتم على حافة الليل ،

تنتظرون انفجار السكينه

وأنتم تمدون أعينكم في زوايا المدينه

كبحّارةٍ من جنوب الخليج أطلّوا ،

يحيّون بغداد من فوق ظهر السفينه

كأن رُعاة الشمال أتوا في الربيع ،

يقولون أشعارهم للبلاد الحزينه

كأن القرى حاصرتها السيول

فسارت بأطفالها للهضاب الأمينه !

* * *

أكاد أراكم ..
وأنتم بأبواب قيصرَ حمرَ الجباهِ
جموعاً من الشعراء ،
تغنّـون للحـُب من يابسات الشفاه
جموعاً من الفقراء ،
تريدون قلعة عبد الإلهِ
جموعاً من الأعظميه ،
تندفعون إلى نهر دجلة عبْـرَ المياهِ
تخافون أن يسقط الحُلمُ فوق التراب ،
بآخر معركةٍ .. يا إلهي !

* ٥ *

أنا معكم من هنا يا رفاقي
أنا معكم أرفع الذكريات شعارا ،

أقاتل في ظلمها ، وأغني ليوم التلاقي !

* * *

أغني لبغداد ، أستنشق الليل فيها
أغني لدار السلام
أغني بلهجتها ، فكأني فتىً من بنيها
أغني الصَّبا ، وأغني المَقام
أصاحب أكرادها ، أتعلم منهم محبتهم للفَرَسْ
طريقتهم في امتشاق الحسام
وأهتف في الليل عاش السلام !

الوجه الضائع

هذا الذي أحكي لكم قصته القصيره
مات ، وضاع وجهه الى الأبد
لأنه كان وحيدا .. لا أخ ، ولا ولد
وقد بكيته كثيراً حين مات
وعندما أمضّني الحزن ، تصبّرت وقلت
هذا لأنني وحيد في مدينة كبيره
لكنني .. حين يمرّ العمر بي

وحينما يكثر موتاي سأنساهُ
فإن ذكرته صمتُ ثم قلت
يرحمه اللهُ !

* * *

وهذه الليلةَ .. بعد ما انقضت
تسعة أعوام على رحلته الأخيره
وبعد ما كبرت حتى لم يعد يجمل بي أن أنتحب
عُدت إلى بكائه .. وهل لذكراه
غيري ؟ ومن بعدي سيلقاهُ
إذا أتى من عالم الموتى يزور الذكريات ؟
أجيب نفسي .. لا أحد !

* * *

فلتسمحوا لي ، وأنا وحدي الذي ،
أذكر وجهه الذي يضيع خلف السنوات
بأن أحوم حوله ،
لعلني أدرك شيئاً من خطوطه الكثيره

* * *

كان صموتاً ، قانعاً .. تنبيك عيناهُ
عن عالم لم يتذوّق طعمه المجهول إلاّهُ
وباسماً في أسفٍ ، كأنما كان يرى فاجعةً ،
ليس يحب أن يراه غيرُه ، كيلا يخاف
لكنه كان إذا أسعده شيء ضحِك
فعاد للوجه العجوز مجده الماضي ، ودنياهُ
وذات يومٍ ذهبت ضحكتُه ، فلم تَعُدْ.
ذلك وجهه الذي أكاد أنساهُ !

اغنية اكتوبر

يُمكن أن تهجرني حبيبتي
يُمكن أن تغرقني الأحزانْ
يُمكن أن ألقي بنفسي جثةً ،
في أحد الأركان
أحاول الشعرَ ، فلا يجيبني
أمضغ أحداثاً ،. بلا ألوان
لكنني في شهر أكتوبر .. حين ينتهي

وينزل الغيم على الجدران
أذكر أيام انطفاء النور في مدينتي
وأذكر العدوان !
وأستعيد قصة الشعب الذي
هبّ .. كما يهبُّ في حديقةٍ .. بركان
فانتشي.. تحملني الذكرى على جناحها
لعالم من الأسى ، والزهو ، والغفران
كأنما .. أشم دمًّا باقياً ،
في ثوب فارسٍ من الفرسان !

* * *

آن الأوان ، كي أغني لك يا مدينتي
يا أجمـــل الأوطان
في منزل فيك تعلمت الهوى

وفي مقاهيك أنا أحاول السلوان
وفي لياليك إذا الصيف انتهى ،
واشتعلت رائحة الأغصان
أنسلُّ تحت الظل مسروق الخطى ،
معذب الوجدان
أبحث ، بعد ما انتهت معركة النهار ، عن
وجهك .. خلف ضجة الإعلان
أراك في النهر خيالاً صامتا ،
مرتعش البنيان
غانيةً .. راح ضحاياها وصارت وحدها
تنظر في مرآتها .. ما كان
تغسل بالماء خطوط وجهها .
وتمسح الظل عن الأجفان

وبسمة ضائعة فيها الأسى ،
والأسف العميق، والإذعان !
أراك في الليل الأخير طفلةً ،
بريئةً ، ضلّت عن الأقران
انتصف الليل عليها وهي بعدُ لم تزل
تهيم في حديقة الميدان
كأنها عاشقةٌ ،جديدةٌ ، تختار بين البوح ..والكتمان!

* * *

أراك في الليل الأخير مثلما
تخبر عنك سالف الأزمان
القمر الدائر في سحابةٍ
يشرق فوق عتمة البستان
وأنت في الشرفة يا مليكتي

أجمل ما تخيَّـل الناس عن السلطان !

* * *

أحلم يا مدينتي فيك بحب هادىءٍ
يمنحني الراحة والإيمان
أحلم يا مدينتي فيك بان نبكي معاً
إذا بكت عينان
بان أسير ذات يوم قادمٍ ،
تحت نهار يُسعد الإنسان !

الموت في وهران

ليسوا فراشات ، وليست شموع
تلك التي تقحّمتها الجموع
نار .. لهيب النار في قربها
وقلبها الوحش حقد ، وجوع
وهم يغذّون الخطى نحوها
كأنما يستقبلون الربيع
يرون في دخانها أغصنا

ويحسبون الجمر زهراً ينيع

* * *

من أبدل المعنى ، فصار المنى

أن يلتقي صريعهم بالصريع

ومن أضاء للعيون الردى

وأطلع الفجر قبيل الهزيع

يرونه ، ودونه مقتلٌ ،

يرونه ، ولا يرون الرجوع

أريد أن أعثر فيهم على

مستدبر النار ، فلا أستطيع

أكاد أن أهتف في جمعهم

عودوا ! وأخشى واحداً أن يطيع

أنا الذي أخشى ، وأرجو .. وهم
زهو اليقين ، وانتصار النزوع
سهمٌ مضى .. مخلّياً رعشةً
في القوس ، لا تلبث حتى تضيع
عاصفةٌ مقدّرٌ بدؤها
مقدرٌ لها مكان الرجوع
هم هكذا يمضون .. لا لذةٌ
تشدّهم ، ولا ظنون تروع
يمضون مثل النجم .. ما قدّمت
ساق الفتى ، وما تراخى الوجيع
كأنهم قد أصبحوا دورةً
على مدار غارقٍ في السطوع

وانتظمت أقدامهم في الذي
يسيّر الريحَ ، ويسقي الزروع
ويجعل الموت أليفا كما
لو كان وجهاً آخَراً للطلوع !

* * *

ما أمجد اللحظة في شرفةٍ
من ليل وهران المهيب المنيع
والحارس المرهف إنسانُها
الآمر ، الناهي ، البصير ، السميع
القمر اللاهب في كفّه
ياقوتةٌ مسقيةٌ بالنجيع
والوقع من أقدامه غنوةٌ

أوتارها كل الربى والنجوع

والموت إن يقبل اليه انحنى

مستأذناً ، وقال .. آن المجوع !

لا احد

رأيت نفسي أعبر الشارع ، عاريَ الجسد
أغض طرفي خَجَلاً من عورتي
ثم أمدّه لأستجدي التفاتاً عابرا ،
نظرة اشفاق عليّ من أحد
فلم أجد !

* * *

إذن ..

لو أنني - لا قدّر الله ! - أصبت بالجنون
وسرت أبكي عارياً .. بلا حياء
فلن يردّ واحدٌ عليّ أطراف الرداء

* * *

لو أنني - لا قدّر الله - سُجنت ، ثم عدت جائعا
يمنعني من السؤال الكبرياء
فلن يردّ بعضَ جوعي واحدٌ من هؤلاء

. . . .

هذا الزحام .. لا أحد !



اوراس

١

اوراسْ

أنا والقصيدة

قصتي مع اوراس هي قصتي مع الخلاص

بدأت أكتبها إثر لقائي ببضعة شبان من ابنــــاء الجيل الملتهب .. منور مروشي ، عبدالقادر قاسي ، محمد عمر اليجدايني المولود لأم من الجزائر واب من مراكش ..

كان هؤلاء الشبان الثلاثة من مغرب الوطن مـــع آخرين من مشرقه .. غسان شرارة من لبنان ، عبد الرحمن منيف من شبه الجزيرة ، جلال أمين من الإقليم

الجنوبي .. كانوا يجتمعون في بعض مقاهـــي القاهرة على الإيمان بالعروبة والعمل لها ..

وتعرفت عليهم في تلك الفترة الأسطورية الـــتي شهدت تأميم القناة ، وخطف بن بللا ، وتأكيد عروبة مصر بلسان عبد الناصر وبسياسته التي شجعت ملايين المواطنين على الإهتمام بمصير الوطن واكتشاف روحه حتى يكون البناء الجديد تعبيراً أصيلاً عـــن الروح الكامنة فيـــه .. ووجدت في الفكرة العربية روح الشعب ، كما وجدت فيها خلاصي الذاتي من قلق فكري عنيف كاد يدفعني إلى الإنحلال أو الإنحراف ..

إنني أحب الحياة .. ولقد وجدت هؤلاء الشبان من المشرق والمغرب يحبون الحياة ..

ولقد كنت ابحث عن الصدق .. ووجدت هؤلاء الشبان نماذج حية للفكرة التي آمنوا بها .. لقد حققوا الوحدة العربية في مجتمعهم الصغير في القاهرة قبـــل ميلاد الجمهورية العربية ، ولقد آمنوا بحرية الإنسان ،

وكانوا يشعرون لدرجـــة التمزق والتمرد بالظلم الذي يسلب الإنسان في نصف العالم رأيه،ويسلبه في النصف الآخر رغيفه ...

كان هؤلاء الشبان معذبين رغم ثوريتهم ، ذلـك لأنهم رفضوا ذلك الإيمـــان الغبي بطريق واحد ، وعندما تتعدد الطرق يكون لا بد من الإختيار ، من الحرية والمسؤولية معاً ... ومن هنا يكون العذاب !

واعجبتني هذه الطريقة في التفكير .. اعجبتني ثوريتهم وعذابهم اللذان ينبعان من تجربـــة واحدة يمارسها العربي بقوة ، هذه التجربة هي الحياة ذاتها .

الثورية عند العربي إيمان بالحياة وشغف بهـــا .. والعذاب عنده تفكير في المعنى ومعاناة للمصير ..

كان الرشيد يدعو اليـــه السقاة والجواري والمضحكين فيشرب ويسمع ويضحك حتى يستلقي ، وبعد حين يدعو اليه الأئمة فيعظونه حتى يبكي وتبتل لحيته بالدموع ..

كانوا ثوريين ، اصدقائي ، وكانوا معذبين ، وكانوا بسطاء .. يمنحون انفسهم للنفس الوافدة عليهم بفرح .. وانا احب ان يفعل الناس ذلك ، لأنني كنت مهاجراً لعام من الريف حيث شدة الإحساس بالجماعة ، وتسليم بضرورة العطاء لبقاء الحياة ..

وانا يهمني ان أكون خلية من خلايا الشارع ، لا نباتاً غريباً على الرصيف لا هم له إلا المراقبة .. وإذا كنت حتى الآن ألعن الشارع في قصائدي فذلك لأنه لا يتسع لي !

وحدثني اصدقائي الجدد بحماس وألم وحيوية عن المعارك ، وعن الناس ، وعن القادة ، وعن ارض الجزائر المعشبة المزهرة المشجرة المحترقة ...

وكتبت اول صورة من صور القصيدة ، وألقيتها في احتفال اقيم في نادي الصحفيين بالقاهرة احتفالاً بمرور عامين على إعلان الثورة العربية في الجزائر .. وتحمس الشباب وحفظوا بعض مقاطعها ، وبكى

الأستاذ اكرم الحوراني الذي كان حاضراً ، وتقدمت مني سيدة عجوز وعانقتني ودعت لي والدموع تنهمر من عينيها ..

كانت القصيدة في اول صورها دفقـــة عاطفية حارة ، لا تزال دعائمها الفكرية والفنية مولودات غير نامية ، بل لقد وردت فيها بعض الأخطاء الفكرية نتيجة لتربيتي الدينية التي جعلتني اتابع في القصيدة وصف اسبانيا بالفردوس المفقود كما كان يدعوها القدماء معتبرين اياها حقا من حقوق العرب ..

لكنني ما كنت أراجع قصيدة كتبتها لولا ان أن الشباب في مهرجاناتهم القومية كانوا يصرون على سماع « أوراس » مما جعلني اتابع استثمار جوهـــا بصورة دائمـــة وفي الوقت نفسه أتابع الاضافة عليها والحذف منها ، واكتشاف رموزها التي أوردتها في الصورة الأولى بها ، وتنمية هذه الرموز ومد تفرعاتها

لتلتقي حسب تصميم خاص لقـــاء عفويا في نهـــاية القصيدة ..

لقد بدأت كتابة اوراس في سبتمبر (ايلول)عام ١٩٥٦ ، ولكن جوها ظل يطاردني الى سبتمبر عام ١٩٥٩ ، بل لعله سيطاردني باستمرار لاكتب غـــير أوراس عن أوراس .. انها تتجدد في نفسي كل عام كما تتجدد زهور الجبل بعد أن تحترق كل عام ، وكما تتجدد الثورة كل يوم ..

إن أوراس ليست في نظري قصيدة قديمة ، لقد منحها موضوعها فرصة الميلاد كل يوم ، وأن كل ماهو بطولي في القصيدة يأتيها من الثورة ، وكل ما هو فج فيها مرده إلى جوانب في نفسي لم تمتـــد اليها نار الثورة بعد ..

وان ايمـــاني بذلك هو الذي دفعني إلى الرضى بتقدمة الاستاذ صدقي اسماعيل لها رغم عدم حماسه للقصيدة في هـــذه التقدمة ، وان كان لي أن الاحظ

أن الاستاذ صدقي عبر عن انطباعه العام عن القصيدة حسب تصوره الخاص للشعر ، دون أن يحاول القاء مزيد من الضوء ، على تصوري انا للشعر كما حققته في أوراس ..

أن كلمة الاستاذ صدقي ، شوق إلى أدب ثوري يفعل في النفس ما تفعله أحداث الثورة ، ولقد كان بامكانه أن يصل الى التعبير عن هذا الشوق بواسطة القصيدة لو انه منحها جزءاً أكبر من نفسه حتى تمنحه كل نفسها ، لكنه توجه اليها شاهراً غضبه على الشعر العربي الحديث الذي لم يستطع حتى الآن أن يعبر عن تجربة الثورة ، فكان أن أغلقت دونه بعض أبوابها .

ثم انني أردت أن أقول لبعض الشعراء والكتاب والنقاد الشبان انه ليس من الضروري أن تؤكد كل مقدمات الدواوين والكتب على أن كل أصحابها عباقرة!

وأخيراً فأوراس رغم السنوات الثلاث محاولة غير

كاملة للاعتماد على العلاقات الفكرية وتنميتها في البناء الفني للقصيدة ، دون الاعتماد المطلق على عـــلاقات النغم المتدفق ، للوصول إلى الشعر المبشر ..

دمشق في ٨ ايلول ١٩٥٩

احمد ع . حجازي

مدن المغربْ

ترتج على قمم الأوراس

زلزال في مدن المغرب

لم يهدأ منذ سنين مائه[1]

لم يترك في جفن أملا لنعاس

ياتي المولود على صوت الزلزالْ

ويموت رجال

فيودعهم صوت الزلزال

جيل ، عن جيل . . أجيال

عاشت ، ماتت . . في الزلزال

فالصخر هناك له روح تسري

تحت الفجرِ

تسري في قلب الأحيـــاءِ

وترن بجوف الأشيــاءِ

وتنادي . . يا نسري !

يا نسري الغائب ، عد للغابة يا نسري !

حطم سجنك !

غالب زمنك !

وارجع ، فالعش على صدري

خاو ، يشتاقك يا نسري

ارجــــع يا شمس الحريه !

وتهب الريـح الشرقيه

ويئز الطلق وراء الطلقْ

فيردده طبل في الأفق

ويعود الطلق يئزْ

والصمت يسيـح

وثلاثة أشباح تغدو ، وتروح

في غابات الأرزْ

صاروا شبحينْ

والثالث تحت الليل جريـح

وضياء سراجٍ من بُـعدٍ يهتز

ويد تهتز وتخفيهِ

تخفيه منذ سنين مائه

تخشى أفواهـــا تطفيهِ

تخشى أفواهـــا سكرانه

أفواها مظلمة قذره

جاءت من أقطار الخمره

حيثُ تباع الخمرة للباكي

ويباع الباكي للساقي

ويباع الساقي للكرمه

والكرمة تملك كل الناسْ

* * *

مـــدن المغرب

ترتج على قمم الأوراس

وتهب الريح الشرقيه

تنشب مخلبها في الثلجِ

وتقلب أحشاء الموجِ

ويطوف زئير كالوهجِ

يجتاح القمة والتلاّ

بن بـــللا !

اغتالوا بن بـــللا !

ثوره . ثوره

ما أعظمه يوم الثوره

تهتز الأعماق الحره

تهوي مدن ، يهمي مطر ، تنمو زهره

تتعارك مخلوقات النور ، ومخلوقات الحفره

يلقى رجل محبوبته .. آخر مره

ويودعها غزلاً ،

شِعرا ، قُبَلا ..

آخر مرْه

يتلمس في ضوء القمر الواني جذع الشجره

يشقى حتى يجد اللفظ النبره

ليقول وداعاً ! حين يثور

ينسى أشياءه

ينسى أبناءه

يتذكر أن الباطل ينفي الحقْ

نار تتلهى بالخضره

شهوات تهزأ بالفكره

شرف في الطين .. رؤى مُرّه
ما أعظمه يوم الثوره
يوما نهوى فيه الصدق
نصفو ونرق
فنرى بلدا وَرِعَـا
الناس به يمشون معا
يشدون معـــا ،
يبكون معـــا
وإذا مات الانسان به ،
عرف الانسان به قبره
ثوره ثوره
شعبي في الشط الأبيض ثارْ
ضربات جناحك يا نسري ،

في المغرب نار

آه !

لو أن جناحك فوق المشرق طار

آه !

لو أن النار سرت في باقي الدار

يا ويلي ! يا ويلي !

يا أحزاني ! يا قضبان الليلِ !

غوري ، فطلائعنا فاضت ،

كالسيل !

الفارس عادْ

مرت الف وثلاثمائه [٢]

من يوم رماه المشرق للمغرب

يدعو .. ألله !

يزجي في ظلمات الدنيا فرسه

يدعو .. ألله !

يضرب

يعطي رأسَه

يدعو .. ألله !

الفارس عاد

مرت ألف وثلاثمائه

عرف الآلام بها ،

يا كم عرف الآلام

حين استلقى في الظل ونام

في ظل الكرمة حين ارتاح

وأتى بالقينة والأقداح

والمضحك والمدّاح

جافته الفكره

ورمته في التيه السكره

جافاه ظهر الخيلْ

ورماه للأحلام الليلْ

* * *

مُت في الدنيا تَحيَ

غِبْ تشهد وجه الرحمنْ

اسكتْ تُفلتْ

من يستفهمْ يندمْ

* * *

ماذا تخفي الأنجمْ ؟!

في أي زمان نحن ، وأي مكانْ

نظروا في الأنجم ألف مساءْ

قرأوا في المرصد ألف دعاءْ

وأجابوا في صوتٍ أبكمْ

هذا يا مولانا آخر زمنٍ ،

هذا زمن النسيانْ

وأجاب البحر بما لا في الحسبان

سفن الرومان !

هتف الربان

أرض بكرْ

أشجار مثقلة بالخمرْ

هذا قدري ، فوداعاً يا أمواج البحر

من بعد حنين الآفاق

يمتص دمي جزر الكرمـــه

وأنا أمتص دم الساقي

والساقي يمتص الباكي

والباكي ينسى بالخمره

هــــذا قدر الانسان !

قسطنطنيه !

فليهتز الناقوس بمسجدها الجامع (٣)

أهل الأوراس

فليُعطَوْا ألسنة ووجوها مأمونه

أو فليُعطَوْا ظلمات القبرْ

ثوره . ثوره

وتنادى تجار الخمره

خرجوا كبرابرة الماضي المنسي

في أيديهم كتل الأحجار

وامتد الدمّ بحورا في القدس [٤]

داسوا زمن الأشعار

« قتلوا رجلا [٥]

« رجلا ـ ما أطيبه ـ طفلا

« في الصقع الواسع بقعة دم

« كالشمس اذا مالت للغرب

« قتلوا رجلا تهواه النسوة والأطفال

« رجلا مثلي ! »

قتلوا إيلوار !

سنوات عجفاءْ

مرت لم يمطرها ماء

ذوت الأَعشابْ

وامتصت دجلة ألف كتابِ [٦]

ذابت في النهر عيون الكتاب الشعراء

وتفرق في التيه الأعراب

في التيه دعونا صلينا

وبكينا من قلب التاريخ وأعولنا

من قلب الأضلاع المنخوبةِ غنينا

« يا بِلاداً ظامئة ، يا شعباً حيرانا

يا أطفالا صُمّا ، أطفالا عميانا

يا رملا مصفرا ، يا صيفـــاً مصفرا ،
يا صباراً مصفرا ، يا دنيا ،
تشتاق الألوانا
يا نسوتنا إنا متنا
فابكين علينا واذكرن الليلَ الفواحَ برغبتنا
واذكرن الصوت الملآنا
إنا ندعو .. من يسمعنا !
من يبعث ماءً للأمواتْ !
من يخرج من أرض الذكرى نفسَ الكلمات !
من يرجعنا للدنيا شبانا !
وامعتصماه (٧) !
وامعتصماه !

* * *

مدن المغرب

ترتج على قمم الأوراس

وتهب الريح الشرقيه

وتفور خيولْ

كسيول فاضت فوق تلال

قطاع طريق من أحراش الغال (٨)

يلوون الألسن باللغة الافرنجيه

ما زالوا يلتحفون فراء الدبْ

يمشون جحافل فوق بكاء القلبْ

ما زالوا رومانا ،

ما زالوا كفارا

يرمون على بـــلدي نارا

فيموت ملوك

أبناء ملوك فتحوا اسبانيا

اسبانيا بين يديك شهود

ما زالت في متحف مدريد

أردية الملك العربي [٩]

ما زالت في تيه النّقَبِ

بنت ترثي وقت الحُبّ

لما كانت يافا .. يافا !

واخيرا ماذا بعدك يا يافا ؟!

كم عامٍ ثم نصيرُ نبأْ

ويقول التاريخ « العرب انقرضوا

في القرن العشرين انقرضوا

كانوا .. !

أنكون شهود المأساةِ ؟

أأكون أنا آخر أبناء أبي

أأموت بلا ولد يتلو شعر العربِ

قولي يا أوراس

قولي يا حارسة الأبناء

وهمو ما زالوا في الغيبِ

يا ينبوعاً يمحو عار الماضي

يا كفاً تبني أنقاضي

يا نور العرب على طول البحر الأبيض

يا أمني يا فخري

يا ملهمتي شِعري

يا أوراس !

أوراس جبال عليا ،

قمتها « شليـــا »

فرس عليّ عبرتها[١٠]

رسمت سنبكها فيها

مرت ألف وثلاثمائه

من يوم رماه المشرق للمغرب

تدعو .. ألله

ما زال الصوت على القمه

فوق الثلج البارد

ما زال صدى الخيل الشارد

عبر الغابات ينادي في العتمه

ما زالت في الغيم النجمه
متدثرة تتذكر رحلتها ،
عبر الآفاق من المشرق
والسنبك ما زالت شليا ترعى وشمـــه
تتنبأ بالبطل العائد
عبر الطرقات الثلجيه
أرز ، ورعاه
من قلب الماضي يبكونا
رومان مخمورون قساه
رعب وظهور محنيه
وامعتصماه !
لازرع ، ونار في الزيتون

والقرية تحت الصلب خراب

والأفق ترابْ

وعذارى في السجن الثلجي

قال الصاحب :

« كانت من قريتنا[11] »

عاشت فيها زمنا

كانت بيضاء كشمع مسقى بالدم

لكن الطفلة ما كانت تلهو

كانت ترنو أبداً للغيمْ

في هَمْ

كانت تسهو

فإذا سمعت صوتاً رجفت ،

مثل الصاحي من حلم
وأفَقْنا لم نَجد الطفله
سجنوها في سجن عالي البرجِ
في الوادي حيث يحط الثلج على الثلجِ
وينام السمْ
لدغتها الأفعى في نهدٍ ،
في كاسٍ فضيٍّ مقفلْ
وعصرت « سلاف العلجا » فيه [12]
لكن الثدي انصب فتاتاً في جمرات الوهج
بقيت في الصدر عروق ماكوله »

* * *

لازرع ، ونار في الزيتون

والقرية تحت الصلب خراب

والافق تراب

وشباب تحت مقاصل « ميرابو »

يسقون العين بكل النور قبيل الذبحْ

يا مغربُ ! يا مغربْ !

من أين أتيت بكل ضحاياكَ ؟!

هل أنت معين رجال لا ينضبْ ؟!

إن الدنيا ، كل الدنيا تعجب !

من أين أتيت بكل ضحاياك ؟!

لك مني ملحمة كبرى

يا من ستكون إلى يافا أول عائدْ

وامعتصماه !

وامعتصماه !

يا فارسنا ! أدركنا ! أدركنا !

الروم أتوا .. دخلوا يافا

دخلوا يا معتصمي عمّوريه

شربوا بشوارعها أنخاب هزيمتنا

كانت تسقي وتغنيهم .. ويلاه !

بنت يافاويه

كانت تسقي وتنادي

وامعتصماه !

يا فارسنا الآتي من أوراس

يا خيّالا ألقى عن عاتقه ثلج القمه

يا ناراً شبت في النجمه

يا خيلا عادت من غاب العتمه

يا صوتاً دامت هجرته الفاً وثلاثمائه

وأطل أخيراً يحدونا

« بالحريه

« بالشعب الواحد من بغداد إلى الدار البيضاء

« بالأرض لابناء الأرض الفقراء

لك مني ملحمة كبرى

يا من ستكون إلى يافا أول عائد

يا من ستخط على قمم الأوراس

اسم الشعب الخالد

لك مني ملحمة كبرى

ولكل شهيد أغنيه

ساظل أغني وأغني

حتى أعصر فيها الفرحه

فالشعب سيبحث عن لحن ليردده

وهو يهز الأرض بأقدام مرحه

إغنوا أشعاري يا أبطال

مات الصف الأول !

اصعـــدْ

اصعد لا تتردد

مات الصف الثاني !

اصعـــد

دس فوق وجوه أحبائكْ ،

واذكرهم بعد النصرْ

أعداؤك جبناء كالورق الطائر في الريح

أرأيت إلى ورق غادر شجره

هل يستوطن شجراً آخر ؟!

أرأيت إلى امرأة حرّه

هل تهوى إلا صاحبها الأولْ

الأرض تنوح وتنتظرك

الأرز حزين

القرية تحت الصلب خراب

والأفق تراب

وتسيل دماءٌ دافئة فوق الثلج

وتميل رقـــاب

وتعود الشمس ككل غروب

ويؤوب الصمت ، يؤوب

وتنير الشمس قلوعاً مصلوبه

في بحر الروم

وتنير مآذن قوطيه

من يصعد سلمها يلهث

الشمس تعود هنا

تلقى داراً تاريخيه

عاشت فيها خيل الأعراب

لكن ما زالت فيها فسقيه

مكتوب فيها « باسم الله بناه رحاب

في السنة الألف وخمس هجريه »

* * *

يا عهداً راح

كانت سفن الأوراس أميرته الأولى

ترتاح على جزر الأفراح

وترود المجهولا

وتسد البرزخ في وجه الاسبانِ

وتروح بخيراتٍ ،

وتعود بخيراتٍ ،

باسم السلطان

يا عهـــداً راح

أنذا أبكيك ولكني

أشهــــد ميلادك في أوراس

أشهد في الأفق الغربي غبارا

ناراً ، أعلاماً ، ثوارا

ميلاد نـــبي عربي آخر

يا إيوان الفرس تصدع (١٤)

ميلاد نـــبي عربي آخر

يا شعب الصحراء تجمع

ميلاد نبي عربي آخر

يا أحزان السنوات العجفاء

يا آهات الأغنيات السوداء

عودي جمرا

عودي رايات حمرا

عودي آمالا خضرا

الفارس عـــاد

الجبهة مصباح وقـــاد

والعين حنان ، عزم ، زاد

والخيل الريح لغير يديه لا تنقاد

والنسر بجنب الشمس شعار رعاد

بن بللا عـــاد !

فاشتدي

يا روح الروح الشرقيه

يا نسري

ليظل جناحك في المغرب يخفق

وليصح جناحك في المشرق

ولتحملك الريح الريح الشرقيه

لتظلل رأس الفارس وهو ينادي

« الحريـــــه

« الشعب الواحد من بغـــداد إلى الدار البيضاء

« والأرض لأبناء الأرض الفقراء

أنذا يا أيام العرب الخضراءْ

أشهد ميلادك في الظلمه

وأغني للساري فيها ،

للميت في أعلى القمه

لقلوب نساءْ

يرقبن على سفح التلّ

تاريخ العودة للأرض وللنسلِ

تاريخ الميلاد الأخضر

حواشي

١ – تاريخ دخول فرنسة الجزائر .

٢ – الفترة ما بين دعوة الرسول العربي ونهضة العرب الحديثة .

٣ – حول الفرنسيون اكبر جامع في الجزائر إلى كنيسة وحولوا آخر إلى دار بريد .

٤ – عندما دخل الصليبيون القدس ارسلوا إلى البابا يقولون له إن خيولنا تخوض في دماء المسلمين حتى ركبها .

٥ – مقطع من قصيدة لبول ايلوار يرثي بها احـد

رجال المقاومة الفرنسية وقد اعدمه النازيون في الحرب الأخيرة .

٦ ـ عندما دخل التتار بغداد بقيادة هولاكو اغرقوا مكتبتها في دجلة واستعملوها جسرا عبروا عليه النهر .

٧ ـ نداء خيل للمعتصم أنه سمع من فم إحدى نساء عمورية ، وهي ثغر عربي دخله الروم فأجلاهم عنه وفي ذلك كتب أبو تمـــام قصيدته التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب .

٨ ـ اسم فرنسا في العصور الأولى .

٩ ـ ما زالت في متحف مدريد ثيـــاب أبي عبدالله الصغير آخر ملوك غرناطة وسيفه .

١٠ـ تزعم اسطورة جزائرية أن علياً بن أبي طالب هو الذي فتح الجزائر ، وتزعم أن آثار

سنابك حصانه ما زالت على صخور أوراس بين كل أثر وآخر عشرون ذراعاً هي طول خطوة الحصان .

١١ـ فاطيمة فتاة كانت أول شهيدة من شهداء جيش التحرير في مراكش وقد اعتقلها الفرنسيون على أثر اشتراكها في إحدى المظاهرات ووضعوها في سجن صحراوي، اصيب فيه ثديها بجرح أدى إلى بتره ثم فرت إلى المجاهدين في الجبل وهناك استشهدت .

١٢ـ سلاف العلجا ، نبات يدق وتداوى به الجراح.

١٣ـ الحرية والوحدة والعدالة الاجتماعية شعارات الثورة العربية الحديثة .

١٤ـ إيوان كسرى : الذي يقال إنه تصدع ليلة مولد الرسول العربي .

الى الاستاذ العقاد

كتب الشاعر هذه القصيدة في الرد على الأستاذ عباس محمود العقاد عندما اعترض على اشتراك بعض الشعراء المجددين في مهرجان الشعر بدمشق متهما إياهم بأنهم لا يعرفون أصول الشعر العربي ، وهدد بالانسحاب من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب احتجاجاً على اشتراكهم في المهرجان .

واذا كان في القصيدة شيء من التطاول على مكانة العقاد فقد دفع اليه حماس الشاعر وإيمانه برسالة التجديد الشعري التي لم يستطع العقاد أن يقدرها حق قدرها .

مِن أيِّ بحرٍ عصيِّ الريحِ تطلبُهُ

إن كنت تبكي عليه ، نحن نكتبُهُ

يا مَن يحدِّث في كل الإمور ، ولا

يكاد يُحسن أمراً أو يقرِّبُهُ

أقول فيكَ هجائي ، وهو أوَّلُهُ

وأنتَ آخرُ مهجُوٍّ وأنسبُهُ

تعيش في عصرنا ضيفاً ، وتشتمنا

أنّا بإيقاعه نشدو ونُطربُه

وأنّنا نمنح الأيامَ ما طلَبتْ

وفيكَ ضاع من التاريخ مطلبهُ

وفيكَ لا أمسُنا زاهٍ، ولا غدُنا

وفيكَ أبهتُ ما فينا وأكذبُه

وتدّعي الرأيَ فيما أنتَ متّهمٌ

فيه، وتسألنا عما تخرّبُه

وإنه الحمق، لا رأيٌ ولا خُلُقٌ

يُعطيكَ ربُّ الورى رأساً فتركبه

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

* * *

اللفظ يولد أعمى، ثم يعرفُنا

فيهتدي لقلوبِ النـــاس موكبُـه

لأننـــا في ليـــالي الحزن نكتبُـه

وفي ليـــالي الهوى والشوق نُعربــه

وفي اشتعال الضُّحى الناريِّ نُنشدُه

نسقيـــه من دمنـــا القـاني ونُلهبُـه

واسالْ محافلَـة عـنَّا ، وكان لنـــا

عند الغنـــاءِ غناءٌ طـــاب مَذهبُـه

وكان مِن سامعينـــا يومَـها نَفَـرٌ

تُعيرُه الرأيَ إنْ ينطِـقْ وتصحبُـه

قُلنـــا من المطلعِ السحريِّ فانبجست

عينٌ ، وسال من الرقراق أعـــذبُـه

ثم انتهينا ، فـمـــا في القول باقيَــةٌ

يُضيفها مُرسلٌ للقول مُعربُـه

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

* * *

هذا هو البحرُ ، إن مسَّته مَركبُنا
صفتْ لنـــا ريحُه وامتد مسربُه
وإن أردنا نفذنا منـــه نحو مَدى
إن جدَّت الريـــحُ فيه جدّ مركبُه
لكنَّنا رغم بُعـــد الشطِ نذكرُه
هذا القـــديمُ الذي لم تَبلَ أضربُه
فنحن أبنـاؤه حُزنا خزائِنَه
نَروي على الناسِ ما فيهـــا ونَنسبُه
ونعرف الصدق في الديوان ما خفقت
له القلوبُ ، وما نامت نكذّبُه

أبناؤه نحن أعطـــانا ويُسعده
أنـــا بهذا الذي أعطـــى سنغلبُه
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

* * *

الرحلة الى الريف

محطةٌ في أسفل المدينه
مسقوفةٌ ، تضاء في نصف النهار
مواكبُ المسافرين ضجةٌ حزينه
وساعةٌ تُحصي عذاب الانتظار
وصفّر القطار
إثّاقلت أقدامه وسار ،
ثم سار

لافتةٌ تراجعت .

صبيّـةٌ لم تستطع به اللحاقَ ،

شيعته في انكسار

وغادر المدينه

ترنح الضجيجُ في المدى

ثم ارتمى سكينه !

* * *

الكل متعبون ، والدخان

تغزله أنوفُهم ، تغزله مدخنةُ القطار

العائدون من شوارع الغبار

من مطحن الأعصاب ، من مائدة القمار

من المدينه

ارْخَوْا رءوسهم على حوائط القطار
كأنهم عجائزٌ تهدموا على جدار
كأنهم مهاجرون
تكدسوا على سفينه
كأنهم جرحى وقد عادوا من الميدان
يستعرضون في هدوءٍ ، في أسىً .. ما كان
وارتجفت أغصان
وأجفلت أطيار ،
تفرقت . وأمتدت الخضره
حيث التقت في الأفقِ بالأشجار
وأطلق القطارُ صيحةً حزينه
ترنح الضجيجُ في المدى
ثم ارتمى سكينه !

* * *

خُطَى خُطَى ، تتابعت خُطى القطار
تخترق النهار
أمامنا لا سقف ، لا جدار
أمامنا المدى
مخضوضرٌ في المغرب الشتويِّ ،
صافي الاخضرار
أين ازدحام الناس
أين اصطناع الزرع في آنيةٍ من النحاس
هنا المدى لا يعرف الحراس
هنا أنا حرٌّ ،
هنا الطيورُ تسطيع أن تطير
هنا النبات لا يزال أخضر الرداء
كيوم كان

ولا يزال يرضع السماء
كيوم كان
هنا الحقيقةُ التي لا تعرف التلونَ المقيت
هنا الدوامُ والثبوت
حتى هنا الأحزانُ لا تموت
وأطلق القطارُ صيحةً حزينه
ترنح ، الضجيجُ في المدى
ثم ارتمى سكينه !

* * *

أيتها الحقولُ يا نقية الألوان
يا بيدرَ الطائر ، يا مرعى البهيم
يا لقمةَ الانسان !
لو أنني نزلتُكِ الآن ، فتحتِ لي الذراع

لو أنني مشيت ما وجدت من يقول : قف
يا موطني القديم
نسميكَ الحاملُ قطعانَ الغيوم
فيه من الغروب والشتاءِ والنبات
العبقُ الوسنانُ والأحزان
والذكريات
عند المسيل يذكرون أن ابراهيم مات
وهذه الصفصافة الدائمة النواح
تسكنها الأرواح
لكل شيءٍ ههنا تاريخ
كلُّ مكانٍ أسبل الجفنَ على زمان
وههنا .. كلُّ مكانٍ يعرف الانسان !

* * *

يا موطني القديم !

نفسي التي أعتقها من سجنها الرحيل

تطوف فوق جوِّكَ النبيل

تغسل ما في صدرها من الدخان

تلتمس الحنان

تلتمس العمرَ الذي انقضى هنا

تلتمس الذي نما من الشجر

ومن رفاق الضِّحْكِ والبكاءِ ، إخوةِ الطفوله

لعلهم يهيئون الآن موكبَ الرواح

وربما لم يكبروا ، لم يشهدوا الرجوله !

* * *

يا موطني القديم !

هذا أنا أفتح صدري للنسيم

هذا أنا أرسل عيني خلف قطعان الغيوم
حيث تبين من بعيد مئذنه
قصيرةٌ ولم يزخرفها أحد
لكنها ، وقد أحاطتها أشعةُ الغروب
تبين صفراءَ على قتامةِ الشجر
النفسُ واهنه
لكنها تستيقظ الآن على عطرٍ غريب
تستنشق الأيام منه ، تذكر الأسماء
تلتمس الدروب !

١٩٦٠

هذا المساء يا عزيزتي جميل

لا تسالينى ان أتيتُ في مساءِ غد
وفي مساءِ بعدَ غد
ماذا تريد ؟
لأنني سادَّعي أني نسيت عندكم كتاب
أني نسيت علبةَ الدخان ليلة الأحد
أني .. نعم .. أريد . ما الذي أريد
ستلمحين فكري الشريد

من خلف عيني حائراً يبحث عن جواب
وأمضغ الأسى ، ولا أرد !
لا توقفيني هكذا ،
فقد شبعت وقفةً بكل باب
أسال عن خبزٍ وعن حبٍّ ، ولا جواب
غير صدى صوتي يضيع في السكون
أرجوكِ قولي لي استرح
أو انتظر
وأبتسمي إبتسامةً مشجعه
لأنني لن أستريح لو بدا في وجهك الضجر
وانني أراك سوف تفعلين

* * *

أتذكرين
ليلةَ أن كنا نسير ذات ليلةٍ ،

وقد تدثر الطريـــقُ بالظلام

أنا أكاد أذكر الوقتَ وأذكرم الكلام

لأنها أولُ مرةٍ نسير وحدنا

وكنت أستطيع أن أقول كلَّ شيء

لكنني لست من الذين يتقنون صنعة الغرام

أنا أكاد أذكر الوقتَ ، وأذكر الكلام

كنا نسير والطريق مظلمٌ ، والناس أشباحٌ تمر

تبدو إذا سيارةٌ مرت بهم ،

تمد فيهم إصبعين أزرقين من ضياء

وتختفي فيختفون !

أيامها كنا نعيش في الظلام

كانت سماؤنا جريحةَ الأفق

ينوء صدرُها بيومٍ ينشر الخراب

على بيوتنا التي بنى سقوفَها العرق
على حقولنا التي تخضرُ كلَّ فصل ،
وتفرش الظلال للخراف والرعاه
وترضع المساءَ قطرةً من الندى ،
وخفنةً من الورق
أيامها حتى الندى احترق
وقلت في نفسي أعطها يدك
ففي ليالي الحرب تأمن البناتُ للرجال
وقلت لا ، فقد تردُّها ؛
لكنني وددِت أن يتوهَ دربُنا ، فلا يرى خيالَ دار
ويشربَ الليلُ الخلودَ كلَّه ، فلا يرى النهار
وكان حراسُ الطريقِ والجنودُ يعبرون
وقد تقلصت أكفُّهم على السلاح !

وكنت أطرد الهواجسَ التي تأتي بفكرةِ ابتسام
وربما لولاكِ ما فكرت أبتسم
هربت من خواطري ،
كأنني استيقظت من حلُم
ثم استدرتُ نحو وجهِكِ الذي يفيض بالجمالِ والعذاب
وقلت :
هذا المساء يا عزيزتي جميل !

* * *

ألأفقُ صلبانٌ من الشرر
تقاطعت على الدجى
والطلقات تنهش السكون
لا تفزعي ، نحن معا
نحن معا نخوض في المنون
ولا نموت

أحسست أنني أحب

أحسست أن أصبعي يفتت الصخور

وصدري العاري يطيش حوله الرصاص

وفي دقيقةٍ يصير لي جنـــاح

أمشي به على الرياحِ

إذا شربت جرعةً من نبعك النمير

أحسست عندما اقتربنا من طريقِ منزلك

أن لياليَ السُهادِ والغناء أقبلت

أني بحاجةٍ إليك

أني أخاف أن أعود

أني أريدُ ، ما الذي أريد !

. . . . . .

هذا المساء يا عزيزتي جميل !

مارس ١٩٥٧

المجد للكلمة

شكراً للكلمه

يا أهلَ الكلمه

شكراً للفتحةِ ، شكراً للضمه

شكراً للراوي في الصحراء

كم نقَّبَ عن بيتٍ مفقود

من قلبِ قصيد

شكراً للمطبعة الصماء

يدُها البكماء

تصنع ألفاظاً تتكلم

تصرخ ، تتنهدُ ، تتألم

تبقى ،

لا تطمِسُها الظلمه

تجمعنا نسجد للكَلِمه

الكلمةُ طير

عصفورٌ حر

والكلمة سحر

أربعةُ حروفٍ صادقةِ النبره

حاءٌ

راءٌ

ياءٌ

هاءٌ

تشعل ثوره

والكلمة روحٍ

لو قالتها شفةُ مسيح

وهي تراب

في شفةِ يهوذا الكذاب

يا شعراءْ

يا كتابْ

يا حراسَ الكلمه

قولوا المجدُ لها

حارسة الوحدة ،

جامعة الكلمة !

مرثية للعمر الجميل

مرثية للعمر الجميل

مسافر ابدا

أعبر أرضَ الشارع المزحوم لا توقفني العلامه
أثيرُ حيثما ذهبتُ الحُبَّ ، والبغضَ ،
وأكره السآمه !
أدفع رأسي ثمناً لِكلمةٍ أقولها
لضَحكة أطلقها
أو ابتسامـــه
أسافر الليلة فجاةً ،

ولا أرجو السلامه !

*

أعبر تحت الناطحات ، تحت ظل المركبات
بما تبقّى في فؤادي من ثبات
وفي خيالي من وسامه
أمسح هذه المناظرَ المقامه
حتى يلوح مأمني في القاعِ ،
رَطبا متكسر الشعاع
ويصهل الجوادُ عالكاً لجامه !

*

أعبر أرض المدن الشماءِ ،
باديَ الجهامه
أطفو على ليلاتها الزرقاء أشدو في الطريق

أمنح قلبي كل يومٍ لفتاةٍ ،
أو صديـــق
لكنني أأبى الإقامه !

*

تغرينني بالحبِّ يا صديقتي !
فمَــنْ ترى يضمن لي موتاً بلا ندامه
ومَنْ ترى ،
يضمن لي في هذه المدينةِ .. القيامه !

البحر والبركان

« قاتل الجنود المصريون في جزيرة شدوان في البحر الاحمر ببسالة مذهلة ! » .

شدوان !

صوتُ البحر يأتي من بعيدٍ ،
وارتعاشاتُ النجوم على المياهْ
يتواثب اللمعانُ في نغمٍ يشب ويختفي

ويرفّ طيرٌ لا نراهْ
يتوالد الزَّبَد المفضَّضُ في سباق المدِّ ،
ثم تخور فورتهُ حسيرهْ
ويُتم مصباحُ المنارةِ دورةً أخرى ،
ويبدأ من جديدْ
وصفيرُ غَليونٍ يلوِّح من بعيد للجزيرهْ !

*

شدوانْ
مدينةٌ طفَتْ على وجه الزمنْ
سكنتُها وحدي
وهانا أدفع من دمي الثمنْ

*

بيني وبينكَ كلُّ هذا الليل يا أمـي ،
وآمادُ الظهيرة
وضجيج آلاتِ الرحيلْ
وتَقاطُـعُ الطرقاتِ ، لا ندري إلى أين المسيرهْ
بيني وبينكِ هذه المدنُ الكبيرهْ
وتفـرَّسُ الأغراب فينا قبل أن يلقوا لنا إذْنَ
الدخول
بيني وبينكِ كلُّ هذا المِلح أيتها الحقول
ووجوهُ أبناءِ القرى الأخرى ، وأبناء القتيل
يمشون في آثارنا ،
مُتَعَمِّمين بثوبه الدامي ونظرته الأخيرهْ
بيني وبينكِ كل هذا الحب يا أميّ ،
وكلُّ دمِ العشيرهْ

كلُّ الذي من أجله لذنا بستر الخوف أعواما مريرهْ
كلُّ الذي ينهار في نفسي ،
فأُدركُ بعد ما طال الزمانْ
أني استطعتُ النومَ ، أبْعَدَ ما أكون عن الأمانْ !

*

شدوانْ !
مَنْفىً ، وبندقيّتي وطن !

*

شدوانُ !
منـــذ متى نفضتِ البحرَ عن صحرائك الغرقى ،
وآويتِ السفنْ !
ومن الذي أعطاك هذا الإسمَ .. ملاحٌ شريـــدْ

أم خارجٌ حمل السلاحَ على المدن

أني أُمد الطَّرْفَ لا ألقى سوايَ ،

ولا أشم سوى الرياح

بِكرٌ سماءُ الفجرِ ، صوتُ البحرِ أنفاسُ المياه

والرملُ مبتلٌ ، وريحُ البحرِ مغسولٌ ،

وأضواء الفناره

بكرٌ كان اللهَ منذ هنيهةٍ خلقَ الحياه

بكرٌ أنا !

أمشي على أرضِ البكاره

أرضٍ أنا فيها مُواطنها السعيد

ومليكها الشاكي السلاح

بِكرٌ مواويل الجنود

تنساب من أحلامهم في الفجرِ ،

تُصبحُ أوجها وُقرى صغيره

واليفةٌ أشياؤهم في الرمـــلِ نائمةٌ نثيره

كانت بنادقهم معلقةً على أكتافهم ،

وهمو على الخلجان يصطادون في ألقِ الصباح

وهمو عراةٌ ، يغسلون ثيابَهم ،

ويطاردون عقاربَ الشطآن في شمس الظهيره

بِكرٌ صريرُ الكائناتِ وشدوها الجياشُ في الصمت الفريـــد

تتفتّح الأصدافُ هذا الوقتَ ،

تلقي نفسها فوق الرمال

ينهلّ نورُ البدرِ أمطاراً غزيره

ويصيح صوتٌ بالرجال

يَخْمَرُ في فمِ حارسٍ طَرَفُ اللفافة ،

يلمع النصلُ الحديدْ

في بندقيته ، ويلمع جسم وحش القرشِ في البقع

المنيرهْ !

*

شدوانْ !

هي الوطنْ !

*

يأتي المساء محملا بروائح الذكرى ونشوتها القريرهْ

بوجوهنا الأولى ،

ونحن نغيب في الحلمِ القديمْ

ونظل نَنْشِقُ عطرَه ، ونغطُّ في أعماقه الخضر
الوثيرهْ

حتى تعود لنا محبتنا لأنفسنا ، ويضنينا تعطشنا
الخَطِر

يــــأتي المساءُ ! فتُعتِم الآفاقُ من حول الجزيرهْ
تتكاثف الظلُمات فوق البحر ضاربةً على الأرض
الحصــــار

وكأنما كان النهارُ وأمنهُ وهمــــاً من الأوهامِ ،
وانقشع النهار
تتوغّلُ الجُزُرُ البعيدةُ في الظلامِ وترحل
السفن الأُخر
ونظلُّ نحنُ ، كأنما جئنا ليكشفَ كلُّ انسانٍ مصيرهْ

يأتي المساءُ ! فيقطع الكلماتِ فيما بيننا

ويلفُّ أوجُهَنا ظلامُ الليلِ ،

يُوقِدُ في السريرهْ

مصباحها الباكي فنغرق في توحدنا الحميم

يأتي المساءُ ! فيستحيل البحر وحشاً هائجاً ،

تتقذَّفُ الأمواج فوق وجوهنا مِلحاً وعُشباً ميّتاً

وتشدنا هوج الرياحِ ،

وتُمعن الأصواتُ بُعداً والنجوم

يأتي المساء محملاً بمخاوف الليل العدائي البهيم

نترقب الخطرَ المداهمَ من وراء الليلِ ،

نلمس في الظلامِ رفيفَهُ المنسلَّ فوق جلودنا

يتشبّثُ الدمُ بالتراب ، وتنشِبُ الأعضاءُ صورتها

على صدر الحفر

يتزاوج الدمُ والوعوره
يتزاوج الدم والَخطَر !

*

شدوانُ !
البحر والبركان
والنجمُ بالنجمِ اقترنْ !
شدوانُ لا تُفضي لأرضٍ غيرها ،
والليلُ لا يُفضي سوى لِلَّيلِ ،
والأعداءُ للأعداءِ ، والبحر المحيط إلى سواه
فاحفُر على أرضِ الجزيرةِ بيتَ أُمِّك ،
واحتمل ضربَ الغزاه
أو لذْ باذيالِ الفرار فلن تصير الى قرار
ستظل طول العمر تبحث في النهارعنالظلامِ ،
وفي الظلام عن النهار

عن مخبأٍ تُخفي به آثارَ وجهك ،

لا ترى إلا وحوشَ القرش والجثث الغفيره

وتظل تنكر أنت نفسَك خائفاً ممن تحب ،

فأيُّ محبوبٍ تلوذُ له بأذيال الفَرار !

وهل عرفتَ الحبَّ حقّاً ؟

ما الذي صَنعتْهُ أيدينا لنُعطى أمَّهات

وقُرًى يعيث بها الطغاه ؟

لا !

نحن لم نعشَق ، ولم نعرف سوى الحب الضروره

والعيش والموت الضروره

ننزو بلا شَغَفٍ ،

كما تنزو الثعالب في البراري والأرانب في الحظيره

وننام في أعضائنا المرضى الكسيره

ونموتُ ، نسرقُ غفلةً ، دون اختيار

فاثْبُت على أرض الجزيره

أثبت على الأرض التي مَنَحتْك مملكةً ، وجرب

لفظةَ الرفض النبيل

قل « لا » هنا ،

لتقولهـــا في كل مملكة سواها

لتقولها يوم الحساب ، إذا أتى يوم الحساب ،

وعـــادت الأشلاء تسأل من رماها للكلاب

ومن اشتراها وافتداها !

الموت ؟

كنه أنت !

فهو فتى بسنِّكَ يرتدي ذات الشيب

اخرج له موتاً لموتٍ ،

مَن مِنَ الموتين يغلب؟ من يذود عن التراب

واذكر هنا موتاك ، واذكر وجه أمك ،

هل ترى أحببتهم يوماً كما أحببتهم في ساعة الموت
الوبيل

الموت فوق رؤوسنا ، والموت بين أكفنا ،

والموت يعصف بالرقاب

ونظل نحن نصيح في فرح جنوني بهِ

لا ! لا سبيل إلى الجزيره

والموت يسحب ظله عنا ، وينكشف الغبار عن
الصباح ؟

*

كان الطريق اليك يا أماه أن آتيك مطلول الجراح
كان الطريق اليك أن آتيك حاملا السلاح
كان الطريق اليك أن أغزو لك المدن الكبيرهْ
وأضمَّها لكِ ! للجزيرةَ !

من نشيد الانشاد

خرجت أطلب في الليـــل من أحبته نفسي
وضعت وشمي على جبهتي ، وضمخت رأسي

*

قابلني العسس الساري في هواء المدينـــه
فشق صدري وأبقى قلـــبي لديه رهينه

*

بالله يا من سَتلقى

في ذات يوم حبيبي

أخبره أني انتظرتُ

إلى الصباحِ.. ومِتُّ !

الشاعر والبطل

وجهي كـآلاف الوجوهِ ، لا يُرى في المهرجان
الا كما يُرى شعاعٌ في أصيلْ
أو عودُ قمحٍ في الحقولْ
لكنني أنتظر اليوم الذي تقول فيه أين أنت !
لكي تراني واضح الشارة ، مُعلَم البيان
أحتضن الموتَ على أطراف زحفك النبيل !

*

صوتي مع الأصواتِ ، لا يفصح الا عن قليل
من حبيَ العميق لك
لكنني حين تصير الكلمات تضحيات
سوف أُوَفيٍّ لك دَينيَ الثقيل !

*

ماذا أقول !
آلافُ آلافِ السنين فوق قلبي ذكريات حانقات
ركضُ خيول !
ركضُ خيولٍ ، وملوكٌ ظالمون
مساحبُ الحديدِ آثارُ جراحٍ فوق جدران البيوت ،
لا تزال عالقات !

وفي وجوه الناس ،

ما زالت سياط الجندي تلهب الصدى والكلمات
وجئت أنت واحداً من بيننا
ماذا أقول !
أخاف أن يكون حبي لك خوفا ،
عالقاً بي من قرون غابرات
فمُرْ رئيسَ الجندِ أن يُخفضَ سيفَه الصقيل
لأن هذا الشّعر يأبى أن يمر تحت ظلّه الطويل !

*

ماذا أقول ! هل أقول ؟
انك أعطيت وجوهَ الفقراء مسحةً من كبرياء
وأن عُمرك الجميل
موزعٌ بالعدل في أعمارنا

يحثنا أن نغلبَ الحزنَ ونتبع الدليل !

*

يظلمك الشِّعر اذا غَنَّاك في هذا الزمان
لأنه لا يستطيع أن يرى مجدَك وحده ،
بدون أن يرى
ما في الزمان من عذابٍ ، وهوان !

الرحلة ابتدأت

من يا حبيبي جاء بعد الموعد المضروب للعشاق فينا
الفجر عاد ، ولم أزل سهران أستجلي وجوه العابرينا
فأراكَ ! لكن بعد ما اشتعل المشيب وغضّنَ الدهرُ
الجبينـــا
لا تبتئس أنّـا تأخرنا !
فبعد اليوم لن يصلوا لَنا ليفرقونا !
ورأيت جاري في قطار الليل يبكي وحدهُ ،

ويضيع في ليل المدينه

وجهٌ ذكرتُ به مواكبك التي كانت طعامَ العام ،

للفقراءِ أبناءِ السبيل

يتخطف التُّجّارُ والعسسُ الصغار وجوهَهم في كل

أمسيةٍ ، فيطوون الضلوعَ على محياك النبيل

ياتي غداً فينا !

ويكمل في مسيرة شعبنا المقهور دينَه

ياتي غداً فينا !

ويجعلنا له جندا وحاشيةً ،

ويجعل من منازلنا حصونه

ياتي غداً فينا !

يبوح بسرنا الخافي ، ويسلمنا ودائعنا الدفينه

يأتي غداً ... !

ويجف دمعهم ويبتسمون في الحلم الجميل !

... حتى يدورَ العامُ دورتَهُ ،

فتدعوهم إليك ، تمد مائدةً ،

وتفرط فوقهم ثمر الفصول

وتُسلُّ سيفك في وجوه عدوهم

وتعود منتصراً ، تحيط بك المدائنُ والحقول

زدنا ! وتعطيهم ، وتطعمهم وتسقيهم ،

إلى أن يملأ الفرحُ السفينه

يتحقق الحلمُ الجميلُ لليلةٍ يتزودون بها ،

وينحدرون في الليل الطويل

يتَنظَّرون على مداخل دورهم أن يلمحوك مهاجراً ،

تُلقي عصا التَّسيار تحت جدارهم يوما ،

وتمسح عندهم تعبَ الرحيل

. . . .

لكنَّ بدرَ الليل لم يُشرق علينا من ثنيّاتِ الوداعِ
ونعاه ناعِ !

. . . .

يتمزق الصمتُ الحداديُّ الكئيبُ على انحدار قطارنا،
في الليل وهو يمر منتحباً باطراف المدينه
يجتاحنا همٌّ ثقيلٌ أنها اقتربت ،
فماذا نبتغي بعد الوصول
والليل أثقل ما يكونُ ،
كأنَّ طير الموت لم يبرح يرفُّ بجانحيه الأسودين ،
على الكآبة والسكينه
تتراجع الأشجار هاربةً ،

وتشخص حولنا الإشياء ثم تميل ساقطةً ،

وتمعن في الأفول

وأشد صاحبتي ونرحل في زحـــام الناسِ ،

لا ندري غداً ماذا يكونُ ،

وكيف تشرق شمسه فينا ولست على المدينه!

*

لا لم يمت ! وخرجنا نجوب ليـــل المدينه

ندعوك فاخرج الينا وردُّ مـــا يزعمونه

إن كنت عطشان ، كنّـا اليك ريحـاً ونهرا

أو كنت جوعان ، كنا خُبزاً ومِلحاً وتمرا

أو كنت عريان ، كنا ريشا ، وكُنّا جناحا
أو في غيابات سجن كنا مدى وسَراحا

أو كنت مستنصرا ، كنا السيفَ والأنصارا
أو تائهاً في الصحارى كنا القِرى والدارا

تعود فينا فقيراً وعارياً وغريبا
تصير فينا ، فتعطي الرمادَ هذا اللهيبا !

*

كنا نفتش عنك في أحيائها ،
والليل يوغل ، والمقاهي بعدُ يقظى ،
والمصابيحُ الكليلةُ ، والعيون

مُتطلعين ! كأنما من شرفةٍ سنراك تظهرُ ،

أو من الراديو تصيح بملء صوتكَ ،

ساخراً مما ادعاه المدّعون

أو أنّ انساناً سيخرج هاتفاً في الليلِ :

عادَ إلى الحياه !

أو أنها هي ليلة الغار التي ستغيب فيها ،

ثم تشرق في المدينه

نلقاك فيها ناشرين أكُفَّنا ظلاًّ عليكَ ،

وجاعلين صدورَنا درعاً حصينه

لكنَّ أضواءَ الصباح تسللت من خلف قاهرة المعزّ ،

ولم تَلُح للساهرين !

ومشت رياحُ الأرضِ ، أوراق الجرائــــدِ فيكَ ،

بالنبأ الحزين !

فإذنْ هو النبأ اليقين !

وا ناصراه !

مالت رؤوس الناس فوق صدورهم ،

وتقبلوا فيك العزاء

وأجهشت كل المدينه بالبكاءْ !

*

كوني ندى يا شمسُ أو غيبي

فاليومَ يرحل فيكِ محبوبي!

كوني ندى يا شمسَ هذا اليومْ

عينُ الحبيب استسلمت للنومْ !

*

ورأيتُ في الطرقات قاهرةً سوى الأخرى ،

تفجرّتِ المصيبةُ عن مداها

خرجت اليك مع الصباح كأنها مادت ،

وعادت مرةً أخرى تموج بما تخبّىء في حشاها

تتدفق الأحياء حيّاً بعد حيٍّ حول مجرى نيلها ،

وتغيب في أجساد أهليهـــا الشواهق والصروح

ويضيـع في أبنائها البـــاكين أبناءُ المماليك الصغارِ ،

ويلمع النجم القتيل على ذُراها

وترفرف الشاراتُ ،

تندلع المناديل الصغيرةُ في سوادجنائز الصبح الفسيح

لا لم يمت !

وُتطلُ من فوق الرؤوس وجوهُك السمرُ الحزينه

لم يبق منك لنا سواها

تتشبث الأيدي بها ،

فكأنما أصبحتَ آلافَ الرجال

وكأنما أصبحتَ للكفِّ التي حملتك مِلكاً خالصا

فلكلِّ ثاكلةٍ « جمال » !

ولكل مضطهدٍ « جمال » !

. . . .

يا أيها الفقراءُ !

يا أبناءه المتَنظّرينَ مجيئَهُ .. هوذا أتى !

خلع الامارة ! وارتدى البيضاء والخضراءَ !

وافترش الرمال

هوذا أتى !

ليمر مرّتَه الأخيرةَ في المدينةِ ،

ثم ياوى مثلكم في كهفها السريّ يستحيي لظاها
يستنهض الموتى ، ويجمعكم ويصعـــد ذات يوم مثل
هذا اليومِ ،
يعطيكم منازلَها ، ويمنحكم قُراها
هو ذا أتى !
فدعوه أنتم يا مماليك المدينةِ ،
إننا أولى به يوم الرحيل
نبكيه حتى تنضبَ المقلُ الضنينه
نبكيه حتى ترتوي الأرضُ التي لا بـــد سوف نهز
نخلتَها ،
ونَطْعَمُ مِن جَناها !
يتنزَّلُ الجسدُ المسجَّى في خِضمِّ الناسِ ،

يصبح مِلكَ أيديهم ، وترتحل السفينه
وتلوِّح الأيدي !
نحس كانْ خرجنا من مدينتنا إلى بلدٍ غريب
يتواثب الأطفالُ فوق الأمهات الباكياتِ ،
وتحمل الأجيالُ أجيالاً ، وتنفجر المدينه
بحرٌ من الحزن المروِّعِ ،
آهِ ! كم جيل من الجدات تمتلىء السماء بهـــنٌ
يمطرن المدينـــة بالمراثي وهي تمشي في فتاها

* * *

يا أيها الحزنُ مهلا واهبط قليلا قليلا
استوطن القلب واصبر ع العين صبراً جميلا
أيامنـــا قـادماتٌ وسوف نبكي طويلا

* * *

هذا حصانك شارد في الأفق يبكي ،

من سيهمزه إلى القدس الشريف !

ومَن الذي سيكفّن الشهداء في سينا ومَن يكسو

العظام

ويثبت الأقدام إذ يتأخر النصر الأليم ونُبتلى

بمخاضه الدامي العنيف

ومن الــــذي تغفو عيون المريمات على اسمهِ ،

أن المعاد غداً إلى أرض السلام

ومن الذي سيؤمنا في المسجد الأقصى ،

ومَن سيسير في شَجر الأغاني والسيوف

ومن الذي سيُطل من قصر الضيافة في دمشقَ ،

يحدّثُ الدنيا ويلحقها ببستان الشآم

ومن الذي سيقيم للفقراء مملكةً وتبقى ألف عام
ومن الذي سنعود تحت جناحه لبيوتنا ،
نحيا ونسعد بالحياه
هذا حصانك شاردٌ في الأفق يبكي ،
والمدائن في حديد الأَسْر تبكي .. والصفوف
تبكيكَ .. والدنيا ظلام !

* * *

لو كنت أعلم أن يوم الملتقى سيكون في ذاك النهـــار
لقنعت منك بزورة في كل عامٍ ، وارتضيت الانتظار
ها أنت في داري،فمن للأرض والمدن الأسيرة،والصغار
أمسِك عليك حصانَك الباكي وسيفك ،
إن رحلةَ حبنا
ستكون حرباً .. لا يَقَرُّ لها قرار !

رقص

أتوه في الصحارَى

حتى أرى ينبوعا

أصبح فيه قطرةً

أو برعماً مقطوعا

أعبر فيه الليل والنهارا

والصيفَ والربيعا

أدخل فيه دارا

أخرج من نافورةٍ في صَحنها
تأخذني صبيَّةٌ في حِضنها
تمسح عني العارا !

* * *

أتوه في النايات ِ والدفوف ِ
مهاجراً فقيرا
أحمل دُفِّي ، قمري ، رغيفي
أحمل فوق جبهتي ذنوبي
أرقص مستجيرا
أهزُّ دُفي فوق رأسي
أحمل قرصَ الشمسِ
أهزه بين الشروقِ والغروب

وبين هامتي وظلي

أجعله تاجي ونعلي

أعبر فيه البلد الأخيرا

أعبر فيه نفسي

أهزُّ دُفّي حولي

يسَّاقط الايقاعُ مني ثَمَرا

أطعمُه ضيوفي

أهزُّه يصبح فوقي قمرا

يحملني إلى حبيبي !

* * *

أتوه في المدينه

حتى أرى عباءه

جعلها ريشي ودرعي

أحبِس فيها دمعي

أعبر فيها الساحةَ المضاءه

والرايةَ الحزينه

آخذ نفسي تحتها رهينه

وأختفي ..

أموت ميتةَ الفجاء،

* * *

أتوه في رقصتها الليليه

أنظر من مائدتي المطفأةِ الأنوار

للجسد العــــاري

للجسد الضحيه !

أدخل في أحبولةِ الأوتارِ
ألبس جلدَ الحيّـه
أرقص في الأقراطِ والقلائدْ
أرقص في السيقانِ والسواعدْ
أرقص في تأرجحِ الثمارِ
في الجسدِ المصلوبِ في العشيه !
أسقط في العينين والأصابعْ
أسقط في الدوارِ
في لحظة انفعالِها الخفيّـه
في كنزِها المخبوءِ تحت وجهها المُخادعْ
في الجسدِ النابضِ تحت الشبكه
تحت توالي ضربات العازفِ الوحشيه
أرقص في تخبطاتِ السمكه

في لمعان عينها الميتة الفضيه

أرقص في الوحش وفي المُصارعْ

أرقص حتى أستعيدَ جسدي

حتى أراهُ بيدي

أنسلُّ تحت أرجل الموائدْ

ولا أكون الشاهدْ !

ولا أكون الشاهدْ !

* * *

يا مَن يعيدنا إلى بلادِنا

بلادِنا العميقةِ الخُضره

نبكي .. ولو مَرّه

من قلبِنا !

الشهود

« في المحكمة التي شكلها الفيلسوف برتراند راسل من كبار المثقفين لمحاكمة جونسون كمجرم حرب قرر مائتان من الفيتناميين حضور المحاكمة كشهود » .

نحن الشهود
نقسم بالله العظيم أن نقول الحق
وكيف يكذب الرجال الميتون

القادمون من أقاصي الشرق
ليمثلوا بين يديكم ساعةً ،
ويرجعوا إلى اللحود !

* * *

نحن الشهود
نقسم بالله العظيم أن نقول الحق
وفيم يكذب الرجال الفقراء
إن سئلوا عن عالمٍ ،
لا يملكون فيه الا وقفةً على الحدود
يرون منها الأنبياءَ ، والملوك ، والطغاه
ثم يموتون على أيدي الجنود

* * *

كنا قُبيْل أن نموت

مزارعين ، أو رعاه

بحارةً ، أو ربما رجالَ دين

أو خدماً نجوس داخل البيوت

حين سقطنا ميتين !

مِتنا فرادى .. ربما

لكننا جئنا هنا مجتمعين

نرفع صوتنا المجلجل الحزين !

الجسد !

سماءُ شُبَّاكيَ غيرُ مقمره
والجسدُ الجميلُ نام
وثَمَّ ضوءٌ شاحبٌ،
يغسل جوَّ الحجُره
يَشعُّ من أشيائها المنتثره
حتى لَتبدو قِطَعاً من الغمام
على سماء عكره

والنسمات ابتدأت تمسح عري الشجره

والجسدُ الجميلُ نام

تهدَّجتْ أنفاسُه تحت يدي

صاعدةً ، منحدره

وانبسطت أعضاؤهُ ،

لينةً ، منكسره

وبانت العظام !

لا يا حبيبتي ! انهضي ،

لا تتركينا وحدنا ،

أنا وعُريَكِ الطفولي الوديع

ضعي مساحيقَكِ ،

وارتدي ثياب أوَّلِ الليلِ ،

وعودي نَمِرَه !

وأنهكيني ، أنهكيني بالشّجار والخصام

حتى .. أنامْ !

خبر

في الليل جاءني الخبر
ألقىَ به رسولُها ،
ثم اختفى كما ظهر
في حضنِ مَنْ أبكي ؟
مَن يحملُ الفرحةَ عني لحظهً
أبكي قليلاً .. وأواصل السهر !

يا هواي عليك يا محمد [1]

ان كنت سليما حتى الآن

فاضرب !

---

(١) محمد عبد المعطي حجازي شقيق الشاعر الذي حارب في سيناء عام ١٩٦٧ وكانت أمه تدلله وهو طفل فتغني له الاغنية الشعبية الريفية :

يا هواي عليك يا محمد   يا هواي عليك !
ومحمد لابس برمكي   وأنا قلت له مبارك
أمق يؤون الأوان   وأخش دوارك !

اضرب ! يا ذا القلب النشوان

والوجه المتعب

أُنفض عن قلبك دهشتهَ الأولى

وبراءتَـه المستهولةَ الانسانَ الغولا

وخُـض النيران

« يا هوايَ عليك يا محمد

يا هوايَ عليك ! »

* * *

ومحمد أقرب أخوتي لقلبي

وصديقي

ورفيق طريقي

كنا أخوينِ ،

فاصبحنا من بعد وفاة أبينا

طفلين وأبوين !

نتلاقي تحت غبارِ السعي بوجهٍ صارم

فإذا أُبنا لمراقدنا

أوحش كُلاًّ منا الآخر

حتى يتمنىّ أن يلقاهُ ،

وقد فارقه من ساعه

وكأنَّ الواحدَ مِناّ إذْ تركَ أخاهُ ،

أضاعه !

يستسلمُ كلٌّ منا لبكاءٍ عذبٍ مقهور

يغسلنا من آثام رجولتنا المثقلة بغير أوان

ويُعيد لنا عهد صبانا الزاهي المبتور !

* * *

ومحمدُ أذكره طفلاً غضبانَ جميلا

طفلاً يلقى عالمَه بطهارة قلب ملتهب

يسأله أن يصبح بيتاً ماهولا ،

أفـُقاً مغسولا

يسألنا ألا ننساه

ألا نلقاه بوجهٍ متقلب

يسألنا ألا .. نكذب !

* * *

في هذا العالم يا ولدي

في السوق المائج بالعجزة والجهله

بالمقتولين وبالقتـَلـه

نغرق في الكذب وفي التضليل

كي نحفظ مما بقيَ لنا .. هذا الرمَقا
فارفع يا ولدي أنت سلاح الحقِّ ،
لكي تحمي هذا الحقّ
أرنا الصدقَ المضطَهَدَ ، وقد سلّحَ نفسَه
ومشى مُدَّرِعاً ،
ممتطيا فرسه
بين هتافات المظلومين !

* * *

ومحمدُ ! أجمل ما أعطى الحبُّ العاجز
ما بين الرغبةِ والحرمان
أشهدُ وجهَهُ
ما بين الذكرى والنسيان

اشهدُ وجهَهْ

ما بينِ الحجةِ والبُطلان

اشهدُ وجههْ

بين صباه ، وضياع صباه

اشهدُ وجههْ

في الموسيقى أشهدُ وجهَهْ

اذ يهرب اعذبُ ما فيها من ألحان

وتظل تحنُّ تحنُّ له الآذان

أشهدُ وجهَهْ

في الأسرةِ ، اذ يجتمع لها الشمل المفقود

في صبح العيد

ويشُقُّ تعاسةَ أوجهنا

هذا الفرحُ الباكي المولود
اشهدُ وجَهه
في الليل الممتد السهران
يشردُ فيه حتى يتعب
ويعود لنا ،
وهنالك شيءٌ في عينيه
في شفتيه .. يتعذب
شيءٌ ! لا أدري كيف تحمَّل فيه الكتمان
حتى وهو يغني ، ويحبُّ ، ويشرب !

* * *

فاضرب !
أفْصح عن هذا الشيء الآن

استجمع أحزانكَ واضرب

استنهض قلبكَ في يدكَ .. وصوِّت

اضرب !

بخروجك ذات صباحٍ مبتسماً للديَّان

تساله يوماً مبتسماً ،

وصديقاً مبتسماً ،

وفتاةً تأخذها في حضن النيل المعشوشب

وتُسرّى عنها الأحزان

فاذا بالغارة والعدوان !

فاضرب !

اضرب بصباك العطشان !

باخوّتنا ،

بطفولتنا المظلومه !

بابينا المحتضَرِ الأشيب !

بالدرب الصاعدِ من منزلنا ،

حتى الصفصاف الملتفّ على وجه الترعه

حيث توضأنا في الظهر وصلينا

وغمسنا في الشمس الملتهبة في الماء

نشوتنا الأولى الخضراء الحمراء !

اضرب !

بتشردنا بين الطرق المسدودة ،

والأفكار المحمومه

بين الكتب الرائعة المرسومة ،

أطفالاً ، وقلوباً ، وشموساً لا تغرُب !

اضرب !

بتغربنا في المدن المتوحشة القذره

نفقد فيها قريتنا وبراءتنا

حتى نتلاقى ، فنحس بسوأتنا

ونواريها ، بعيون خجلى معتذره !

اضرب !

بوداعك إيانا . أمي وأنا تحت الشجره

آخر ما في ذاكرتي عنك

الخوذة ، وثياب الحرب الصفراء

والوجه المستشهد !

* * *

« يا هوايَ عليك يا محمد !

يا هوايَ عليك يا محمد ! »

« نوبة » رجوع

حين يرقاح جثمان الشهيد على أرض
الوطن تعزف الموسيقى العسكرية
« نوبة رجوع » !

كانَّ صوتاً مـًا ينادي !
فتعود من وراء الأفق أسراب الحمائم
تدور في شمس المغيب دورةً ، وتفترق !
كانَّ صوتاً مـًا ينادي !
تخلع الأرضُ قميصها الذي احترق !
تخضوضر الظلالُ فجأةً ، وتنفث البراعم ،

بُخارَها العطريَّ في قلب السخونه !

كانَّ صوتاً مـًا ينادي !

تنهض الريح السجينه

دافعةً أمامها حقول قمحٍ وأغانيَّ وقطعان غنم !

كان صوتاً مـًا ينادي !

فيرفرف العلم

يُمطر وحشةً ، وحزنا ، وحنينا ، وسكينة

في شرفة المدرسة التي اختفى ضجيجها ،

وأقفرت ساحتها

ورصّعت أشجارَها الخضرَ طيورُها البواغم !

كانَّ صوتاً مـًا ينادي !

فنغيب نحن لحظةً وتشرق المعالم

يدهشنا أنـا نحب هذه المدينه

وأننا قد اكتشفنا خلسةً ، في هذه الأبنية الجواثم

أشياءَها الدفينه

وأن فيها امرأةً ، تخطر في قميص نومها ،

وقطـّــةً تموء في السلالم !

كانّ صوتاً مـّا ينادي !

فنجيبه : نعم !

نحس عضّةَ الحنين والألم

وتنبض الذكرى بأسماء البلاد ،

والرفاق ، والمواسم !

كأنّ صوتاً مـّا ينادي !

يَزْحَمُ الرجالُ أبوابَ القرُى

في سحبٍ من الغبار والشفق

يسقط من جباههم ماء الوضوء والعرق

ويستجيش الليلُ أصواتَ البهائم !

كان صوتاً مـّا ينادي !

تنصبُ الأعراسُ والمآتم !

كانّ صوتاً مـّا ينادي !

فيجيب : يا بلادي ! يا بلادي ! يا بلادي !

مرثية لاعب سيرك

في العالمَ المملوء أخطاءَ
مُطالبٌ وحدكَ ألا تخطئا
لأنَّ جسمكَ النحيلْ
لوْ مَرَّةً أسرعَ أو أبطأ ،
هوى .. وغطى الأرضَ أشلاءَ !

* * *

في أيِّ ليلةٍ تُرى يقبع ذلك الخطأْ
في هذه الليلةِ ! أو في غيرها من الليال

حين يفيض في مصابيح المكان نورُها وتنطفىء
ويسحب الناسُ صياحَهم ،
على مقدمِك المفروشِ أضواءَ !

* * *

حين تلوح مثلَ فارسٍ يجيل الطرفَ في مدينته
مودّعاً ، يطلب وُدَّ الناسِ ، في صمتٍ نبيل
ثم تسير نحو أوَّلِ الحبال ،
مستقيما .. مُومِئا
وهم يدقون على ايقاع خطوِك الطبول
ويملأون الملعبَ الواسعَ ضوضاءَ
ثم يقولون : ابتدىءْ !
في أي ليلةٍ تُرى يقبع ذلك الخطأْ !

* * *

حين يصير الجسمُ نهبَ الخوف والمغامره
ونصبح الأقدامُ والأذرعُ أحياءَ
تمتد وحدها ،

وتستعيد من قاع المنون نفسَها
كأنَّ حيَّاتٍ تلوَّتْ ،
قطَطاً توحَّشتْ .. سوداءَ بيضاءَ
تعاركت وافترقت .. على محيط الدائره
وأنت تُبدي فنَّك المرعبَ آلاءً وآلاءَ
تستوقف الناسَ أمام اللحظة المدمرَّه
وأنت في منازل الموت تَلجُّ .. عابثاً مجترئا
وأنت تُفلت الحبال للحبال
تركتَ ملجأً ، وما أدركتَ بعدُ ملجأَ

فيجمد الرعبُ على الوجوه لذةً ، واشفاقاً ، وإصغاءَ

حتى تعود مستقراً هادئاً

ترفع كفّيك على رأسِ الملاءْ

في أي ليلةٍ تُرى يقبع ذلك الخطأْ !

ممدداً تحتك في الظلمةِ ،

يجترُّ انتظاره الثقيل

كأنه الوحشُ الخرافيُّ الذي ما روّضت كفُّ بشر

فهو جميل !

كأنه الطاووسُ ،

جذابٌ كأفعى ،

ورشيقٌ كالنِمر !

وهو جليل !

كالأسد الهاديء ساعةَ الخطر

وهو مخاتلٌ ، فيبدو نائماً

بينا يُعدُّ نفسه للوثبة المستَعرة

وهو خفيٌّ لا يرى ،

لكنه تحتك يعلك الحجر

منتظرا سقطتكَ المنتَظره

في لحظةٍ تغفلُ فيها عن حساب الخطو ،

أو تفقد فيها حكمةَ المبادرة

إذ تعرضُ الذكرى !

تغطي عُريَها المفاجئا

وحيدةً معتذره

أو يقف الزهو على رأسكَ طيراً ،

شارباً ممتلئا !

منتشيا بالصمت ، مذهولا عن الأرجوحة المنحدرة
حين تدور الدائرة !
تنبض تحتك الحبالُ مثلما أنبضَ رامٍ وترَه
تنغرس الصرخة في الليل ،
كما طوّح لصٌ خنجرَه

حين تدور الدائره !
يرتبك الضوءُ على الجسم المهيض المرتطم
على الذارع المتهدل الكسير والقدم
وتبتسم !
كأنمّا عرفتَ أشياءَ ،
وصدّقتَ النبأْ !

اشاعة

ولما تسللَ في الليل من أخبروني
بانهمو في انتظاري
وأنهمو شوهدوا حول داري
وقعت سجينا ،
وهانذا هاربٌ ومطارَد
أهيمُ بلا وُجهةٍ ،
أتخبطُ في العرباتِ ، المحلاتِ ،
مُفترقِ الطرقاتِ ، الحواري ،

حبالِ التلفونِ ضوءِ النيونِ مرايا المصاعد
أحاول أن أتدبّرَ أمري ،
أعدّ دفاعي
أؤخرَ هـذا البلاءِ لساعه
أحدّقُ في كل شيءٍ أراهُ ،
كأني أبثُّ إليـــه اعتذاري
كأني أحاول نقلَ المدينةِ في مُقلتيَّ لسجني
ولكن بلا طائلٍ ، فأنا هاربٌ ،
والمدينة تهرب مني
وأشعر أني فقدت قناعي
ملامحَ وجهي
وأني أحسُّ ببعض الدوارِ

وأنَّ عليَّ التحلَـيَّ ببعض الشجاعه !

. . . .

أقولُ لهم :

ـ لن أجيبَ عليـــكم فلستم قضاتي !

أقول لهم :

ـ قد يكون صحيحاً ، وقد لا يكون

أتته يدي .. أو طوته الظنون !

أقول لهم !

ـ بل أنا مذنبٌ ! فاقتلوني !

. . . .

مضت ليلةُ الرعبِ مبطئةً ،

ساعةً إثْـر ساعه

وأقبـــل من أخبروني

بأن الذي سمعوه .. إشاعـه !

بكائية لبلاد النوبه

لم يتركوا شيئاً هنا ،

فالدورُ خاويةٌ كأن لم تبكِ فيها طفلةٌ ،

أو يشتعل فيها غرام !

ونظيفةٌ ، فكأنها اغتسلت لتدخل عالَماً

خلفَ الغمام

وكأنما صارت لها روحُ المكان الأُخرَوِيْ

قبرٌ ظليل في فلاه

أو معبدٌ ناءٍ تهوِّم في زواياه صلاه !

*   *   *

لم يتركوا شيئاً ،

سوى الشمس التي وقفت على شط المغيب

تكسو منازلهم بلونٍ برتقاليٍ غريبٍ ،

كلما أمعنتُ فيه

أحسستُ أن به رمَقْ

وكأنما خلف المغيب الخانق المصفرّ شيءٌ يستغيث

والناسُ يلتقطون تحت شعاعه صورَ الغرقْ !

*   *   *

لم يتركوا شيئا هنا .. إلّا الرياح

جنيَّةَ البلدِ التي قد خلّفوهـا فديةً للنهر ،

تبكي في انتظـــارِ مصيرِها

تمشي على الجدران مسدلةَ الوشاح

وتظل تسعى بين قريتها وبين النهرِ ،

تنظر كيف ترتفع المياه

وتضيق أبوابُ النجاه !

* * *

لم يتركوا شيئاً هنا .. إلا النخيل

بجذوعه الغرقى ، فلو عادوا لما عرفوا المكان

ولضاعت الذكرى كأنَّ الأمس مات ،

فلا مفرَّ من الرحيلْ

* * *

لم يتركوا شيئاً ،

وماذا يترك الفقراءُ في القفر العريض

إلا عظـــامَ الميتين !

إلا الأجنَّـةَ في بطونِ الأمهات !

اللقاء الثاني

بعد فراقٍ طال يا حبيبتي ،

جاء اللقاءْ

آللهِ توَّج البكاءَ بالبكاء

أحيـــا دموعَنا التي كادت تجف

وشجرًّ الأذرع في صمت المساءْ !

* * *

لِنرتحلْ كأننا نواصلُ الآن لقـــاءَنا القديم

كأننا كنا غفونا زمنا

ثم رجعنا أذرعاً مشتبِكه

وأوجهاً مستضحِكه

نمسح عن جنوبِنا الحصى ، وعن وجوهِنا الغيوم !

* * *

لنرتحلْ من قبل أن يدهَمنا وجه الزمان

من قبل أن تنجم في فرحتنا

شجيرةُ الذكرى ويدنو من وراءِ الليلِ طلعها الكظيم

كأننا وشارةُ الحب علينا أخوان توأمان

وأبوانا عاشقان !

فإن عبرنا بالرجال ابتسموا في وجهنا

كأنهم آباؤنا

وإن عبرنا بالنساء

لُذنَ بأطراف الثياب واشتهين مثلنا !

* * *

كأننا على طريق حبنا مستشهدان

نعبر في حلم فتاة جاءها الحبُّ قويا يافعاً

فهزَّها حتى بكت

وبعدما أخافها غادرها

في قمر مكتمل ، وفي نسيمٍ فاترٍ ،

يقبل من حقلٍ بعيد

قلّبتِ الوجه على سريرها حتى غَفَت

حينئذ لُحنا لها ، فانتظمت أنفاسها

وابتسم الوجه ونام في أمان !

* * *

عامان مرّا ، كلُّ ليلٍ انتماء
وكلُّ خطوةٍ مصير
ونحن نعبر الليالي جاهدَيْن أن نظل أوفياء
ولذالك الوجهِ الذي كان يزورنا مع الليل الأخير !

* * *

عامان مرّا .. آهِ هل أنت التي عرفتُها ،
وهل تُرى أنا الذي عرفتِه ، قبل فراقنا المرير !
شَعرك يا حبيبتي أقصر مما كانَ ،
لكن تلك نكهة العناق
ولم تزل في شفتيك رجفةُ الشوقِ وأُهْبة التلاق
لكنني أرى بعينيك اللتين صارتا عميقتين
شيئاً يقوم بيننا !

* * *

فلْنرتح الآن هنا من حبنا
ينصب كلٌّ واحدٍ قامتَه تحت السماء
ويرتمي من فوق ظـــلِّه القصير
يمسح جرحَه الذي أهمله طوال أيام الشقاء
يندب نفسَه ويبكي وحده حتى نهاية المساء
فان أتى الليل علينا والتفتنا فالتقت أكفُّنا
فلْنمضي في طريقنا
ولْيحفظ اللهُ لنا هذا اللقاء !

تعليق على منظر طبيعي

شمس تسقط في أفق شتويٌّ
شمسٌ حمراءْ
والغيم رصاصيٌّ
تنفذ منه حُزمُ الأضواء
وأنا طفلٌ ريفيٌّ
يدهمني الليل !
كانت سيارتنا تلتهم الخيطَ الأسفلتْ
الصاعدَ من قريتنا لمدينتنا

حين تمنّيتْ

لو أني أقذف نفسي

فوق العشب المبتلّْ !

* * *

شمس تسقط في أفقٍ شتويٍّ

قصرٌ مسحورْ

بوّابةُ نورْ

تفضي لزمانٍ أسطوريّْ

كف خُضِبت بالحناء

طاووسٌ يصعد في الجوزاء

بالذيل القُزَحيِّ المنشورْ !

* * *

في الماضي كانَ اللهُ ،

يظهرُ لي حينَ تغيبُ الشمسْ

في هيئةِ بستانيٍّ

يتجوَّلُ في الأفقِ الورديِّ

ويرشُّ الماءَ على الدنيا الخضراء

. . . . .

الصورة ماثلةٌ ،

لكنَّ الطفلَ الرسامْ

طحنته الأيامْ !

مرثية للعمر الجميل

هذه آخر الأرض !

لم يبق الا الفراق

ساسوي هُنالكَ قبرا ،

وأجعل شاهده مزقةً من لوائـــكَ ،

ثم أقول سلاما !

زمن الغزوات مضى ، والرفاق

ذهبوا ، ورجعنا يتامى

هل سوى زهرتين أضمهما فوق قبرك ،

ثم أمزق عن قدميّ الوثاق

انني قد تبعتك من أول الحلم ،

من أول الياس حتى نهايته ،

ووفيت الذمامـــا

ورحلت وراءك من مستحيل الى مستحيل

لم اكن اشتهي أن أرى لون عينيك ،

أو أن أميط اللثاما

كنت أمشي وراء دمـــي ،

فارى مُدناً تتلألأ مثل البراعم ،

حيث يغيم المدى ويضيع الصهيل

والحصون تساقَطُ حولي ،

وأصرخ في الناس ! يوم بيومٍ ،

وقرطبةُ الملتقى والعنـــاق

آه ! هل يخدع الدم صاحبهُ .

هل تكون الدماء التي عَشِقَتْكَ حراما !

تلك غرناطــــةُ سقطت !

ورأيتك تسقط دون جراحٍ ،

كما يسقط النجم دون احتراق !

وحملتك كالطفل بين يديّ وهرولتُ ،

أكرم أيامَنا أن تدوس عليها الخيول

وسللت عبر المدينة حتى وصلت الى البحر ،

كهلا يسير بجثة صاحبه ،

في ختام السباق !

* * *

مَـن تُرى يحمل الآن عبء الهزيمة فينا
ألمغـنّي الذي طاف يبحث للحلم عن جسد يرتديه
أم هو المَـلِكُ المُدّعي أن حلمَ المغني تجسد فيه
هل خدعتُ بملكك حتى حسبتك صاحبيَ المنتظَـر
أم خدعت باغنيتي ،
وانتظرت الذي وعدتــــك به ثم لم تنتصر
أم خدعنا معاً بسراب الزمان الجميل ؟ !

* * *

كان بيتي بقرطبـــةٍ ،
والسماء بساطٌ ،
وقلبي ابريق خمرٍ ،
وبين يديّ النجوم

صاح بي صائح : لا تصدق !

ولكنني كنت أضرب أوتار قيثارتي ،

باحثاً عن قرارة صوت قديم

لم أكن بالمصدِّقِ ، أو بالمكذِّبِ ،

كنت أغني ، وكان الندامى

يملأون السماء رضىً وابتساما !

والسماء صحارى ،

وظهر مدينتنا صهوةٌ ،

والطريق

من القدس للقادسية جد طويل

قلت لي :

كيف نمضي بغير دليل

قلت !

هاكَ المدينةَ تحتكَ ،

فانظر وجوهَ سلاطينها الغابرينَ ،

معلقة فوق أبوابها ، واتق الله فينا !

كنت أحلم حينئذٍ ،

كنت في قلعة من قلاع المدينة مُلقىً سجينا

كنتُ أكتب مَظلمةً ،

وأراقِب موكبك الذهبيَّ ،

فتاخذني نشوةٌ ، وأمزق مظلمتي ،

ثم أكتب فيك قصيده

آه يا سيدي !

كم عطشنا الى زمن ياخذ القلبَ ،

قلنا لك اصنع كما تشتهي ،

وأعد للمدينة لؤلؤة العدل ،

لؤلؤة المستحيل الفريده

صاح بي صائح لا تبايع !

ولكنني كنت أضرب أوتار قيثارتي ،

باحثاً عن قرارة صوت قديم !

لم أكن أتحدث عن ملكٍ ،

كنت أبحث عن رجــــلٍ ، أخبرَ القلبُ أن

قيامته أوشكت .

كيف أعرف أن الذي بايعته المدينةُ ،

ليس الذي وعدتنا السماء ؟!

والسماء خلاءٌ ،

وأهل المدينة غرقى يموتون تحت المجاعه

ويصيحون فوق المآذن .

أن الحوانيت مغلقةٌ ،

وصلاةَ الجماعه

باطلةٌ ، والفرنجةَ قادمة ،

فالنجاءَ النجاءْ !

ووقفتُ على شرفات المدينة أشهدُها ،

وهي تشحب بين يديَّ كطفلٍ ،

ويختلط الرَهجُ المتصاعدُ حول مساجدها

بالبــــكاء

وأنا العاشق المستحثُّ قوافيَّ من يوم أن وُلدَتْ ،

واسدارت على جيدها وسوسات القلاده

تهت فيها ، وضاع دليلي

يا تُرى هل هو الموتُ ؟

هل هو ميلادُها الحقُّ ؟

من يستطيـع الشهاده

أنا لا !

لم أكن شاهداً أبداً

انني قاتل أو قتيل !

مُتُّ عشرين موتاً ،

وأهلكت عشرين عمراً ،

وآخيت روحَ الفصول

تتوارى عصوركم وأظل أغنيٌ لمن سوف ياتي ،

فيتحد الكل فيه ، وترجـــع قرطبةٌ وتجوز

صاح بي صائح : أنجُ أنتَ !

ولكنني كنت في دم قرطبةٍ أتمزقُ ،

عبر المخاض الأليم

كنت أضرب أوتار قيثارتي ،

باحثاً عن قرارة صوت قديم

صحت بي أنتَ .. هـــل كنت أنت الذي

انتظرتـه المدينةُ ،

هل كنت أنت ؟ !

آه ! لا تسألوني جواباً ،

أنا لم أكن شاهداً أبداً

انني قاتلٌ أو قتيل

وأنا طالب الدمِ ،

طالب لؤلؤة المستحيل

كان بيتي بقرطبةٍ ،

بِعتُ قيثارتي ، ثم جزت المضيق

قاصداً مكةَ ، والطريق

رائعٌ .، كنت وحدي وكانت بلادي دليلي

وكان محمدُ فوق المآذن يمسك طرف الهلال

وينير سبيلي

ويوقف خيل الفرنجةِ ،

يمسخها شجرا أخضراً في التلال !

انني أحلم الآنَ .

بيتي ، كان بغرناطةٍ ،

بعتُ قيثارتي ، واشتريت طعاما

ورحلت الى بلد لست أدري اسمها ،

جعت فيها

وانضممت لطائفة الفقراء بها ،

واتخذت إماماً

هل هو الوحي؟ أم أنه الرأي يا سيدي والمكيده

هل أُمرنا بأن نرفع السيفَ ؟

أم نعطيَ الخدَّ ؟

هل نغصبُ الملكَ ؟ أم نتفَرق في الصحراء ؟ !

ولقيتك . أنت الذي قلت لي :

عد لغرناطةٍ،وادع أهل الجزيرةأنيتبعوني،

وأحي العقيده !

انني أحلم الآنَ .

لم تأتِ

بل جاء جيش الفرنجة ،

فاحتملونا الى البحر نبكي على الملك .

لا ، لست أبكي على المُـلك ،

لكن على عمر ضائع لم يكن غير وهمٍ جميل !

فوداعاً هنا يا أميري !

آن لي أن أعود لقيثارتي ،

وأواصل ملحمتي وعبوري

تلك غرناطـــةُ تختفي ،

ويلف الضبابُ مآذنَها ،

وتغطي المياه سفائنَـها ،

وتعود الى قبرِكَ الملكيِّ بها ،

وأعود الى قدري ومصيري

من تُرى يعلم الآن في أي أرضٍ أموتُ ؟

وفي أيِّ أرضٍ يكون نشوري ؟

أنني ضائعٌ في البلاد

ضائعٌ بين تاريخيَ المستحيلِ ،

وتاريخي المستعاد

حاملٌ في دمي نكبتي

حاملٌ خطاي وسقوطي

هل تُرى أتذكر صوتي القديمَ ،

فيبعثني الله من تحت هذا الرماد

أم أغيب كما غبتَ أنتَ ،

وتسقط غرناطةٌ في المحيطِ !

خمس أغنيات للشيء المنسي

(١)

قد نستطيع أن نفر بالجلود

نحمل في رحالنا الثيابا

ونحمل النقود

لكن شيئاً ما سننساه هناك في البلد

شيئا سيبقى بعدنا ينتحب انتحابا

ويملأ الأماكن اغترابا

وبعد أن ييأس من عودتنا يموت للأبد
حينئذ نسقط ميتين في المنفى البعيد !

(٢)

من يستطيع يا تُرى أن يحمل العتابا
كما نغنيها هناك
أن يحمل القريةَ والترابا
والمنظرَ المألوف في شباكهِ ،
واللُّغةَ الحميمة الودود
والقطةُ الولود
والصوت والمحرابا !
من يستطيع يا ترى ،
أن يحمل الأمن الذي يُسِرُّه آباؤنا لنا
وهم رقودٌ في اللحود

فندخل الدنيـا شبـابا !

من يستطيـع أن يَمُدّ للجدود

جسراً وبابا

لينفذوا عبر الدمِ الهجين والمنفى الى أبنائه

يعلّموهمُ الكتابا

ويسالوهم الايابا !

(٣)

نبحث عن مدينة تمنحنا الأمان

تمنحنا الرغيف والخمرة والوجه الجديد

تمنح وقتها السعيد

لابنتنا التي ذوى جمالهـــا ،

وناء بالصبغة وجهها المهان !

(٤)

الأرض أصبح اسمها يهوذا
فكيف أصبحتَ تُسمىٰ يا قمر ؟!
وهل تُرى تجيبنا يهوذا
اذا سألناها حنانا بالشجر !

(٥)

أحـــلم أني يا فلسطين أعود
أعود وحدي متسلـّلا إليك في المساء
أسير تحت أنجمٍ ساطعةٍ ،
على رمالٍ رطبةٍ ،
والبحر يأتي من بعيد
وفي شراعٍ ، في مكانٍ ما بصيصٌ من ضياء

يصحو قليلا ، ثم يخبو من جديد
وأنتِ في شبه نشيد
وأنت في شبه نشيدٍ تشرقين يا بلادي
تتجلين لطفلك الوحيد !

اغتيال

انيْ قاتله !

أفرغت فيه عشر طلقاتٍ

تُـرى كيف يحس الدم هذا المطر الناريّ ،

ينهال فجائياً عليه ، وهو يحلم ؟!

ربما داخَـلهَ قبل مجيئي ، ذلك الخوفُ الغريزيُّ ،

فنحاّه ، والقي في المـكان ،

نظرةً ، فانتبه الحراسُ ،

فامتد على جبهته بردُ الأمان!

ثم دوت طلقتي الأولى ،

رأيتُ الحرسَ المذعورَ يجري ،

ورأيت الفندق المأهول يخلو من سوانا .

فكأني خفت من نفسي ،

وأطلقتُ ، وأطلقتُ عليهِ ،

وهو مشدود إلى زاوية النار ،

كما لو أنه قد وطّن النفس على استقبالها حين تدمدم

لم يكن يهرب مني .

كان قد أصبح مشدوداً بخيط غير مرئيٍّ إلى موت محتم

فأدار الجسد الصامت نحوي ،

يتقاضاني الذي يكفيه من حقدي ،

إلى ان يعرف الراحة من هذا اللقاء المتجهم

آه ! ما بين ارتجاف الوجه قبل الطلقِ ،

حتى تستقرَّ النارُ في اللحمِ ،

تـُرى أيُّ حديثٍ متلعثم ،

كان يجري بيننا ؟

هل قال لي : من أنت ؟!

كانت أغنياتٌ من بلادي

وقتها تلمع في ذاكرتي ،

والمطر الناريُّ يعلو ويجمجم

مـُزهراً في صخرة الجسم المعادي

واصلاً بين ارتعاشات الدم الأعجم فيه ،

وارتعاشات الزنادِ

عاقداً ما بيننا صلحاً نهائياً ،

كاني كنت وحشا حينما انهرت عليه ،

شاربا من دمه كاسا ،

كاني كنت ظمآن إلى شيءٍ حقيقيٍّ كهذا الجرح،

فاسترضعتهُ

والموت يلتف علينا .. ويخيمُّ !

* * *

من أنا حقًّا ؟

تُرى هل كان عدلاً ،

أنني لم أعطه ردَّ السؤال

أو لم ندخل شريكين معاً ،

هل كان من حقي في هذا النزال

أن أرى وجه غريمي ،

دون أن أجعله يشهد وجهي !
كان جلاداً !

وقد جاء بهذا الوجهِ ،
لكني دخلت البهو بالوجه الملثّم
وهو حقّا يستحق الموتَ !
لكنّ تمام العدل أن أُشهده أني وليّ الدمِ ،
أني الشفرة الأخرى على خنجره الدامي المسمّم
ربما كان اذا جاوبته قاوم ،
أو فرّ ،
أو استنجدَ ،
أوناشدني معترفا بالذنبِ ،
أن أمنحه مغفرتي .

لكنه أوما لي ايماءة غامضةً ،

ثم مضى محتميا بالموت ، محفوفاً بأصوات تنادي

وأنا أهوي ، وأهوي ،

ساقطاً في زمنٍ يسبق هذا الوقتَ ،

موصولا بشيءٍ يتحطم ؟

. . . .

. . . .

. . . .

اه يا حبي الذي لا يتكـــلم !

جئتني قبل زمـــاني !

ثم أخلفت مواعيدك حتى كـــ.ت أهرم

. . . .

لم أصدِّق أنها قد منحتني كل شيءٍ مرةً واحدةً ،
أنزلها سائقها ،
فانفلتت داخلةً ترفل في نبلٍ وديع
وتعرت مثلما تفعل لو كانت تعرت وحدها ،
كان الربيع ،
زغبا في الأرضِ ،
والأصوات تاتي بعد أن تفقد معناها ،
وضوءُ الشمس ياتي من زجاج ،
ثم ينحلُّ ويعطي جسمَها
بُقَعاً طيفيَّةً تهرب مني كلما لامستها ،
حتى اذا قلت لها : من أنت ؟ فَرَّت
دون أن تترك لي حتى اسمها !

. . . .

آه ! عشرون ربيعا ،

وأنا أنتظر الخطو الذي يهبط في رفقٍ ،

وأعتلُّ وأحلُم

وأنا أمسك في جلدي من ملمسها ،

ما تترك الأيام للعاشق ،

أعدو خلف ما يهرب من صورتها،

وأصد النوم والنسيان عنها وأجوع

وأنا أطوي بلاد الله ،

لا أملك الا وردةً حمراءَ .

فوق الجسر قال المخبرُ السريُّ : من أنت ؟

أجبت المخبرَ السريَّ : مُغرم !

قلت : هل مرت ؟

فلم يدرك وأقصاني عن الجسر

دخلت البهو ،

كان المخبرُ السريُّ يعدو ،

فقذفت الوردة الحمراء

صارت طلقةً ،

صارت حريقاً ،

وهمو يعدون خلفي ،

وأنا ألهث اعياءً

وأذوي ،

وأضيع !

* * *

كانت المرفأُ داراً للجميع

قلت فلأعط النهار آسماً ،

وأعطي الليل إسما

وجعلت القلب قلبين ِ ،

تعلمت الذي يجعل من وجهي ترياقا وسُمّا

وتعلمت كلاما من لغات الأرض ِ ،

أستهوي الغريبات ِ به ليلاً ،

وأصطادُ الدموع !

صرت إن غنّيتُ في الأسواق طارت نحويَ الأشياءُ ،

أو أومأتُ في الملهى الى غانيةٍ صارت على مائدتي جاريةً ،

أو .. أوقعت بي شرطةُ المرفأ عادت ،

دون أن تدرك ألا شبحاً ليس يسمّى !

ما الذي أوقعني في هذه المرةِ ؟

هل دلّت عليّ الخمرُ ،

أم بائعة الزهرِ ،

أم انهار قناعي بغتةً ،

وانفضح السر المنيع !

* * *

كلهم كانوا خصومي ،

البهوُ ، والحيطانُ ، والمرمرُ ، والحراسُ ،

والأمن الذي في أعين النسوةِ والأطفالِ ،

كانوا يتحاشون قدومي

كلهم في ألفة صامةٍ تشملهم ،

كانوا يجيئون ويمضون الى أن يلمحوني

فيصيبُ الذعرُ ما علق في أفواههم من كلمات

ويديروا النظرات

قلت: كم قنبلةٍ تكفي لكي تهدم هذا العالمَ الفاسدَ،

واستضحكت في نفسي لهذا الخاطرِ الشريرِ،

كم ألف سنه !

سوف تمضي ، قبل أن تسترجع الأرض بنيها

وتعودُ الأزمنه !

قال لي : من أنت ؟

كانت أغنيات من بلادي

وقتها تلمع في ذاكرتي ،

والمطر الناريُّ يعلو ويجمجم

مُزهراً في صخرة الجسم المعادي

واصلا بين ارتعاشات الدمِ الأعجم فيه ،

وارتعاشات الزنادِ

عاقدا ما بيننا صلحا نهائيًّا ،

كأني كنت وحشا حينما انهرت عليه ،

شارباً من دمه كأساً ،

كأني كنت ظمآنَ الى شيءٍ حقيقيٍّ كذا الجرحِ،

فاسترضعتُه ،

والموت يلتفُّ علينا . . ويخيِّم !

* * *

من أنا حقا ؟ تُرى هل كان يدري ،

أنه ألقى سؤالاً خطِراً

أنه ، لو لم أجبْ ، يوشك أن يهزمني ،

يوشك أن يرجع لي منتصراً !

بعض الرجال

ستظل ريحُ الشرق تسأل ، والشمال
ستظل تمطر في عيون العائدين من القتال
تُلوي معاطفهم ،
وتبحث في الوجوه السمر عن بعض الرجال

* * *

الريح فوق البحر قادمةٌ ، فغنوا يا جنود
هذا عبيرُ الورد فيهـــا ، والظلالْ ،

خضراءُ من عهد الطفولةِ .. والبريدْ
يذكي الحنينَ الى الشمال .. الى الشمالْ !

* * *

الريحُ فوق البحر قادمةٌ ،
كأن حقولَنا ،
جاءت لتسمرُ ليلةً معنا ،
ووسوستِ الغلالْ ،
في روحنا ،
واستدفأَ الطيرُ المهاجرُ تحت نهديها ..
ومالْ ،
في ليلهـــا وجه الهلال !

* * *

ريح الشمالْ

ستظل تُمطِر في عيون العائدين من القتالْ

تُلوي معاطفهم ،

وتبحث في الوجوه السمر عن بعض الرجـــالْ

. . . .

ظلوا هنـاك

ظلوا هناك

يتوسدون ذرى الجبال !

السفر

الى وحيد النقاش

كم تمنيتُ لو أنني يا حبيبي
قد نهيتكَ عن هذه الكاسِ ،
أوصدتُ دونك هذا الجمال
ألترامُ الذي يقتفي خطواتِكَ ،
والهمجُ المحدِقُون بقلبكَ ،
والمبتغى ، والضلال
كم تمنيتُ لو أنني قد نهيتك عن هذه الابتسامَه

لو نهيتك عن أن تُصيخَ الى هذه الاستغاثةِ ،

وهْـيَ تمدُّ اليك الظلال

وتضمُّـك بين جناحين من خضرةٍ ،

بين ثديين من وَلَهٍ وأمومه

وتقودك حيث ترى ما ترى ،

فتنوِّرُ عينيك خضرةُ شيءٍ ،

وتمسح خديك من زغب الكائناتِ نعومه

فتُـغِـذُّ وأنت هنا بيننا ،

فكأنك سوف تمد يداً ،

وستقطف ورداً ،

وتغسلُ وجهَـكَ في نبع ماءٍ قريبٍ

كم تمنيت لو أنني يا حبيبي

قد صرخت وراءكَ :

يا أيها الراحلُ المتعجلُ ألق الرحال

بُرهـــةً ،

واملأ العينَ مما يحيط بنا من قذًى ودمامه !

أنهم يأكلون لحومَ الصغارِ ،

ويخترعون مشانق للروح تستلُّها ،

ويظل القتيل يعيش ، ويغشى المقاهي ،

ويعشق زوجتَه ، وينامُ ،

ويكتب في جاره للمباحث نثراً وشِعراً ،

وفي عينه جثث الأصدقاءِ ،

وفي فمه الكلمات القديمه !

انهم ينشئون مدائنَ فوق الهزيمه

انهم يَعِدُون بأزمنةٍ من خرابٍ ويأسٍ ،
ويتّخذون لها حرسا وحكومه !

فانتبه !

قد شربت كثيراً ، وأدمنت طولَ السهر
واخلطِ الكأسَ تعلَقْ بقلبكَ من زمنِ القبح
تعويذةٌ ،

تستعيدك عند الخطر

وتراوح على العتبات كما علمتنا الليال
نلتقي مُزمعين الترحُّلَ ،
نأخذ عُدَّتنا من عُقارٍ ،
ونلبس أقنعةً ، ونحوم على اللحظات الحميمه
ونصيرُ كأنْ قد وصلنا ،

فننهار فوق التماثيل نلثمها ،

ونمزّق أوجهنا توبةً ونِدامه

ثم يدركنا عقلُنا بعد حينٍ ،

فنُصلح هيئتنا ، ونَقُصُّ جناحَ الخيال

ونعود الى أهلنا ،

فلماذا شربت الشرابَ نقيًّا ، وماذا رأيت ؟

ولماذا رجعنا ، وأوغلت أنت ؟!

انني أدرك الآن ماذا جرى لكَ ،

أشهدك الآن مستسلما لاكتشافكَ ،

منتقلا خلف وجهك في النبع ،

مستغرقا في الوسامه

يتنزّل حولك زهرٌ ،

وتصعد أغنية ،

وتطير يمامه

فترِقُّ .. ترقُّ .. إلى أن تعانق وجهك في لحظهِ ،

ثم تصحو لنا صارخاً ،

فاذا نحن في الطرقات نخلّص أقدامنا ،

ونطيل الحذر !

* * *

استرح يا طبيبي

ان دائي الإقامه

ودوائي السفر !

مرثية لأنطاكيه

وأخيراً دمشق ،

ولكنني كنت أطلب أنطاكيه

آه أنطاكيه

انها آخر النار والعشب ،

آخر ما يستطيع الصهيل

أن يحوز من الأرض ،

آخر ما أستطيع اليه الوصول

وآخر ما تستطيع اليه التسلل أرواح أسلافنا

كنت أشهدها في رماد الاصيل

تتوضأ في الحصن ، ثم تصلي ،

وتلقي علينا عباءاتها القانيه !

* * *

آة أنطاكيه

حين جاؤوك من باب بولس لم يدخلوك

وجاؤوك في هيئة الريح لم يدخلوك ،

وجاؤوك في هيئة النهر والصيف ،

لكنهم دخلوا متخفين في هيئة الحاميه !

* * *

آه انطاكيه !

أي آثامنا نفذ القدر العدل منه ،

فحق علينا العقاب

نقطع الشام من جبل الروم حتى متاهات سينا

نخط موتى قبيلتنا ،

ونرد مواليدنا دون تسمية في انتظار الرجوع اليك ،

ونغمس أجسادنا في طقوس العذاب

آه أجسادنا العاصيه

كنت أشهدها في صباها الجميل

تنزع العنق الرطب من قبضة العشق ،

ثم تطير إلى ان تحط على شفرات السيوف

وتسقط مغسولة بدم الأغنيه!

كنت ألمحها مثلما يلمح البرق،

أو يدرك الصوت ،

أو كقطيع خيول

طائر فوق عشب السهول

أو على حافة الهاويه !

آه أجسادنا العاصيه

حيواناتنا المتخنثة الضاريه

انها أصبحت تشتهي وجدها

وتخاف ، وتتركنا،

وتموء وتغرق في الحزن ،

ثم تموت على طرقات مدائننا الخاويه !

* * *

وأخيراً دمشق ،

دمشق التي ملأت لي كأسا ،

وحزت وريدي ،

دمشق التي قدمت لي مقبرة ،

وأنا كنت أطلب بعثا ،

دمشق التي رحلت مثل أنطاكيه!

تروبا دور

هذا أنا أنهض في مدينة بائدة ،
أخرج من تحت الركام
افلت من دم الفريسة الذي يسكنني
من وجوه اصدقائي العنكبوتية ،
من تعودي ريح سريري
الفتي ملمس هذا الجسد النائم جنبي
فأغفري لي . . . .
كان حبنا زنا ، وكان طفلنا حرام !

رأيت مصر في المنام

لشد ما تغيرت !

وهانا أرحل عنك ، عائداً يوماً اليك ،

حينما يصب نهر النيل في بر الشآم !

* * *

أبحث في قاع الوتر

عن نبع ماء

عن بلد أضعته منذ الصغر

أبحث في إيقاع حبات المطر

عن وجهها الضائع ساعة البكاء

أبحث في طوالع السماء

عن قاتلي

قبل رفيقي في السفر !

* * *

رأيت في بعض التخوم
مدينة جميلة طرقتها
طعمتُ من كرومها ، اضطجعت في خاناتها ،
اغتسلت في مياهها.
لكنني - واعجبا ! - لم أر فيها آدميـــا.
هذه اذن سدوم !
قيدني السحر اليهـــا .
عدت أدراجي مذعوراً الى الباب الذي دخلتها منه،
فلم أجد سوى تلك الرجوم
تضحك في العتمة مني وأنا اسقط مشدوداً الى
أرض هشيم .

وجدتها تسوخ بي حتى بلغت ظلمة كثيفة

وكنت في قمة رعبي فتحسست عظامي

وإذا بها رميم!

* * *

إلى الجحيم

الليل والنهار والحدائق الخضراء والبيوت

والاسواق والمرتبات والديون والجسور

والفنادق المخابيء المراحيض الجرائد الرسوم

إلى الجحيم

اللغة المطاط والمضحك والمروض المفسر المصفق

المشخص المحترف الهاوي المناور المداور العظيم

إلى الجحيم

اني وضعتكم جميعاً يا مواطني سدوم
في قاع صندوق والقيت بكم إلى الجحيم !

* * *

أنبش اعماق الجذوع الناشفه
عن برعم او حشره
أنبش صمت المقبره
عن فرس او عاصفه
أنبش سطح الزمن البـــاقي على صوت انفجار
الناصره !

* * *

رأيت في بعض طريقي خمسة من الفدائيين ،
قلت : اتخذوني صاحبا

فامهلوني ليلة ،

وقبل أن ياتي الصباح رحلوا

وفي المساء قتلوا

وقبل أن ياتي الصباح أقبلوا

قلت لهم : إتخذوني صاحبا

فاصعدوني جبلا ،

وأدخلوني غابة ـ ياعجبا :ـ رأيت فيها القاهره

وكنت انت في انتظاري تمسكين بيدي

وكنت تحملين عني جسدي

وتقرئينني السلام !

فهرست

هذا الديوان	٥
قصائد الديوان	٩٧
العام السادس عشر	٩٩
كان لي قلب	١٠٦
الطريق الى السيدة	١١٣
لمن تغني ؟!	١١٩
سلة ليمون	١٢٥
إلى اللقاء	١٢٧
قصة الأميرة والفتى الذي يكلم الماء	١٣٤
مقتل صبي	١٤٣

المخدع ١٤٦
مذبحة القلمة ١٤٩
اغنية في الليل ١٦٥
ميلاد الكلمات ١٦٧
حلم ليلة فارغة ١٧١
عبد الناصر ١٧٧
بغداد والموت ١٨٠
أنا ... والمدينة ١٨٨
حب في الظلام ١٩٠
أغنية انتظار ١٩٥
سوريا والرياح ١٩٧
دفاع عن الكلمة ٢٠٣
ليس لنا ٢١٠
صبي من بيروت ٢١٣
القديسة ٢١٦

رسالة إلى مدينة مجهولة ٢٢١
العيون ٢٣١
عابرة ٢٣٨

لم يبق الا الاعتراف

الدم والصمت ٢٤٥
السجن ٢٥٦
حبيبتي ٢٥٩
تموز ٢٦٥
موعد في الكهف ٢٧٥
يوميات الاسكندرية ٢٨١
شهيد لم يمت ٢٨٥
الأمير المتسول ٢٩١
البطل ٣٠٢

رثاء المالكي	٣٠٦
فبراير الحزين	٣١٦
نهاية	٣٢١
هدية عيد الميلاد	٣٢٣
أغنية الاتحاد الاشتراكي العربي	٣٢٦
نغني في الطريق	٣٢٩
رومانتيكية	٣٣٤
أغنية لشهرأيار	٣٣٩
عينان	٣٤٤
دماء لومومبا	٣٤٧
أناشيد	٣٥٣
الموت فجأة	٣٥٥
عودة فبراير	٣٥٩
أغنية لبغداد	٣٦٤

الوجه الضائع ٣٦٨
أغنية أكتوبر ٣٧١
الموت في وهران ٣٧٦
لا أحد ٣٨١

اوراس

أنا والقصيدة ٣٨٩
إلى الاستاذ العقاد ٤٣٣
الرحلة إلى الريف ٤٣٩
هذا المساء يا عزيزي جميل ٤٤٧
المجد للكلمة ٤٥٣

مرثية للعمر الجميل

مسافر ابداً
البحر والرمان
من نشيد الانشاد
الشاعر والبطل
الرحلة ابتدأت
رقص
الشهود
الجسد
خبر
يا هواي عليك يا محمد
نوبة رجوع
مرثية لاعب سيرك
اشاعة

بكائية لبلاد النوبة ٥٣٤
اللقاء الثاني ٥٣٨
تعليق على منظر طبيعي ٥٤٣
مرثية للعمر الجميل ٥٤٦
خمس اغنيات للشيء المنسي ٥٥٤
اغتيال ٥٦٥
بعض الرجال ٥٧٩
السفر ٥٨٢
مرثية لانطاكية ٥٨٨
تروبادور ٥٩٣

